

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التسعين

١ فبراير سنة ١٩٣٧

١٩ ذي القعدة سنة ١٣٥٥

السماء والارض

تجتماع في المطياف

المراقب والمطياف يسبران حقيقة الاجرام النائية

ان تاريخ الارض ومصيرها مرتبطان بتاريخ الشمس ومصيرها . هذه حقيقة أدركها الانسان ،
ادراكاً تاماً ، منذ أشرق في ذهنه نور الإدراك . ولكن ألوفاً من السنين انقضت قبلما خطر له
أنه قد يجد في ذلك الآتون المحتدم تفسيراً لبعض المشكلات العقلية التي تمضت . كيف السبيل
الى دراسة بناء الشمس ، وهي تبعد عنا ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال ، وقطرها أقل من
مليون ميل قليلاً (٨٦٤٠٠٠ ميل) فجعلها يفوق حجم الارض الف الف مرة ، وحرارتها
تتباين من ٦٠٠٠ درجة مئوية على سطحها الى نحو ٤٠ مليون درجة مئوية في باطنها

ليس بالعجيب ، والمصاعب هي ما هي ، ان تظهر أمنية كهذه الامنية ، متعذرة على ذكاء
الانسان وحيلته الواسعة . وكان الفيلسوف أوغست كونت كان يفكر في هذا عند ما قال :
« ثمة أمور لا بد للانسان من أن يبقى جاهلاً لحقيقتها مثل معرفة تركيب الشمس والاجرام
السموية من ناحيته الكيميائية » . ان ذلك الفيلسوف الكبير ، لم يدرك ، والعلم الحديث لم يزل

في مهدهم ، ان التنبؤ العلمي عمل مخوف بالخطر . ذلك ان الانسان بفضل المرقب والمطاف والمطاف الشمسي المصور وغيرها من وسائل البحث الحديث ، جاء بالكواكب الى سطح الارض وحلل بناءها وعرف عناصرها وقاس درجات حرارتها وبردها

في تاريخ هذا البحث الفتان ، يومان خالداً بينهما نحو قرنين من الزمان . أولها يوم حل نيوتن الفيلسوف الطبيعي الأشهر ضوء الشمس الى ألوانه السبعة . وثانيهما يوم تمكن كيرشوف الألماني ، من البحث في تركيب الشمس وكأنه يبحث في تركيب جسم كيميائي في المعمل

كان قد سبق الاكتشاف الذي تم للطبيعي الألماني ، مكتشفات كثيرة مهدت له السبيل . ففي سنة ١٨٠٢ ، تحول ولستن Wollaston أحد أعضاء الجمعية الملكية بلندن من ممارسة الطب الى البحث في الطبيعة والكيمياء وبدأ يدرس طيف ضوء الشمس جنباً الى جنب مع ضوء الشرارات الكهربائية والغازات المضيفة . وكان يمر الضوء المحترق لغاز من الغازات في شق ضيق ، فيفوز بطيفه ، أي بالألوان التي يتألف منها . فتبين له ان الضوء الساطع من لهب غاز من الغازات ، يحدث طيفاً تقطعه خطوط لامعة . ثم ثبت له ان لكل غاز خطوطاً يتميز بها وتختلف عن خطوط الآخر ، فبخار الصوديوم يحدث خطاً لامعاً أصفر اللون ، وبخار البوتاسيوم يحدث خطاً لامعاً بنفسجياً اللون

في هذه الملاحظات ، بدء علم من أشهر العلوم الحديثة وأعظمها فائدة في الفلك والطبيعة والكيمياء ونعني علم الحل الطيفي

وما انقضت عشر سنوات او اكثر قليلاً ، على مكتشفات ولستن حتى عني رجل الماني يدعى فرونهوفر Fraunhofer وكان صانع نظارات ولا علم له بمكتشفات ولستن ، بمباحث من هذا القبيل ، فأفضت به مباحثه الى اكتشاف ظاهرة جديدة لاحظها ولستن أولاً وهي رؤية مثن من الخطوط السود في طيف الشمس . فصنع خريطة لطيف الشمس ، ورسم في مناطقها الملونة المختلفة ، ثلاثمائة واربعاً وعشرين خطاً اسود ، شاهدها فيها

هوذا اكتشاف ظاهرة كبيرة الشأن ، ولكن فرونهوفر صانع النظارات ، عجز عن فهمها . كان قد جال في خاطره ، ان لهذه الخطوط صلة بطبيعة الضوء ، ولكنه لم ير سبيلاً الى تحليلها . وانقضت اربعون سنة ، وهذا الاكتشاف مطوي . ثم جاء انكيزي يدعى ستوكس Stokes

فكشف عن مفتاح لفهم هذه الخطوط فهمًا صحيحًا. ذلك أنه وجد أنه إذا اخترق ضوء الشمس بخار ملح يدخل الصوديوم في تركيبه، ظهر في طيف ذلك الضوء خطان اسودان، مكان الخطين اللامعين اللذين يظهران في الطيف المتولد من ضوء بخار الصوديوم. أي ان بخار الصوديوم امتص من ضوء الشمس اللون الذي يطلقه هو، عند اشتعاله، فترك محل الخطين الاصفرين، خطين مظلمين. وبذلك فهمت خطوط فرونهوفر السود. واذن يمكن ان يقال، ان الابخرة التي في الفضاء بين الشمس والباحث تمتص من ضوء الشمس الخطوط الملونة او اللامعة التي تحدثها في الطيف، تاركة في الطيف خطوطاً مظلمة

وفي السنة ١٨٥٩ وهي السنة التي نشر فيها كتاب داروين في « اصل الانواع » صنع كيرشوف وهو في معمل بنصن الكيمياوي في هيدلبرج، آلة جديدة يتبين بها العناصر من مراقبة خطوطها، وأطلق عليها اسم سبكتروسكوب، أي آلة الطيف وقد ترجمناها بلفظ «مطياف». يؤخذ الضوء—في هذا الجهاز—من أي مصدر متوهج، فيمر في شق ضيق ثم تجمع عدسات خاصة في شعاعة واحدة قبل ان يخترق موشوراً يفرقه الى الالوان التي يتألف فيها، وهذا هو الطيف. والطيف يظهر على لوحة خاصة في المطياف، حيث دوّن طول الامواج الخاصة بكل لون من الالوان. فيستطيع الباحث ان يقول ارى في طيف هذا الضوء كذا خطوطاً في منطقة اللون الاصفر، وكذا خطوطاً في منطقة اللون البنفسجي. ثم عمد كيرشوف الى ضوء الشمس فجعله يخترق بخارات عناصر ومواد مختلفة، قبل حله حلاً طيفياً ومراقبة الخطوط السود التي تظهر في مناطق الالوان المختلفة، فأفضى به بحثه هذا الى اكتشاف ناموس عام هو الآتي: «ان غازاً متوهجاً يمتص من أشعة الضوء المنطلقة من مصدر حام للضوء تلك الاشعة التي يطلقها هو» فالحديد مثلاً اذا احمر حتى يصبح في حالة بخارية ووضع بين الشمس والمطياف، امتص من ضوء الشمس الذي يخترقه الامواج التي يطلقها هو، فاذا حل ضوء الشمس بعد ذلك في المطياف ظهرت خطوط مظلمة، في المنطقة التي تظهر فيه الخطوط اللامعة الخاصة بالحديد

وما كاد يداع هذا الاكتشاف، حتى أدرك العلماء مقتضياته. هنا مفتاح، يفتح لهم المغلق من اسرار السماء، ويدلّهم على تركيب الابخرة التي تحيط بالشمس. فالسما والارض التقتا في

معمل كيرشوف بل في مطيافه . وقد بلغ من حماسة العلامة هلمهلتز ان قال : « ان هذا الاكتشاف قد اثار من اعجاب الناس ما لم يثره اكتشاف آخر لانه يمكننا من التفوذ الى عوالم كانت ابدًا محجبة عنا » . ولا ريب في ان فكر هلمهلتز كان متجهًا ، عند ما فاه بهذا القول ، الى بناء الشمس والكواكب

وكذلك نقضت نبوءة الفيلسوف كونت . ان هذه الخطوط المظلمة في طيف الشمس ، تدل على وجود أبخرة معدنية وغير معدنية فيها . ذلك اتنا اذا عرفنا الخطوط الطيفية التي يمتاز بها عنصر من العناصر التي على الارض ، أمكننا بامرار ضوء الشمس في بخار ذلك العنصر ، ان نعرف ، هل هو داخل في تركيب الشمس او لا . ولولا الجدل الذي اثارته نظرية التطور العضوي التي بسطها داروين في كتابه ، لما انصرف اهتمام الناس حينئذ عن اكتشاف خطير ، كما اكتشاف كيرشوف هذا

ومن ثم اكبر كيرشوف على دراسة هذه الخطوط المظلمة عدداً وموقعاً . فبحر الحديد والكسيوم والمنغنيزيوم والباريوم والنحاس والستروتيوم والزنك والصوديوم والنيكل والكروم والكاديوم والمنغنيس وفلزات اخرى في حرارة الضوء القوسي وصنع خرائط للخطوط اللامعة في طيفها . ثم قابل ذلك بمواقع الخطوط المظلمة في طيف ضوء الشمس ، متبيناً المواقع التي تتوافق فيها الخطوط اللامعة بالخطوط المظلمة ، فاستدل من الخطوط اللامعة الخاصة او المميزة لعنصر ما ، على وجود ذلك العنصر في الغلاف الغازي الذي يحيط بالشمس ، وهو متأكد مما يفعل تأكد استاذ بنصن من العناصر التي تدخل في تركيب مركب على سطح الارض

وبذلك ولد علم الفلك الطبيعي والكيمياء المعروفة الآن باسم Astrophysics فخلب هذا البحث ألباب طائفة كبيرة من العلماء فأقبلوا على دراسة الشمس والنجوم لمعرفة العناصر التي تدخل في تركيبها بالمقابلة مع العناصر الداخلة في تركيب الارض . فلم يعثروا في خلال بحثهم الطويل على عنصر واحد فيها ليس له على الارض ما يقابله ، فأقاموا الدليل على الوحدة المادية الكونية . لأن الانسان وسائر الاشكال الحية والجامدة ومادة الشمس والكواكب والسيارات والمذنبات والعوالم الجزرية في رحاب الكون النائية ، قوامها جميعاً العناصر الكيميائية التي نعرفها . ولكن قبل انقضاء سنة ١٨٦٨ اعلن اكتشاف اثار الخواطر . ذلك ان باحثين ، لاحظا

ظاهرة جديدة ولكن كلاً منهما لاحظها على حدة . كان احدهما المسيو پير جول سيزار جانسن نجل موسيقي فرنسي ، وكان معنياً برصد كسوف كلي في غنتور في بلاد الهندستان . والآخر نورمن أسكير احد كتاب وزارة الحربية البريطانية حينئذ . لاحظ كل منهما بضعة خطوط لامعة في طيف الشمس . وكان «أسكير» أسبقهما الى القول بان هذه الخطوط اللامعة لا تقابل خطوط اي عنصر معروف على الارض . فكان ذلك غريباً ، لانه اذا صح ، عني ان في الشمس او في اكليلها عناصر ليست على الارض . فأطلق على هذا العنصر اسم هليوم (وهو مشتق من هليوس وهو لفظ يوناني يعني الشمس) . وقد ظل هذا العنصر مجهولاً على الارض الى منتصف العقد الاخير من القرن الماضي اذا اكتشفه رمزي الكيماوي الانكليزي . ومن العجيب ان سبيله الى اكتشافه كان اسلوب الحل الطيفي . فقد تبين في طيف مركب كان يعالجه خطوطاً تقع من الطيف حيث الخطوط الخاصة بالهليوم — العنصر الشمسي — فأدرك ان الهليوم موجود على الارض وبالحل الكيماوي تمكن من استفراده وهو الآن من اهم المواد الغازية ولا سيما في البلونات ، لانه خفيف وغير قابل للاشتعال

وقد كشف حتى الآن نحو ستين عنصراً في الشمس وكل منها له ما يقابله على الارض كانت سنة ١٨٦٨ التي كشف فيها عنصر الهليوم في الشمس ، تاريخاً ذا شأن في دراسة الشمس من ناحيتها الطبيعية لان العلامة جورج اليري هايل ولد فيها ، وهو أحد نوابغ هذا العلم وباعث الحياة والنشاط فيه بمخترعاته ومكتشفاته الباهرة

كان من المتوقع لهذا الفتي ، ان يخلف أباه في عمله الصناعي الكبير — مدير شركة مصنع للرافعات — ولكنه نشأ راغباً في البحث العلمي ، وتبين والده فيه هذه الرغبة فأثنى عليه وشجعه . قيل ان أباه رآه يميل الى البحث الميكروسكوبي ، في الحيويينات المائية ، فقال له انه اذا والى دراسته بطريقة منظمة فانه يبتاع له مجهرًا متقن الصنع قوي العدسات . وكذلك تقلب الفتي في اتجاهه العلمي من الحيويينات المائية الى الحفريات القديمة الى التجارب الطبيعية والكيماوية ، وكان والده في كل منها مرشداً حكيماً ، يحثه على الاجادة ويشجذ عزمه بما يهديه اليه من أدوات البحث والتجريب . وأخيراً خلب علم الفلك لبته ، فأقبل عليه بكل ما في عقله وجسمه من شغف وقوة

وكان لا يزال في السادسة عشرة من عمره عند ما ابنتى له والدهُ مرقباً — تلسكوباً — على سطح الدار، فقرر الفتى بعيد ذلك ان ينفق حياته في دراسة الاجرام السماوية، ولكنه أدرك من بدء حياته العلمية ادراكاً واضحاً الهدف الذي ينبغي ان يسير اليه. قال: ان رصد الاجرام واحصاءها وتدوينها في الجرائد عملٌ له قيمة عظيمة، ولكن ما ابغى، هو سلسلة من التجارب تسير بنا خطوة خطوة في ترقية العلم الجديد المعروف بعلم الفلك الطبيعي *astrophysics* وهو دراسة الاجرام الفلكية بالمطياف *spectroscope* والمطياف الرسّام *spectrograph*. قرأ كتابي لكير في الحل الطيفي وطبيعة الشمس وكتاب يونغ في الشمس، فاذا كنت مطالعها حماساً فصنع مطيافاً بنفسه وجرب به تجاربه الاولى بطيف الذهب والشرر ثم بطيف الشمس وكان في جامعة جونز هبكنز الاميركية عالم طبيعي من الطبقة الاولى يدعى رولند (Henry A. Rowland) وكان هذا العالم قد ابتدع طريقة تمكنه من تخطيط لوح من الزجاج او المعدن، خطوطاً دقيقة متلازمة متوازية حتى تمكن من صنع ٢٤ الف خط متوازية متساوية البعد بعضها عن بعض في ما مساحته بوصة مربعة. فالزجاج المخطط بهذه الطريقة، أفعل في حل ضوء الشمس الى الالوان المركب منها، من الموشور الزجاجي. وبه استعان رولند على صنع خريطته المشهورة لطيف الشمس، واليه استند هايل في حل بعض أغازها

كانت الشمس في نظر العلماء حينئذ محاطة بطبقات من الغازات الشفافة أعظمها طبقة تعرف باسم « فوتوسفير » اي الطبقة النيرة وهي بيضاء الضوء وفوقها طبقة اخرى مضيئة قوامها ابخرة العناصر الثقيلة وتدعى « الطبقة العاكسة » فطبقة ثالثة قوامها ابخرة العناصر الخفيفة كالايديروجين والهليوم والكسيوم عمقها ثمانية آلاف ميل وتدعى « الكروموسفير » اي الطبقة الملونة وخارج هذه طبقة تعرف بالاكيل قوامها غازات لطيفة تعكس الضوء وتفرقه وتمتد مسافة ملايين من الاميال. وكان تركيب هذه الطبقات حينئذ وكثافتها محجوباً بحجب الحفاء

وكان في جامعة برنستن في ذلك الوقت استاذ للفلك يدعى يونغ، انصرف عن التبشير الى علم الفلك، فأصبح في طليعة الفلكيين الاميركيين الذين عنوا عناية خاصة بمباحث جانسن ولكير في الحل الطيفي. فنجح اليه هايل الشاب، ورأى في مرصده مشهداً من مشاهد الطبيعة الرائعة

نعني اللسنة المندلعة من قرص الشمس ، فحزم امره هناك وقرّر ان يصرف بقية حياته في البحث الفلكي

كانت هذه اللسنة تندلع من قرص الشمس بسرعة ٢٥٠ ميلاً في الثانية وتمتد الى بعد ٤٠٠ الف ميل . فسأل نفسه كيف تتكون هذه اللسنة ومن اين تستمد هذه النيران الهائلة الوقود وما تأثيرها في الارض . أسئلة كان العلم لا يملك حينئذ الاجوبة الشافية عنها . قال هايل في نفسه : « ان هذه البوتقة النارية قد تمهد لنا السبيل لمشاهدات وتجارب ، لا قبل لنا بمثلها في معاملنا على سطح الارض » حيث يتعذر علينا الفوز بدرجات عالية من الحرارة والضغط تقارب درجاتهما على سطح الشمس

كان قاسيانوس قد ذكر في سنة ١٧٣٣ انه شاهد السنة الشمس وهو يرصد كسوفاً كلياً . ثم وصفها بايلي الانكليزي وصفاً دقيقاً بعد مشاهدتها في اثناء رصده لكسوف كلي وقع في ٨ يوليو سنة ١٨٤٢ . وكان بايلي هذا سمساراً وفلكياً هاوياً . ومع وصفه الدقيق لما شاهد عجز عن فهم سرها . فعزاها هو وغيره من علماء ذلك العهد الى القمر ، الا ان التدقيق في دراستها في اثناء كسوف وقع في سنة ١٨٦٠ أثبت انها تندلع من الشمس لا من القمر

ولكن اذا شاء العلماء ان يفهموا هذه الظاهرة العجيبة ، فلا يسعهم الاكتفاء برصدها ثواني معدودة عند وقوع كسوف كلي ، ولا بد من ابتداء وسيلة تمكنهم من دراستها في كل ساعة من ساعات النهار ، وذلك بحجب الضوء الباهر المنبعث من قرص الشمس . هذه المسألة حيرت هايل وهو لا يزال طالباً في معهد ماستشوستس التكنولوجي . وكان جانسن قد بحث في الموضوع فتيين في طيفه خطوطاً لامعة عرف انها خاصة بأحد الألسنة المندلعة من قرص الشمس ، فصاح اني أستطيع ان ارى هذه الخطوط في غير وقت الكسوف ، وبتغيير موقع مطيافه تمكن من تخطيط صورة لسان منها وعرف انه في الغالب مكون من الايدروجين لان خط الايدروجين كان أبرزها في طيفه . ثم أقبل هجنز على الطريقة نفسها فوسع الشق الذي يدخل منه النور فتمكن من رؤية لسان كامل كأنه يراه من نافذة

ثم حاول يونغ بعد ذلك ان يصور احد هذه اللسنة بالمصورة الضوئية فكانت الصورة غير واضحة فأهمل التصوير كوسيلة من وسائل البحث في هذه الظاهرة الشمسية . ولكن هايل اكب على البحث

عن طريقة تمكنه من هذا التصوير. وكان هدفه الفوز بصورة لقرص الشمس والالسنه مندلة منه، وان يتم له ذلك في رابعة النهار. وكان في احد الايام راكباً مركبة نقل كهربائية في شيكاغو اذ خطرت له طريقة لحل المعضلة التي تمهضه، ولكنه لم يعلم حينئذ ان هذا الحاطر نفسه كان قد خطر لغيره من الباحثين وان احداً منهم لم يفز بتحقيقه

كان الحاطر بسيطاً. قال هايل: اصنع شقاً سعته جزء من مائة جزء من البوصة في قطعة من الورق المقوى وامسك به بين عينك ومصباح كهربائي فلا ترى الا جانباً فقط من السلك المتوهج. فاذا هزرت الشق بان لك السلك المتوهج كله. فلما نحتاج اليه لتصوير الشمس، جهاز نضعه بين الشق المتذبذب والعين يحجب عنا كل الضوء الا الضوء المنطلق من عنصر واحد وعلى أساس هذا الحاطر صنع هايل جهازه المشهور المعروف باسم مطياف الشمس المصور او مصورة الطيف الشمسي Spectroheliograph بعد ما لاقى مصاعب لا توصف في صنعه فقلب عليها ببراءته ودكائه ومنابرته. وفي ٧ مايو سنة ١٨٩١ تمكن هايل من ان يصور صورة واضحة لاحد السنه الشمس في رابعة النهار بجهازه هذا

فلما ظهر الواح التصوير الضوئي وثبتها غلب عليه الفرح فأراها لصديقيه واستاذيه المرتابين يونغ ورولند. فاتفق من ذهنيهما اي شك في دقة الطريقة الجديدة ونجاحها. وكذلك تم على يدي هايل وهو في الثالثة والعشرين، آية من آيات الظفر العلمي في العصر الحديث بل ان هذا الجهاز كان فاتحة عهد جديد في دراسة الشمس من ناحيتها الطبيعية. وما ذاع نبأه حتى دعاه السر وليم هجنس Huggins رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني لعرض صور هذه على اعضاء المجمع. وكان بين الحاضرين العالم الفرنسي هنري الكسندر دي لاندر مدير مرصد الفلك الطبيعي في مودون على مقربة من باريس. وخرج دي لاندر من الاجتماع عائداً الى مرصده حيث والى مباحثه فلم تنقض بضعة شهور حتى ايسدت النتائج التي وصل اليها كل ماقاله هايل هوذا الابواب قد تفتحت والشمس قد استسلمت للمطياف والمصورة الطيفية، والعلماء لن يقفوا عند تصوير ألسنتها المندلعة من حواشها مكتفين بما صنعوا، بل لا بد من مهاجمة وجهها لكشف ما يخفيه من اسرار وراء ذلك الضوء الباهر المنبعث منه. وغرائب ما كشفوه عليه وفيه موضوع بحثنا القادم

پوشش کین

۱۷۹۹ - ۱۸۳۷

حلیم متری

إذا ما بدأت القصة ففتحني في بيت « ناريموث » الضابط في حرس القصر يجتمع وطائفة من أصدقائه في ليلة شتوية حيث يلعبون الورق ولقد ظلوا الى الخامسة صباحاً ولما تناولوا بعد طعام العشاء. فأما الطعام فقد أعد واختلف اللاعبون الى المائدة يلتمهونه التهاماً . فاذا ما بدأت « الشبانيا » تصب في الاقداح فقد حمي بينهم النقاش وطوى وانك لتسمع احدهم يسأل « سورين » عما ربحه فيقول له « انه خسر كالمعتاد . اذ ليس له حظ وسوف يظل هادئاً لا يضطرب على انه كثيراً ما يخفق في لعبه » ويقول له أحد الضيوف « وما رأيك في هرمان » وهو يعني احد الضباط من فرقة المهندسين « انه لم يلعب في حياته ورقة من ورق اللعب . بل لم يراهن . ولكنه شغوف بأن يجلس اليها حتى الساعة الخامسة في الصباح ونحن نلعب »

فاجابه هرمان : إن الورق ليس شغلي كثيراً على انني لن احتمل ضياع حاجة في سبيل متعة غير محققة وتحدث تومسكي قائلاً « ان هرمان رجل الماني دأ به الاقتصاد . وهو لا يحملني على شيء من العجب ولكن الشخص الذي لا يستطيع ان افهمه أو اسبرغوره هو جدي « الكونتيس حنه فيدورفيينا » فصاح به الضيوف جميعاً « وكيف كان ذلك » ؟ فأجاب : « لستين عام مضت زارت جدي وزوجها باريس ولقد أتاح لها جمالها الرائع ان تصبح حديث الناس . فلقد كان بعضهم يتسابقون وراء عربتها لكي ينوا اليها ويلروا « زهرة روسيا » تلك التي افتتن بجها « الكردينال ريشليو » ذلك الوزير العظيم الذي أوشك من فرط هيامه بها أن يشتجر . وكانت جدي تشهد الموارد الخضراء . فحسرت مرة مبلغاً كبيراً لدوق أورليان . ولما عادت الى منزلها أخبرني جدي بذلك وطلبت اليه توفية المبلغ . وكان يحشاشها ويفرق من سطوتها وبأسها وينزل منها منزلة العبد للسيد . غير انه لما سمع بخسارتها الفادحة تجاوز حده وأفهمها في شيء من الرفض أن ما يحمله من أوراق يثبت ان وجودها في تلك الفترة في باريس كلفها قرابة نصف مليون في مدى

سنة أشهر وان ذلك مما يحمله ايضاً على الرفض البات . فعند ذلك لطمته على صهام أذنه لطمه
 كادت تصمه . ونامت بمعزل عنه تلك الليلة . وفي الصباح أعادت عليه الطلب فوجده على الرفض
 مصرّاً . ولما انقطع أملها من ناحيته أخذت تفكر في الخلاص من ذلك المأزق وتذكرت رجلاً
 نبيلاً كانت تروى عنه احاديث كثيرة هو السكونت سان جرمان وكان معروفاً بحدة الذكاء وكانوا
 يزعمون انه مكتشف « اكسير الحياة » و « حجر الفلاسفة » . ومهما يكن من أمر هذه المزاعم
 فلقد كان رجلاً خلاب الحديث فتان المؤانسة وجيهاً في كافة المجالس والمجتمعات . وكانت جدتي
 تعلم انه ثري . فأزمنت أن تلجئ اليه واستدعته فأسرع اليها وحدثته عن قسوة زوجها ووحشية
 بأفزع عبارة . وطرحت عليه اعباء حاجتها الفادحة فأطرق الرجل ملياً ثم قال : اني قادر على
 امدادك بالمال ولكن اعلم انك لن تستريحي بعد ذلك حتى ترديه اليّ فكاني سأخرجك من
 مأزق لا وقعك في آخر وعلى ذلك فسأطعك على وسيلة تستردين بها خسارتك عن طريق المقامرة
 قالت جدتي : ولكن يا عزيزي السكونت انني لا املك من المال شيئاً . فكيف أقبل على
 اللعب وانا مفلسة ؟ . فقال سان جرمان « لا حاجة بك الى المال . تفضلي عليّ بالأصغاء »

ثم افضى اليها بسر غريب يتمنى لو يعرفه اي منا أو يشتريه بكل ما يملك من ثروة فذهل
 السامعون لهذا النبا واشتدت بهم الرغبة في المعرفة وأشعل تومسكي سيجاراً وشرع يدخن ثم
 استأنف الحديث قائلاً : « في أمسية ذلك اليوم ذهبت جدتي الى قصر فرساي للمقامرة وافتتح
 الدوق اورليان اللعب . فاعتذرت جدتي عن توفية دينها له ألطف اعتذار ثم بدأت تلعب ضده
 فاختارت ثلاث ورقات فلعبتها واحدة تلو الاخرى فربحت الثلاث جميعاً وبذلك استردت جدتي
 ما كانت قد خسرتها في الليلة السابقة مشفوعاً باريح طائلة »

قال أحد الضيوف « من عجب ان يكون لك جدة كهذه ثم يعيبك ان تستخرج منها هذا السر
 العظيم » . « هذا ضرب من الحال . لقد كان لجدتي أربعة بنين أحدهم والدي . ما منهم الا مقامر مغامر
 ومع ذلك فقد أبت ان تبوح لايهم بذلك السر على ما فيه لهم من نفع وجدوى . ولكن عمي الكونت
 ايفان اليتيم حدثني الحديث الا اني : وهو ان المرحوم تشابلتسكي الذي مات فقيراً بعد ان خسر
 الملايين على المائدة الخضراء فقد مرة ثلثمائة الف روبيل فكاد يجن حزناً وغماً فرثت له عمتي
 فأعطته ثلاث ورقات وأمرته ان يلعبها على التوالي وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ان لا يبوح
 بالسر وان لا يعاود اللعب بعد ذلك ما عاش . ففرض تشابلتسكي الى خصمه ولاعبه فأخطر على الورقة
 الأولى خمسين الف روبيل فربحت ثم ضاعف المبلغ على الورقة الثانية فربحت وضاعف على الثالثة
 فربحت وبذلك استرد فوق ما كان قد خسره : والا ان ايها السادة قد ان لنا ان تصرف فقد آذن
 الفجر ان يلوح والديك ان يصيح . . . » فشرب الجميع سوّراً أقداحهم وتوادعوا ثم افترقوا

— ٢ —

كانت الكونتيس العجوز عمة تومسكي جالسة في غرفة التواليت امام مرآتها ومن حولها ثلاث وصائف يقمن بمخدمتها . وكانت الكونتيس قد فقدت كل أثر من آثار جمالها الغابر ولكنها لم تفقد عادات شبابها المندثر من التجميل والزينة . وكانت تجلس قرب النافذة وصيفة لها حسناء تشتغل على منسج التطريز . تلك هي « ليزا فيتا » التي كانت تسدد نظرها نحو النافذة من حين الى حين ثم ألقت نسيجها وأطلت من النافذة . ولم تكن الا برهة حتى ارتفع لها في اقصى الطريق شيخ فتى في زي الضباط المهندسين . فاحمر وجهها خجلاً وتناولت نسيجها واستأنقت عملها على المنسج وفي هذه اللحظة عادت الكونتيس العجوز مستكملة اللباس والزينة . وتحدثت الى ليزا فيتا في ان تأمر الخدم باعداد المركبة ليخرجوا في نزهة : ولقد قامت الفتاة عن منسجها مثاقلة الخطأ كمن به ذهول ووقفت حائرة . فلمحت الكونتيس هذا فقالت : « ليزا فيتا . ماذا بك وما خطبك ؟ أبك صمم أم ذهول ؟ . نادي الخدم ومُرِّي باعداد المركبة في الحال »

انطلقت ليزا فيتا بسرعة وفي هذه الاثناء دخل أحد الخدم فقدم للكونتيس بضعة كتب هدية من الامير « پول الكسندروفيتش » ودعت الكونتيس وصيفةها لقراءة ما بالكتاب فاذا بدأت ان تقرأ فقد شعرت الكونتيس بأن موضوع الكتاب لا يعنها لانه سخيف ومن سقط المتاع ولقد أنبت الكونتيس وصيفةها لتأخرها في ارتداء ملابسها وعابت عليها تكرارها التأخير عند خروجها كانت الكونتيس متغيرة المزاج لم يهدأ لها بال . فما كادت « ليزا فيتا » تصل الى غرفتها حتى هبت الكونتيس الى جرس الغرفة تقرأه قرعاً مستمراً . فهجم ثلاث وصائف من باب وخادم من باب آخر . وصاحت الكونتيس قائلة « لقد أصبحت في قصري لا أطاع أو يسمع لي قول أو يؤبه لي . أين ليزا فيتا ؟ ألا خبروها اني قد عيل صبري في انتظارها . . . » وهنا عادت ليزا فيتا تحمل معطفها وقبعها فقالت الكونتيس . لقد طال غيابك يا ليزا فيتا . واراك تكثرين من امر الزينة والتجمل اكثر مما ينبغي ومن ياترى تتوين اقتناصه . . ؟ ثم مارأيك في جو اليوم . . ؟ ارى انه يوم عاصف فقالت ليزا فيتا . كلاً يا سيدتي انه ليوم هادىء ساكن الريح . وقال ذلك جميع الخدم ايضاً . وقالت الكونتيس : انه ليوم قطير عيوس . ألا تحسون الريح والبرد القارس . أعروا الخيل من السرج فلا سبيل الى الخروج اليوم . فتأملت الوصفة ليزا فيتا لهذه الحياة المليئة بالمتناقضات الالهية

— ٣ —

قبل وقوع هذه الحوادث بأسبوع كانت ليزا فيتا جالسة الى نافذتها في صباح يوم جميل تطرز على منسجها فحانت منها التفاتة الى الطريق فوقع بصرها على فتى من فرقة الضباط

المهندسين . وكان واقفاً لا يبدي حراكاً يطيل النظر الى نافذتها . فنكست رأسها وأقبلت على عملها . وبعد خمس دقائق أطلت ثانية من النافذة فاذا الفتى الضابط لم يبرح مكانه ولا يزال موكلاً طرفه بالنافذة . ولما لم يكن من شأنها مغازلة الضباط الناظرين الى نافذتها فقد شغلت بعملها في شيء من النشاط ومضت ساعتين كاملتين من دون ان ترفع رأسها . ثم دق جرس الغذاء فنهضت وتركته نسيجها . ثم حانت منها الفتاة الى الطريق فاذا الضابط لم يغادر موقفه فاشتد عجبها من ذلك . وبعد الغذاء عادت الى النافذة وهي تحمل شكاً وقلقاً ونظرت ولكنهم لم تجد للضابط أثراً فصرفت من ذهنها شبحه وتناستهُ

وبينا هي تهم بالركوب مع الكونتيس بعد ذلك بيومين أبصرت الضابط نفسه خلف باب المركبة مثلماً تنوقد عيناه السوداوان من خلال لثامه فأوجست منه خيفة لغير علة واضحة وأخذت محلها من المركبة والرعب يرجف أوصالها . ولما عادت الى المنزل اسرعت الى النافذة فاذا الضابط في موقفه القديم يديم اليها النظر . فارتدت منقبضة وتمسكها نوع غريب من الشعور لم تدرك له معنى . ومن ثم فصاعداً لم يمض يوم الا ظهر ذلك الضابط تحت النافذة في الساعة المعهودة فنشأ بين الفتاة وبينه نوع من التعارف الصامت والصحبة الخرساء . فكانت اثناء عملها على المنسج تحس ريحه وتشعر بروحه ثم ترفع رأسها لتنظر اليه وجعلت نظراتها ترداد على مرّ الايام وكان الفتى قد فطن الى هذا فارتاح اليه وكأنه يرسل من عينيه معاني الشكر والغبطة وكانت الفتاة تبصر احمرار وجهه كلما تلاقت الحاظهما . وبعد اسبوع بدأت تبسم له ولعل هذا الحديث يفهمنا ان ذلك الفتى هو « هرمان » الذي ورد ذكره في أول هذه القصة وعُرف بأنه من فرقة الضباط المهندسين

— ٤ —

كان هرمان ابن رجل الماني استوطن روسيا وتجنس بالجنسية الروسية وكان قد ورث عن أبيه ثروة لا بأس بها . وكان شديد الاقتصاد في النفقة يجتريء من مرتبه ولا يمس ميراثه وكان جم الحشمة والوقار بعيد المطامح والمطامع له من قوة عزيمته وحزمه اشد رادع وقامع لشهواته فكان من فرط ميله للمقامرة لم يمس ورق اللعب قط . وكانت قصة الورقات الثلاث قد أثرت في نفسه أشد تأثير وأشعلت خياله فجعل يسهر الليالي لا يفكر في غير ذلك ثم بحث عن قصر الكونتيس حتى عرف مكانه وأبصر الفتاة ليزا قيثا وهي تطرز على منسجها فأزمع ان يصل اليها مهما كلفه ذلك ليتخذها سلفاً للوصول الى سيدتها الكونتيس لكي يعرف سر الورقات الثلاث منها طوعاً او كرهاً ثم كان من امر وقوفه ازاء النافذة ومخالسته النظرات للفتاة وتحديه اياها ما كان تحدثنا في ان الكونتيس بعد ان امرت باعداد المركبة عادت وامرت ثانياً بفك الخيل

ولكنها ما لبثت ان امرت باعدادها ثانياً . وكذلك لم تكد ليزا فيتنا تنزع معطفها وقبعها حتى امرت بلبسها ثانياً وخرجت مع سيدتها للنزهة ولم تكد العربدة تبدأ في السير حتى لمست يد ليزا فيتنا يد أخرى وألقت فيها ورقة فأخفتها في قفازها وظلت طول النزهة لا تسمع ولا تعي ولا تفقه . وكما ألفت عليها الكونتيس سؤالا — وما كان أكثر ما تسأل — أجابها اما بالصمت ولما بما هو شر من الصمت من جواب سخيخ خارج عن الموضوع حتى ضجعت الكونتيس وانهاالت عليها سباً وشتماً ولما عادت ليزا فيتنا من النزهة اسرعت الى فض تلك الرقعة التي وصلتها من هرمان . فاذا بها قطعة من عاطفته وهيامه سداها الحشمة ولحمها الادب . فطربت لهذا الطرب كله على ان سرورها كان مشوباً بنوع من القلق والاضطراب لا ارتباطها لاول مرة بشاب غريب بعلائق سرية خصوصية وقد كان في شدة جرأة ذلك الشاب ما اخافها وأرهبها فأخذت تعنف نفسها على طيشها وتهورها . ولم تدر ماذا تصنع أتتهجر النافذة والجلوس اليها ؟ فقطع آمال الشاب بهذا الجفاء ؟ أم ترد اليه رسالته فتبئسه أم تحييه عنها جواب رفض وإباء ؟ وبعد طول الحيرة والتردد حررت له الرقعة الآتية : « لاشك عندي ان غرضك شريف وانك لا تود ان تؤذيني بما يخرجنني أو يسيء الى سمعتي غير اني لأحب ان يكون بدء تعارفنا بهذه الطريقة التي تسلكها » ولما ظهر هرمان في اليوم الثاني تحت النافذة ألقت بالرقعة على الطريق . فسرعان ما التقطها وذهب بها الى محل حلوى ففص غلافها فألقى داخلها رسالته مردودة والجواب عليها وكان قد توقع ذلك فأقلب الى داره وذهنه مشغول بما كان يدبره من الدسيسة . ولقد أرسل لها فتاة حائكة بعد ثلاثة أيام رسالة منه ففضتها وهي ترجو ألا تكون من غريم يطالب بدين . ولقد أحببت ان تنكر الرسالة متجاهلة صاحبها ولما كان هرمان يطلب لقاءها فقد ازعجها وقاحة هذا الطلب وصاحت قائلة ان تلك الرسالة لم تكن لها فقالت لها الفتاة . ولماذا مزقتها إذن ؟ لقد كان ينبغي ان تردها الى صاحبها . . . فارتبكت ليزا فيتنا امام هذه الملاحظة الدقيقة وقالت أرجوك ألا تأتيني بأية رسالة أخرى وخبري مرسلتك ان هذا عار عليه . ولم يكن هرمان بالرجل الذي تصده مثل هذه الصدمة . فأضحت ليزا فيتنا لا يمر يوم الا أنها منه رسالة مشحونة بآيات الوله والصبابة والاستعطاف فكانت تنم على عزيمته وصلابة ارادته وطمحاته خياله الجامح الشرود الذي لا ترده شكية أو يثنيه عنان . أما الفتاة فقد وهنت امام هذا السيل الجارف فأذعنت واستكانت ولم تعد تقوى على رد تلك الرسائل . بل جعلت ترتاح اليها وتجدها حلوة في سمعها وبدأت تحييه على رسائله وكانت ردودها تزداد على الايام اطناباً واسهاباً ورقة وغزلاً الى ان ألفت اليه من نافذتها ذات صباح بالرسالة الآتية : « في هذه الليلة ستقام حفلة راقصة في دار السفارة وستشهد الكونتيس هذه الحفلة وسأظل معها هنالك الى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وسيدقي المنزل خالياً الا من

البواب وهذا دأبه النعاس . فاطرق المنزل الساعة الثانية عشر . فاذا عثر بك أحد في الساحة فاجعل حجبتك السؤال عن الكونتيسة وارجع بسلام ولكن من المنتظر ألا يعثر بك أحد فاعمد الى غرفة الكونتيس تجدها حاجزاً خلفه بابان فافتح الباب الايسر يؤدي بك الى دهليز في اقصاه سلم يفضي الى غرفتي فانتظري بها »

وفي الساعة الثانية عشر صعد هرمان سدة الباب ودخل الساحة المشرقة بالمصاييح الوضاءة ولم يجد أثراً للحارس فرقى السلم حتي بلغ حجرة الكونتيس التي بها مضجعها . فألقى في احدى زواياه شبه محراب مزداناً بصور القديسين وتماثيل القديسات ينيره مصباح من الذهب الابرز وحول الحجرة فمارق وأرائك عليها وثير الوسائد وقد فصلت اصابعها لتقدم العهد ورقمت عليها يد القدم سطور الوحشة والكتابة وكان على احد الجدران صورتان من صنع المصورة الباريسية المشهورة « ليدا » احدهما تمثل رجلاً ربعة بادناً أشقر يناهز الاربعين في حلة عسكرية، خضراء هو « زوج الكونتيس المتوفى » والصورة الاخرى تمثل الكونتيس في صباها . وفي جوانب الغرفة تماثيل شتى من الشبه والحزف والصيني وساعات وصناديق بها حلي وزخارف ومراوح وشتى اصناف من اللعب والتحف

وقف هرمان خلف الحاجز فألقى لدى ظهره سريراً من الحديد وعلى يمينه باب المقصورة الخاصة بالكونتيس وعلى يساره الباب المؤدي الى الدهليز ففتحه فأبصر السلم المفضي الى حجرة الوصيعة ليزا فيثا ولكنها أغلقة ولبث مكانه . من الوقت بطيئاً وكان السكون سائداً وظل هرمان واقفاً مستنداً الى ريف الموقد الحامد ودقت الساعة الواحدة ثم نصفاً ثم اثنتين واذا ذلك سمع وقع حوافر وصير عجالات من أقصى مسافة فاعترتة رجفة شديدة وهزة عنيفة وتقدمت المركبة ثم وقفت . وسمع حركات الوصائف بالقصر غايات رائحات في هرج ومرج . وأشعلت المصاييح وتألفت أضواؤها ودخل حجرة الكونتيس ثلاث وصائف وعلى أثرهن الكونتيس وقد اعياها التعب . فتهاكت على كرسي وهي أشبه بالاموات منها بالاحياء . ونظر هرمان من خلال الحاجز فأبصر ليزا فيثا عن كئيب وقد ولجت الباب الايسر وصعدت في السلم المؤدي الى حجرتها . فأحس نوعاً من الالم والندم على خيائته اياها وغدره بها ولكنها ما لبثت ان قسى قلبه وكتم صوت ضميره وعاد الى جموده

خالت الكونتيس ثياب الزينة وارتدت جلباب النوم وجلست الى النافذة بعد ان صرفت الوصائف واطفأت المصاييح الا قد يلا ضئيلاً كامد الشعاع . وكانت الكونتيس مصابة كالعجائز بالاراق فلبثت مكانها من النافذة صفراء الوجه والبشرة كالنم غمست في حوض من السكرم تتحرك شفنها وتترجج ينفه وبسرة . وكانت عيناها السكلياتان الثقيلتان تنهان على ذهول وتله

وكان اهتزاز جثنها رعدة كهربائية منبعثة من أحشائها . ولكن وجهها المتعب تحرك بغتة فوقف ارتعاش الشفتين وبدأت أمارات الحياة في عيها . ماذا جرى ؟ لقد ظهر امامها جل غريب مجهول . . . وقال هرمان لها « لا تخافي لست بضارك . لقد جئت أسألك حاجة » . فنظرت إليه العجوز في صمت كأنها لم تفهم مقالته وظن هرمان انها مبتلاة بالصمم فأدنى فمه من أذنها وأعاد ما قاله فتمادت العجوز في صمتها

وقال هرمان « ان في مقدورك اسعاد حياتي وترفيه عيشي . ففي استطاعتك ان تسمي لي ثلاث ورقات من ورق اللعب » . وهنا سكث هرمان اذ بدا له أن العجوز بدأت تفهم كلامه وكأنها كانت تعالج سكرة من سكرات الألم أو الموت ثم تعالج نفسها على ان تهىء له جواباً . فقالت له : « لم يكن ذلك الا من باب المزح والفكاهة »

فأجابها هرمان « كلا ان الامر جد لا هزل فيه . اذ كرى صاحبك تشا بلتسكي الذي اقلت عزته و فرجت غمته وأعنته على استرداد خسائره الا تستطيعين تسمية هذه الورقات . » فتمادت العجوز في سكونها وهنا خر هرمان راكعاً تحت قدميها وقال « لمن تدخرين هذا السر لذريتك واحفادك وقد أغناهم الله عنه بالثروة الطائلة والنعمة الفسيحة . رحماك ايها الكريمة . واذا كنت تعرفين شعور الحب — حب العاشقة لعشيقها والام لرضيعها والشقيقة لشقيقها . فأني استحلفك بعواطف العاشقة والوالد والشقيقة وبكل ما هو مقدس في الحياة الا ما أجبت دعائي وقضيت حاجتي »

كان ذلك والكوكتيس صامتة لا تبس فعند ذلك ثار هرمان وصاح « تبألك من عجوز شوهاء لا رغمتك على الكلام ارغاماً وأخرج مسدساً من جيبه . فبدأت علامات القلق على العجوز فرفعت يديها كأنها تحاول القاء القذيفة واستلقت على ظهرها وبقيت مسلوقة النطق والحركة . فصاح هرمان وقبض على يدها أجبي اني أسألك المرة الاخيرة . أجبي ما هي الورقات الثلاث ؟ » فلم تحر جواباً وتأمل هرمان في وجهها فاذا هي جثة لا حراك بها

كانت ليزا قتيلاً جالسة في غرفتها وقد ضمت ذراعيها الحاسرتين على صدرها العاري وقد أرسلت الخادم ألا يعود بعد أن سألتها مراراً عما يمكنها أن تقضيه لها من حاجة وكانت تحمد الله كثيراً لان هرمان لم يحضر واستلقت على مقعد لتراجع ذكري الحوادث الاخيرة . فلقد انقضت ثلاثة أسابيع عند ما لمحت هرمان من النافذة ثم شرعاً يتراسلان . انها لا تذكر انها حدثت لساناً بلسان ولكنها عرفت اسمه من امضائه على الخطاب . وانها لتذكر المصادفة الغريبة الا وهي ان في تلك الليلة الراقصة وتومسكي يرقص معها بعد ان تنحى عن الرقص مع البرنيسية بولينا بدأ يذكرها بحبها لهرمان وهي تذكر هذا الحب فيقول تومسكي لها « ان هرمان شخص

رومانتيكي وله وجه كئابلون ونفس كيفستوفيلس ولعل ضميره يحمل وزر ثلاث جرائم ..
ولماذا علت وجهك تلك الصفرة ؟ ...

بعد فترة دخلت الاميرة بولينا وسيدتان . وتحدثت الاميرة مع ليزافيتا عن تومسكي ثم خرجت ورفقة تائها وتركن الفتاة تستعيد كلمات تومسكي شاردة الفكر لا يستقر لها حال أو يهدأ لها شعور . وفيما هي على هذه الحال اذا بالباب يقرع ويدخل منه هرمان . فتسأله في شيء من العجب عن امره . فيجيبها انه كان في حجرة الكونتيس ولقد تركها وهي جثة بلا روح .. فتقول له . يا لله . ماذا تقول ؟ فجلس هرمان وقال انه يخشى ان يكون هو السبب . وأصغت الفتاة الى حديثه وفرائصها ترتعد وقص عليها ما كان من امره مع الكونتيس . فعرفت مرماه وتبينت هدفه وفهمت ان تلك الرسائل الغرامية وان هذا الحب لم يكن مصدرها الخير والحب لذاته ولكن مصدرها الجشع وانها لم تكن الا آلة صماء في يد سارق أثم . فذرفت دموع الندم مرة حارة وجعل هرمان ينظر اليها صامتاً وقلبه نهب الوسواس الاليمية

وقالت ليزافيتا . انك لوحش ضار . وبدأ الصبح يتنفس وقامت ليزافيتا فأرشدته الى السلم السري وقد ضغط على يدها الباردة يودعها . ولما انكفأ هرمان في مساء اليوم التالي الى غرفته انطرح على مقعد بها مهوك القوى دون ان ينزع ثيابه فاستغرق في النوم ولما أفاق من هجمته كان الليل قد ختم وألقى القمر اشعته على ارجاء الغرفة . وانه كذلك اذ فتح عليه باب الحجرة ودخلت امرأة في ثوب ابيض فدنّت منه واذا هي الكونتيس قائلة له بصوت ثابت . « لقد جئتك على غير ارادة مني . ولكن امرت ان اُجيء فجت . سترج اذا لعبت الورقات الثلاث الآتية على التوالي — كل واحدة في ليلة . ثم لا تعيد الكرة والورقات هي ثلاثة وسبعة وآس ... ولكن لا بد من ان تزوج من ليزافيتا ايحانوقنا »

لما ماتت الكونتيس كان هرمان ممن ذهبوا لتأدية العزاء في الكنيسة فوقف يتلو الصلاة ويستغفر الله فيما فعله من اثم وما ارتكبه من جرم . واخترق الصفوف وأقبل نحو النعش ونظر الى الحجة فاذا الكونتيسة يلوح عليها انها تنظر اليه في شيء من السخرية .. فاستولى عليه ذعر فارتدت فرعاً فوق مغشياً عليه . اما ليزافيتا فخرجت من الكنيسة وهي تحمل ألماً مبرحاً مرتجفة مهمومة

— ٥ —

كانت هنالك جمعية في موسكو يرأسها شيكالتسكي وهي تضم حيازة المقامرين وفي ذات ليلة قدم هرمان في صحبة تومسكي . وبدأ تومسكي يقدم هرمان الى شيكالتسكي وانضم هرمان الى جماعة المقامرين ودارت رحى الميسر وانتهى الدور الاول وبدأ شيكالتسكي يوزع الورق . فقال هرمان له اتسح لي ان آخذ ورقة . فامحى شيكالتسكي راضياً . وقال هرمان . « اريد

الاشترك . وكتب ارقاماً بالطباشير على ظهر ورقة . فقال صاحب البنك « على اي مبلغ يا سيدي معذرة فأنتي قصير النظر » . فقال هرمان « على سبعة واربعين الف روييل اعني كل ما ورثته عن ابي » . وعند سماع هذه الكلمة انتفض جميع المقامرين والمتفرجين ولم يصدقوا بناءً ولبشوا فترة في ذهول ودهشة . وقال تومسكي في نفسه : حقاً لقد تورط هرمان في تفكيره وخولط في عقله . وقال شيكالتسكي : « هذا مبلغ باهظ فلم يسبق ان جازف مقامر باكثر من مائتين وخمسين روييل دفعة واحدة » فقال هرمان . قد يكون قولك حقاً ولكن أيقبل الرهان على هذا المبلغ ام لا ؟ فأنحنى شيكالتسكي قبولاً وقال « اسمح لي مع مزيد ثقتي بتصريح اصدقائي اني لا أقامر الا على النقد الحاضر ولكن محافظة على اللعب اطلب اليك ان تضع المبلغ على ورقك » . فأخرج هرمان بنكوثاً اعطاه الى شيكالتسكي وألقى هذا بيده عليه وأرفقه بورقة هرمان وشرع ينثر الورق فظهر على اليمين « تسعة » وعلى اليسار « ثلاثة » فقال هرمان ان ورقته رابحة . فأظهر الجميع عجبهم ودهشتهم وعبس وجه شيكالتسكي غير ان ابتسامته لم تقارق ثغره ودفع له مبلغ ربحه . وفي اليوم الثاني اشترك هرمان في الدور الثاني وبدأ ينثر الورق على رأس ماله وأرباح الامس فظهر على اليمين « عشرة » وعلى اليسار « سبعة » وهي الرابحة فضج المقامرون وبدأ القلق يساور شيكالتسكي وتناول هرمان ارباحه الجديدة وغادر المكان . وفي اليوم الثالث ترك الجميع اماكنهم وأحاطوا بمائدة هرمان وقد وقف ليلعب مع شيكالتسكي وهو على شدة تأثر لم يزل يفتقر ثغره عن ابتسامته الطبيعية فتناول كل منهما رزمة من الورق وشرع شيكالتسكي يوزع ورقه ويدها ترنجان فصاح هرمان بملء فيه « هذا هو الآس ! لقد ربح » فأجابه شيكالتسكي في شيء من الهدوء والاحترام . لا يا سيدي . ان الذي في يدك ليس الآس ولكن « ملكة البستوني » وقد خسرت . فانتفض هرمان ونظر الى الورقة فوجدها « ملكة البستوني » . ولكن من الذي غير الورقة تلك لا شك قوة شيطانية وأعاد النظر الى الورقة فاذا بها صورة الكونتيس وهي تبسم له وتغمز له بعينها في هزء وسخرية . فصاح وقد ملكه الرعب « الكونتيس العجوز » « الكونتيس العجوز » وشرع شيكالتسكي يجمع ارباحه ولبث هرمان فاقد الحركة برهة من الزمن واستأنف شيكالتسكي اللعب مع المقامرين . اما هرمان فقد جنّ وهو الآن زيل احدى الملاجي الخاصة بمرضى العقول لا يعي قولاً أو يفهم أمراً ولسانه دائم التردد « ثلاثة سبعة . ثلاثة سبعة ملكة البستوني »

وزوجت ليزافيتا ايغانوفنا من فتى رشيق ممن كانوا في خدمة الكونتيس وعاشت معه في كنف السعادة ورغد العيش

قسم الطفيليات

مريث الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

استاذ الطفيليات في كلية الطب

— متى انشئ قسم الطفيليات في كلية الطب ، وما هي دائرة نشاطه ؟

١ — منذ انشاء مدرسة الطب في سنة ١٨٢٧ ، كان موضوع البحث في الطفيليات من أهم ما اشتغل به أساتذتها ، ومن أهم البحوث التي قاموا بها ، والاكتشافات التي عثروا عليها . لان أمراض البلاد الحارة الكثيرة الانتشار في مصر يرجع سبب أغلبها الى الطفيليات . ولكن في السنوات الأولى من تاريخ المدرسة كان البحث في الطفيليات عملاً مشاعاً بين كثير من الاقسام ولم يكن له قسم خاص بالذات . وأهم الاكتشافات في القرن الماضي كان حوالي سنة ١٨٥٠ ففي ذلك التاريخ ، وبالتحديد في سنة ١٨٥١ اكتشف الاستاذ تيودور بلهارس الاستاذ في مدرسة الطب المصرية في ذلك الوقت الديدان المشهورة باسمه والمسببة لمرض البلهارسيا الذي يصيب في الوقت الحاضر ٧٥ ٪ من المصريين . وكذلك اكتشف استاذ الاستاذ جريسنجر الذي كان ناظراً لمدرسة الطب في ذلك العهد اكتشافاً من أعظم ما تم في تاريخ طب البلاد الحارة . اذ انه بين لأول مرة علاقة ديدان الانكلستوما بالمرض المعروف بالانيميا المصرية او الرهقان المصري ووجد فيما بعد ان هذا المرض يصيب نصف سكان الكرة الارضية . وكذلك اكتشف بلهارس عدداً كبيراً من الطفيليات لأول مرة . وفي السنين الاخيرة من القرن الماضي بدأت أعمال الطفيليات تتركز في قسم التاريخ الطبي بمدرسة الطب وكان الاستاذ فيها المرحوم عثمان باشا غالب وله بحوث هامة واكتشافات تعدت دائرة الطب إلى دائرة الزراعة ، فاكشف دودة القطن وغيرها . وبعد ان ترك عمله في المدرسة لأسباب لا داعي لذكرها انشئ في مدرسة الطب لأول مرة كرسيًا لعلم الديدان الطفيلية وهو من أقدم الكراسي في العالم في هذا العلم ويرجع تاريخه الى سنة ١٨٩٦ وقد شغله اذ ذاك العالم العالمي المرحوم الاستاذ ارثر لوس الالماني . وإبان قيامه بالعمل اكتشف جملة اكتشافات تعد في الدرجة الأولى في أمراض البلاد الحارة وعلم الطفيليات فهو الذي اكتشف ان عدوى الانكلستوما تصل الى الانسان بطريق الجلد مما كان موضع الدهشة في العالم كله . ووجد فيما بعد ان هذا طريق تتبعه كثير من الطفيليات مثل البلهارسيا . وقد انفي هذا الكرسي التاريخي عند اعلان الحرب العالمية نظراً الى جنسية الاستاذ لوس وترك شاغراً يقوم بالتدريس

فيه بين آونة وأخرى أشخاص يتدبون لمدد قصيرة من الجيش البريطاني، ومن وزارة الزراعة. وبعد الحرب ألحق قسم الطفيليات بقسم الباثولوجيا حيناً من الزمن. وبعدئذ انتدب له الأستاذ الحالي (الدكتور خليل بك) من الخارج. وبعدئذ ضمَّ عند تعيين الدكتور خليل بك استاذاً لعلم الحياة الى هذا القسم اي ان الحالة صارت الى ما كانت عليه ايام المرحوم عثمان باشا غالب. وظل الامر كذلك الى ان انشئت الجامعة وحوّل قسم الحياة الى كلية العلوم، فصار قسم الطفيليات قسماً مستقلاً الى الوقت الحاضر

— ما هي اهم النتائج العلمية لقسم الطفيليات في عهده الجامعي ؟

كان من نتيجة انشاء قسم الطفيليات في العهد الجامعي ان ابتدء بتدريب عدد من الشبان الناهين في الفروع المختلفة في علم الطفيليات وهي في الوقت الحالي ستة اقسام والسياسة الجامعية ترمي الآن الى وجوب ايجاد باحثين من الاختصاصيين في كل قسم منها. وهذه الاقسام هي :

١ — علم الطفيليات ذات الخلية الواحدة (البروتزوى)

٢ — علم الحشرات الطبية

٣ — الديدان — التريماثودا

٤ — الديدان الشريطية

٥ — الديدان الخيطية

٦ — الفطريات التي تصيب الانسان

وقد قام كل واحد من الاختصاصيين في هذه الاقسام المختلفة بعمل البحوث والميدان واسع جداً في مصر لمجهوداتهم ومجهودات الآخرين. ومن الصعب حصر جميع المؤلفات والرسائل الفنية التي نشرت في العهد الاخير في عجالة مثل هذه فهي تزيد عن ١٦٠ رسالة. واعتقد ان اهم الاكتشافات من وجهة العلاج ومقاومة الامراض المتوطنة في مصر هي ما يلي

١ — علاج البلهارسيا بالمركب الجديد « الفؤادين » الذي كان نتيجة ابحاث مشتركة بين

اطباء قسم الطفيليات بكلية الطب ومعهد الابحاث بوزارة الصحة الذي يشرف عليه استاذ الطفيليات ايضاً — والاختصاصيين الكيميائيين في معامل باير بالمانيا. وقد استمرت هذه الابحاث عدة سنوات

٢ — ادخال سمك الجبوزيا الى مصر لمقاومة انتشار الملاريا وهذا السمك موطنه الاصلي

اميركا الوسطى. ونقل الى اسبانيا وايطاليا لهذا الغرض. وأمكن ادخاله وتربيته واكثاره في

مصر من سنة ١٩٢٦. ولا يزال مستعملاً وقد أصاب استعماله قسماً وافراً من النجاح

٣ — اكتشاف البعوض الناقل للملاريا وداء الفيل في مصر وتحديد نوعه واما كن توالده.

وبذلك أمكن مقاومته

٤- اكتشاف تاريخ حياة الدودة التي تصيب الانسان في الامعاء وتسبب نوعاً من الاسهال او الدوسنطاريا اسمها (هتروفيش - هتروفيش) . وقد كانت هذه نتيجة ابحاث مستمرة استغرقت عشر سنوات

٥ - اكتشاف مناطق في القطر المصري موبوءة بالقرحة الشرقية ، (الشمانيا) وتقرير الطريقة الجديدة ، في العلاج

٦ - ادخال علاج الانكلستوما برايع كلورور الكربون في القطر المصري ووضع التعليمات وتقرير الجرعات اللازمة لذلك . .

— هل للعمل في قسم الطفيليات صلة بالمشروعات التي ترمي الى اصلاح حال الفلاح في القرى المصرية ؟

— قد روعي منذ بدء العمل في قسم الطفيليات بكلية الطب في مصر عدم الاقتصار على المسائل النظرية البحتة كما يعمل في بعض المعاهد في البلاد الأخرى . بل انتهزت الفرص في كل وقت للاستفادة من الابحاث العلمية البحتة، وتطبيقها والانتفاع بها، في المعالجة ومنع الامراض وسبب ذلك ان الابحاث وتطبيقها في جميع فروع الطب متيسرة وتدور بكفاءة ممتازة واستعداد عظيم في كثير من الامم الاوربية . والاعتماد في مثل بلادنا هو على الاستفادة من النتائج التي يتوصل اليها الباحثون في الخارج

ولكن الامراض المتوطنة في مصر ليست موضع اهتمام كبير في البلاد الاوربية . ولا ينفق عليها من الاموال كل ما تحتاج اليه . ولا ينشئ لها من المعاهد ما يناسب اثرها في البلاد الحارة . والذي يقوم بمثل هذه الاعمال هي البلاد ذات المستعمرات التي تنتشر فيها بعض هذه الامراض . ولذلك كان من الواجب علينا في مصر أن نقوم بعمل الابحاث اللازمة للتخلص من الامراض المتوطنة في القطر المصري خصوصاً وان للعوامل المحلية تأثيراً عظيماً في انتشارها وتوطنها وأثرها في مقدرة السكان وكفاءتهم العقلية والبدنية . وهذا الواجب لا يمكن ان يقوم به إلا مصريون يتفون كل حياتهم ومجهوداتهم على هذا العمل . وهو ما نرجو أن نكون قد وفنا اليه بعض التوفيق في قسم الطفيليات بكلية الطب ومعهد الابحاث في وزارة الصحة

وهذه الابحاث تتطلب نظراً الى طبيعتها التغلغل في القرى ودراسة جميع العوامل المختلفة التي تساعد على انتشارها وتبين طرق الاصلاح . ولذلك ننشر بين وقت وآخر آراءنا في مقاومة هذه الامراض في القرى المصرية ووجه الاصلاح في نفس القرى خصوصاً من وجهة توفير المياه الصالحة للشرب والتخلص من الفضلات . . . الخ لأن هذه هي العوامل ذات الأثر الاول في انتشار امراض الطفيليات

دار الكتب المصرية

مدير الركنور منصور فراهي بك

مدير دار الكتب

١ — ما هي أهم الأعمال التي تتوجه إليها دار الكتب العامة في مصر؟

يبدو لي أن أول مهمة لدار الكتب المصرية أن تعمل جهدها لحفظ تاريخ البلاد، بحفظ جميع الكتب والوثائق الخاصة به، وكل ما يتصل بمصر وما يمت إليها، وعلى الأخص ما يصلها بتاريخها العربي، وبما يناسب مقامها الحاضر كزعيمة للعروبة بين إقطارها وباحياء الآداب العربية ونشر موسوعاتها

والمهمة الثانية للدار أن تهىء جوًّا للبحث العلمي الخاص بحياة البلاد الاجتماعية وتاريخها الأدبي لكي يتسهم منه شباب الباحثين المصريين

والمهمة الثالثة هي أن تنظم الصلات العلمية بين المحيط الفكري في مصر وبين المحيط الفكري في البلدان الأخرى. فتكون الدار طريق اتصال بين البحوث المصريين، ونظرهم من الأجانب

وقد بدأ هذا الاتصال يتحقق، فإن الكثيرين من علماء الغرب والمستشرقين يغشون دار الكتب للترود بمعلومات شتى في التاريخ واللغة وغيرها، لأنهم يرون في دار الكتب المصرية أغنى مكتبة من نوعها في الشرق كله

وقد شجعنا توالي إقبال هؤلاء العلماء على الدار على إيجاد الترابط الفكري المنشود بين البحوث المصريين، والاوربيين

وزيادة على ذلك فإن مصر تعدُّ من أغنى بلاد العالم بوجود الأجناس من شتى الاجناس وشتى الطبقات. وهؤلاء الاجانب المحليون، في حاجة الى تثقيف انفسهم بالاقبال على الكتب المختلفة المحفوظة في الدار. ولا شك، أنه بتيسير سبيل التثقيف العام لهم في بلادنا ننشئ لهم نوعاً من الوطن الفكري فيشعرون نحونا بشيء من عرفان الجميل. وقد نستغل هذه الحالة، فننشئ في بلدنا المضيف نوعاً من التآلف والتآخي بين المثقف الاجنبي المحلي، وبين المثقف المصري، وفي هذا ما يحقق لنا لوناً من ألوان الترابط الانساني المنشود

وكل ما قدمت يسائر مهمة الدار العامة ، وهي نشر أنواع الثقافات بشتى المغريات والاساليب بين المصريين كافة ، وهم يعلمون الآن ، وسيئاً كدون غداً ان القراءة الجدية الميسرة هي الجامعة العظمى الحالية من كل قيد الا قيد الرغبة ، وان الرغبة في القراءة الصالحة تخرج مجتمعاً ناضجاً موفور الاحساس بنفسه وبمجاعته

ولست أشك ان هذا الاتجاه الذي تنوجه اليه دار الكتب ، يحتاج الى مزيد العناية بالدار نفسها ، فهي محتاجة ، الى بناء يتسق وهذه المهام المتعددة ، ويحتاج الى مال يتفق في سيخاء للحصول على الوثائق والكتب وغير ذلك مما يصور حياتنا الفكرية والاجتماعية في ماضي مصر وحاضرها

وأملني وطيد في ان تقدر الامة والحكومة معاً ضرورة هذه العناية الواجبة

٢ — يقال ان المتعلمين المصريين اليوم اقل اقبالاً على القراءة المجدية من غيرهم في الامم الاخرى فما هو رأيكم في هذا القول . وما هي أهم الفوارق بين الشباب المثقف الان ، والشباب المصري الذي كان يعيش قبل ربع قرن ؟

— دلت خبرتي على ان اكثر الشباب المحدثين في مصر ، وفي غيرها ، يميلون الى القراءات السهلة البسيطة ، ويفرمون بالمجلات والصحف المأجنة

ولعل بعض اصحاب الصحف انفسهم كانوا عاملاً كبيراً في ذلك لدأبهم على استغلال حب الفكاهة الغريزي في الانسان ومحاولة تحويل الآراء والافكار الى فكاهات . وعلى ذلك قد تمود الشباب الحاضر قلة الصبر عند القراءة العسيرة الجدية

اما في مصر فأظن ان علماءنا وكتابنا لم يوفقوا توفيقاً كبيراً في جذب الجمهور المثقف الى المستوى المنشود من التعمق ، وكنت أتمنى ان يكثر عدد الكتاب الذين تتوفر فيهم الدقة في الكتابة ، والثروة في التفكير الشخصي ، وحسن البيان

واني ألاحظ ان كتاب الحيل الماضي الذين قضوا وأذكر على سبيل التمثيل : قاسم امين ، ومحمد عبده ، وفرح انطون ، وشميل ، واليازجي ، وصرّوف ، والبستاني ، وزيدان ، والكواكي ، واحمد فارس ، والحضري ، وحفني ناصف ، والسيد البكري ، وابراهيم المويلحي ، ومحمد المويلحي ، وحزمة فتح الله ، وحسن توفيق ، وغيرهم رحمهم الله ، كانوا اساتذة لحيل جاد من الشبان ، لم يلهم زخرف الحياة الاجتماعية من سينما ورياضة وحياة سياسية موزعة ، عن التوفر

على القراءة والدرس الجدي ، فتتج عن استاذية هؤلاء الكتّاب جيل هو الذي يعيش اليوم متجاوزاً مرحلة الشباب وهذا الجيل يشرف على جيل جديد لم يستقر قراره الثقافي بعد ولم يتجه وجهة معقولة . ففريق منه يؤمن بالغرب ايماناً شديداً ، وينزع الى التجديد دون احتياط ، وفريق يؤمن بالقديم ويود ان يفنى فيه . .

واني أرى ان أولئك ، وهؤلاء .. اي انصار الغرب بكل ما فيه ، وانصار القديم بكل ما فيه ، يسرفون على انفسهم وعلى من يتصل بهم . فمن العسير ، بل من المستحيل أن تتحول البيئة المصرية الى بيئة اوروبية ، تتجاهل ماضيها الثقافي . ومن المستحيل ايضاً ان تعيش مصر في ثقافة القديم الذي طواه الزمن . .

اما ما هو الطريق الذي ينبغي ان يُسلك ، وان يكون قبلة للجيل الجديد ، فهذا ما لاسيل الى وصفه او تحديده الآن تحديداً دقيقاً . لأن الحالة وحدها هي التي تشقه . . . والحاجات الاجتماعية للامة هي التي تعبده . على انني ارجو ان يكون للجيل الناشئ من ابنائنا ثقافة تغذيها الطرافة والابتكار القائم على الشعور بالشخصية وعلى النقد الصادق والتقدير الصحيح لكل ما في الثقافتين القديمة والحديثة من شرٍّ او خير

ثم اني بعد ما قدمت اعود الى دار الكتب وأقول انه من حق الخدمات العلمية الخاصة التي تطع الدار في تحقيقها ان توفر لها ولرجالها الادوات اللازمة ، والجو المهيأ باعداد الامكنة التي تصالح لايواء العلماء والباحثين ، وتيسير سبيل البحث لهم

ولا يزيد ، اذا ما سرنا شوطاً بعيداً ، في تحقيق هذه الغايات ، ان تكون العاصمة وحدها هي مستقر هذه الجهود التثقيفية ، بل نطمح في ان يسري نشاط الدار الكبرى من القاهرة الى الاقاليم ، فتصل من حياتها حياة في المكتبات الاقليمية تخدم قضية الثقافة العامة ، وتحجب هؤلاء الساكنين بالمدن الصغيرة في القراءة . وقد ييسر هذا توحيد الاشراف على دور الكتب وربط بعضها ببعض

وانه ليروقني على ذكر نشر المكتبات وحسن الاشراف على مهامها ان أوجه النظر الى ان اتجاه التربية الحديثة في البلاد التي تقدمتنا يشعر بالعبء بالأمم الثقيلة والتعليم عن طريق المكتبات وأظن انه سيكون لهذا السبيل شأنه في المستقبل القريب . ولذلك لا أعالج اذا كنت ألح في طلب العناية بأمم المكتبات عناية تظهر في حسن الاشراف وحسن تخزين الكتب وتيسير ما يحدث أثراً صالحاً في القراءة الراقية وهو ما نعمل له الآن بدار الكتب بعناية الله تعالى ومعونة أولي الامر

دار العلوم

هريث صادق جواهر باب

ناظر مدرسة دار العلوم

السؤال

- ١ — نريد معرفة ملخص سريع عن تاريخ دار العلوم العليا منذ نشأتها حتى الآن ، مع بيان عدد طلابها ، ومتخرجيها
- ٢ — هل اتصل معكم بمعاهد الدراسات الشرقية في الشرق والغرب ، وما هو نوع هذا الاتصال
- ٣ — ما هو سر النضال بين الأزهر والجامعة المصرية ودار العلوم ، وإلّا لم ينتهي ؟
- ٤ — ما هي النتائج العلمية والأدبية التي وصل إليها معكم خلال دراساته الطويلة ؟

تلك هي الأسئلة التي وجهها إلينا «المقتطف» ، ونحن نشكر له في شخص محرره عنايته بتدوين تاريخ المعاهد العالية المصرية ، وما أشد حاجة الناس إليها في هذا الوقت ، وهي فكرة حميدة . ولعل أهم الأسئلة بعد السؤال الأول — هو السؤال الرابع ، وما كان أغنانا عن الخوض فيه لبدايته ، لولا رغبة المحرر في استيعاب المواد التي سبق نشرها عن المعاهد الأخرى بالجملة . وها نحن أولاء نذكر شيئاً عن الأسئلة الأربعة

— ١ —

« دار العلوم » اسم أطلقه المرحوم علي مبارك باشا مدير « ديوان المدارس » في عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا سنة ١٨٧١ على المدرج « الافتتاح » بسراي درب الجمالين الذي كان يحتفل فيه بالامتحانات السنوية امام سمو الخديوي أو نائبه ترغيباً في طلب العلم وتنشيطاً للمتعلمين إذ ذاك

رأى — رحمه الله — أن يشغل هذا المدرج بقيمة أيام السنة بالقاء دروس عالية عامة على طلبة الفرق العالية بمدارس الهندسة والحقوق والمساحة

ونظراً لما يجدد من المكاتب الأهلية « المدارس » وحاجتها الى معلمين ذوي كفاية للقيام بوظائفهم — فكّر في تأليف فرقة منتخبة من طلبة الأزهر الشريف يعيّن لهم مدرسون للتدريس في هذا المكان المسمى « دار العلوم »

ويقال ان الغرض الذي رعى اليه المرحوم علي مبارك باشا من إنشاء دار العلوم والعناية بها، هو تقريب مسافة الخلف بين معلمي اللغة العربية في المدارس وهم من الازهر الشريف، وزملائهم من مدرسي الجغرافيا والكيمياء وغيرها

فأراد أن يزود الفريق الأول من العلوم الكونية بما يعده عن المغالة والتخرج في العقائد، وبما يساعده على أداء مهمته ومزاولة عمله على الوجه المرضي، وقد تمّ له ما أراد وصار العمل بذلك سنة ١٨٧٢ حيث انتخب من الطلبة اثنين وثلاثين طالباً شكلت المدرسة منهم ومن خمسة من المدرسين كان من بينهم ثلاثة من مشهوري علماء الازهر الشريف. ووضعت المدرسة تحت ملاحظة المرحوم حامد نيازي افندي وكان معاوناً بدار الكتب المجاورة لدار العلوم وبذلك تكون دار العلوم أول مدرسة مصرية أنشئت لتخريج المعلمين

لم يكن للمدرسة يوم انشائها مكان إلا تلك الردهة المدرّجة التي كانت تسمى « دار العلوم » وبقيت بها حتى انقسمت الى فصول دراسية سنة ١٨٧٤ فنقلت الى الجانب الجنوبي من سراي درب الجمايز ثم نقلت من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٣ الى درب الجنيّة ثم عادت الى درب الجمايز حتى سنة ١٨٩٧

وفي أول اكتوبر سنة ١٨٩٧ نقلت الى بعض حجرات من الجانب الشمالي بمدرسة المبتديان « الناصرية » وكانت في المكان الذي به المدرسة السنية الآن

وفي سنة ١٩٠٠ شيد لها بناء مخصوص من طبقة واحدة في مكانها الحالي من حي المنيرة وكان تحيط به أراضٍ زراعية وبساتين. فنقلت اليه من أول اكتوبر سنة ١٩٠١ وفي سنة ١٩٠٤ بني عليها طبقة ثانية توسيعاً لنطاق أعمال المدرسة، ولما أنشئت تجهيزتها سنة ١٩٢٠ احتاج الامر الى توسيع بنائها فأضيف اليه جزء عظيم حوى مطعماً ومطبخاً وثلاثة مدرجات في الجزء الشمالي الشرقي خلفها وقد بقي اسم « دار العلوم » علماً على تلك المدرسة من وقت افتتاحها حتى اول مارس سنة ١٨٩٥ حيث سميت « مدرسة المعلمين الناصرية » وأسندت إدارتها الى حضرة امين بك « باشا » سامي واستمرت بهذا الاسم حتى سنة ١٩٢٠ وهي السنة التي أنشئت فيها التجهيزية فعاد اليها الاسم القديم « دار العلوم »

وقد أخذت المدرسة تسير في طريق الرقي الطبيعي حتى وصلت الى ما هي عليه الآن، إذ أصبحت تضم بين جدرانها من الطلاب ٤٥٧ طالباً ومن المدرسين ٣٨ مدرساً ولها ناظر ووكيل وضابطان وكاتبان

وقد بلغ عدد المتخرجين فيها حتى آخر العام الماضي ٢٤٣٥ منهم ١٤٣ تخرجوا في سنة ٣٥ — ٣٦

اما المواد الدراسية فكانت دعائمها العلوم الشرعية والعلوم العربية وفنون الأدب وعلوم التربية مع بعض المواد الضرورية لتثقيف المعلم كالعلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية مضافاً إليها لغة أجنبية « التركية او الفرنسية او الانجليزية » وكان تعليم اللغة الأجنبية اختيارياً وآونة إجبارياً . وقد حذفت الرياضة منها بعد انشاء التجهيزية واضيفت إليها اللغات السامية

واما الاساتذة الذين تولوا تدريس المواد المختلفة فكانوا من أشهر اقطاب العلم والادب في مصر، نذكر منهم الفيلسوف الكبير المغفور له الشيخ حسن الطويل والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والاديب المعروف الشيخ حسين المرصفي والفقوي الشهير الشيخ حمزه فتح الله والاستاذ اسماعيل بك رأفت في التاريخ والجغرافيا . الخ الخ . وجمهرة أساتذتها الا ان ممن تخرجوا فيها وقد استمر اختيار طلابها من طلبة الأزهر الشريف بامتحان يعقد لهم عند الدخول، حتى انشئت تجهيزية دار العلوم سنة ١٩٢٠ لتغذيتها، وحصلت أول فرقة منها على شهادة الدراسة الثانوية « قسم ثان » سنة ١٩٢٤ فكانت القسم العالي من السنة المكتبية ١٩٢٤ — ١٩٢٥ واستمر العمل على ذلك حتى بدء السنة الدراسية الحاضرة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ حيث أُنجِ حملة الشهادة الثانوية بالجامعة الازهرية ان يلحقوا بها . وذلك بعد الغاء التجهيزية للمرة الاخيرة سنة ١٩٣٥

ومما تجب الإشارة اليه ان فريقاً ممن أتموا الدراسة بمدرسة القضاء الشرعي طلبوا ان يدخلوا امتحان « دار العلوم » للحصول على « المعادلة » في العلوم التي لم يدرسوها فقبل طلبهم وادوا الامتحان سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٢٦ وما بعدها كما ان كثيراً من طلبة المدرسة المذكورة قد ألحق بالدار بنظام خاص

وفي سنة ١٩٢٤ انشئ بالمدرسة قسم مؤقت من حاملي علمية الازهر الشريف بجانب الاقسام الأخرى بالمدرسة

ومما يجدر ذكره انه يوجد الآن بين طلاب المدرسة نحو ٥٠ طالباً من الاقطار الاسلامية المختلفة يعني بالأشراف عليهم أستاذ من أساتذة الدار

وقد حصل على اجازة التدريس في السنوات الثلاث الأخيرة من هؤلاء الطلبة ٢٦ طالباً منهم عشرة فلسطينيون ، وسوري، وأردني ، وحضرمي ، وسبعة عراقيون ، وسومطريان ، وملايوي ، وطرابلسي ، وتونسي ، ومراكشي

هذا وتزمع الدار ان تسن للمدرسة خطة جديدة تسير النهضة القائمة الآن وترمي الى توسيع افق الطلبة في الثقافة العلمية وتوجيههم في الفرق النهائية الى التخصص في اللغة العربية

وعلم التربية ، وسيكون أساس هذه الخطة جعل مدة الدراسة خمس سنوات بدلاً من اربع مع العناية بدراسة لغة أجنبية دراسة إجبارية

— ٢ —

قد كان لهذا المعهد اتصال بأشهر معاهد الدراسات الشرقية في اوربا بمن كان يختار من خريجه لتدريس اللغة العربية في تلك المعاهد نذكر منها جامعات اكسفورد وكمبريدج وماثشستر ومدارس اللغات الشرقية ببرلين ولندن وباريس الخ الخ

وقد اتصل هؤلاء الاساتذة بالمستشرقين هناك وكان من نتائج ذلك ان نقلوا الينا بعض أساليب هؤلاء المستشرقين في مباحثهم ، وبخاصة تأليف الادب العربي وتدريسه

وأول من نقل الى العالم العربي بعض هذه الأساليب المغفور له حسن توفيق العدل افندي وكان متدياً لتدريس اللغة العربية بجامعة برلين ، فنقل طريقة الاستاذ بروكمان في تأليف الأدب العربي عصرًا عصرًا ، بالطريقة التي يدرس بها الآن ، وله الفضل الاول في سن هذه الطريقة على جميع أساتذة الادب العربي . وهو ايضاً أول من ألف في تاريخ الادب على هذا النحو . وقد درس كتابه في مدرسة دار العلوم ، وسار على سنته استاذ الادب العربي في الدار المرحوم الشيخ محمد المهدي والشيخ احمد علي الاسكندري ومن جاراها

وكان لاتصال خريجي الدار بالمعاهد الاوربية ، وبكبار المربين في اوربا ، أثر آخر في فنون التربية ، من هؤلاء المرحومون محمد نصار بك ، والشيخ شاويش بك ، وحسن توفيق افندي وغيرهم ، ممن نقلوا الى اللغة العربية كتباً في فنون التربية المختلفة تعتبر أساساً لهذه العلوم الآن

— ٣ —

اما سر النضال القائم الآن بين دار العلوم والازهر وكلية الآداب بالجامعة المصرية ، فهو ما يظهر لنا في إبان هذه النهضة الحديثة ، من الرغبة في تفوق كل معهد من هذه المعاهد على غيره ، والمزاومة في الحياة الفكرية والعملية ، مع ما هنالك من ضيق المجال في الحصول على وسائل العيش ، واحتلال المكان الاول في قيادة النهضة الادبية . وهذا النضال نضال شريف ، يبشر بحياة جديدة علمية أدبية سيتولاهم بلا شك النابغون من خريجي هذه المعاهد

وسينتهي هذا النضال بأن يثبت في الميدان المعهد الجدير بالبقاء ، لما آثره وإنتاجه العقلي ، ورسوخ قدمه ، وطول بلائه في اداء رسالته « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيك في الارض »

— ٤ —

لا ينكر أحد ما لدار العلوم من الآثار والانتاج في مناحي الحياة الادبية والعلمية في مصر والشرق العربي ومن أهم ذلك ما يأتي : —

١ — قيام خريجي دار العلوم بأعباء تدريس اللغة العربية وآدابها والعلوم الدينية ونشر الثقافة العربية في معاهد التعليم على اختلاف طبقاتها زهاء ستين عاماً ، فهي التي نهضت بتعليم اللغة قواعدها وآدابها ، وهذبت نواحي كثيرة من الكتابة ولغة التخاطب ، وقضت على الملهجات العامية والالفاظ الدخيلة التي كانت مسيطرة على السنة الكتاب والحطباء في كل ناحية من نواحي الحياة العقلية ، وهيأت الكتاب في الصحف اليومية والمجلات الادبية والقضاة والمحامين ورجال السياسة وغيرهم لأن يعبروا عن أغراضهم بعبارات عربية فصيحة او قريبة من الفصيحة ، وثقت عقول التلاميذ والطلاب حتى أصبحت أحاديثهم العامية معطرة بفصيح الكلام العربي . ولولا أساتذة اللغة العربية الذين بذلوا جهودهم وحياتهم في القيام بهذا الواجب لما وصل آدابنا وعلمائنا وسائر المشتغلين بالعلوم والفنون منا الى ما وصلوا اليه من اجادة التأليف والترجمة

٢ — قد اشترك خريجوا هذه المدرسة في القيام بنشر الثقافة الادبية وتأسيس فنون اللغة في المعاهد الكبرى كالجامعة الازهرية والجامعة المصرية ولا يزالون الى الآن عماد التدريس في هاتين الجامعتين واليه يرجع في كل ما يحتاج اليه من مساعدة في نشر الثقافة العربية وبخاصة الادب

٣ — شغل كثير من خريجي دار العلوم المراكز المختلفة في مصالح الحكومة وغيرها ، فكان منهم القضاة الأهلون والمحامون المبرزون في القضاء الاهلي والشرعي والمدرسون لعلوم الشريعة المبكرين لا ساليب التدريس الحديث في الفقه الاسلامي بمعهد الحقوق والقضاء الشرعي ، ولا ينكر احد فضل المغفور له الشيخ محمد زيد بك استاذ القضاء في المحاكم الاهلية . وكتبه تعد في مقدمة المؤلفات الحديثة التي سهلت طرق تدريس الشريعة الاسلامية . كما لا ينكر احد فضل الاساتذة الاجلاء محمد سلامة بك واحمد ابي الفتح بك والشيخ احمد ابراهيم بك في تدريس الشريعة ووضع المؤلفات النفيسة فيها

٤ — أما الانتاج العقلي في المؤلفات والمباحث العلمية والادبية عدا ما تقدم فكثير جداً ولهذه الانتاج إحدى خصائص ثلاث

الاولى : أنه أول انتاج في اللغة العربية في مواد لم تكن معروفة :
ومن أمثله : كتب المرحوم حسن توفيق في الادب والتربية

وكتاب المرحوم محمد نصار بك في التربية وعلم النفس
وكتب المرحوم الشيخ شاويش بك في التربية
الثانية : تيسير تناول بعض انواع العلوم بوضعها في اسلوب حديث يلائم روح العصر
والحاجة القائمة
ومن أمثلته :

كتب القواعد للمدارس الابتدائية والثانوية للاستاذة حفني بك ناصف ورفقائه . وتعتبر
هذه الكتب أول خطوة نحو تيسير تناول القواعد واستساغتها لتلاميذ المدارس وطلابها . وقد
تلها كتب أخرى حديثة قوامها خربجو « دار العلوم »
وكتابتا شذا العرف في علم الصرف وزهر الربيع في علوم البلاغة للمرحوم الشيخ
احمد الحلاوي

وكتب المنطق والاصول للمرحوم سلطان بك محمد
وللاستاذ الشيخ طنطاوي جوهرى أثر جليل في تفسير القرآن الكريم ، وكتاب في
فلسفة الشريعة الاسلامية

وللخضري بك مؤلف قيم في تاريخ التشريع الاسلامي
وكتب الادب العربي للاستاذ الكبير الشيخ احمد الاسكندري وكتب فقه اللغة له أيضاً
وفقه اللغة المصور للاستاذ محمد عبد الجواد من أساتذة الدار
ودار العلوم أول من وضع منهجاً لدراسة فقه اللغة في مصر
الثالثة : وصل النظريات الحديثة بالمذاهب القديمة في بعض العلوم كما فعل المرحوم الشيخ
شريف بك في كتابه علم النفس ، وكما فعل الاستاذان احمد عبده خير الدين ومحمد حسنين
عبد الرازق في كتب المنطق ، ولها الفضل في وصل المنطق الحديث بالمنطق القديم
وللدكتور احمد ضيف كتاب « بلاغة العرب في الاندلس » وهو مثال للتفكير الادبي
الحديث الناضج . وهو أول من قرن الادب العربي بالادب الغربي في تأليفه وتدريبه

أما إذا ذكر الشعر فإن « دار العلوم » غنية فيه برجالها . وان من أبنائها من يعتبر في طليعة
الشعراء وناشري فنون الشعر قديماً وحديثاً ، من هؤلاء المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب
شاعر البادية والاستاذ علي الجارم بك وكثير غيرهم من أساتذة الدار وطلابها

معهد التربية

مديره امين سامي منصور بك

ناظر معهد التربية

في الصيف سافرت الى انجلترا للاشتراك في مؤتمر التربية الدولي ، ومشاهدة المباحث المتعددة التي تعمل فيها شعبه المختلفة . وقد عدت من انجلترا وانا مقتنع كل الاقتناع بأن معهد التربية المصري لا يقل في مستواه عن ارقى المعاهد المتأطرة له في العالم . وسرى ، عند ما نبسط نظام معهدنا ، أنه يسير في جل نظمه وفق آخر ما وصل اليه علماء التربية في مؤتمرهم الاخير

تنقسم الدراسات في معهدنا الى قسمين : ابتدائي ، وثانوي . ويلحق بالاول منها الطلاب الحاصلون على شهادة الدراسة الثانوية ، ويلحق بالثاني الطلاب الحاصلون على درجة بكالوريوس في الآداب او العلوم . وليس الحصول على هذه الاجازات العلمية هو الشرط الوحيد للانتظام في المعهد ، بل هنا امتحانان يجتازهما الطالب اولها الكشف على الصحة العامة كشفاً دقيقاً ، وثانيهما ما نسميه امتحان الهيئة ، تتولى فيه لجنة مكونة من ناظر المعهد ووكيله واستاذ التربية الطبية واستاذ التربية الاجتماعية واحد ومدرسي العلوم واحد ومدرسي الآداب ، اختبار المستوي الفكري العام للطلبة المتقدمين ، ومحاولة تقدير عنصر الشخصية في كل منهم . ويتسع معهدنا الان لمائة وسبعين طالباً ، يقضي طلاب القسم الابتدائي ثلاث سنوات قبل تخرجهم ، ويقضي طلاب القسم الثاني سنتين . وقد وجدت في انجلترا ان حامي شهادة البكالوريوس يقضون عاماً على الاقل في المعهد . اما طلاب القسم الابتدائي فان مرحلة دراستهم تستمر أربعة اعوام . ونحن نرجو ان نصل . اما في اسكتلندا ، فهم هناك يختارون المدرس الثانوي من حازي اجازة الماجستير على الاقل ، ويمكنون في المعهد عاماً ونصف عام للدرس ويوضعون تحت التمرين مدة نصف سنة

يدخل الطلاب معهدنا ، لا لنحشو اذهانهم بالعلوم النظرية ، والدراسات المعقدة في الكتب ، بل لنكون منهم رجال اجتماع قبل كل شيء ، يعتمد الفرد في معلوماته على تجاربه ومشاهداته الخاصة ، ليكمل بها ما يقرأه في الكتب . فهو يمارس الرياضة البدنية على اوسع نطاق ، يلعب كرة القدم والهوكي وكرة السلة والبادمinton والالعاب القوى ويسبح ويجدف ويغرم بالالعاب السويدية . ولا تفرض هذه الألعاب على الطلاب فرضاً ، بل يأخذ منها كل طالب ما يوافق تكوينه الجسمي ، اذ الغاية منها القيام بتمارين علاجية Corrective exercises ، تصلح عيوب البدن ، وتقوم نواحيه الضعيفة . وبعد ظهر الاثنين من كل اسبوع ينقلب المعهد الى ملعب كبير تجري فيه أنواع التمرينات والمباريات على أحدث الطرق

ثم اتنا نفى عناية كبيرة بالحياة الكشفية فلدينا ١٣٠ جوالاً من ١٧٠ هو عدد طلاب المعهد

وإلى جانب الرياضة البدنية والعناية بها ، تمهد للطالب السبيل لتكوين ثقافته الاجتماعية ، ولا سيما ما يتعلق منها بالطفولة . فهو يزور مثلاً مستشفى المجاذيب ومراكز رعاية الطفل وإصلاحية الأحداث ، ويقف على نظرها ويدون مشاهداته وخواطره . . وهو يزور معالم البلاد الصناعية والتاريخية والعمرانية . لانتا لا نحيز أن يقوم مدرس بالتحدث لطلابه عن قتال السويس ، وهو لم يربط حياته قتال السويس ، او يشهد الموانئ والفنارات . ويعمد الطلبة عقب كل رحلة من رحلاتهم إلى الاطلاع — بقدر استطاعتهم — على ما كتب في موضوع رحلتهم من كتب او تقارير ، ثم يدونون خلاصة دقيقة لما رأوا وما علموا ، وما لاحظوا . .

ومن هنا نرى أن « شخصية » المدرس هي أهم ما نعتى ببراذه في طلابنا . ونحن نقوم الآن — مثلاً — بدراسة قانون نظام المدارس الحالي وهو قانون قديم يرجع الى اول هذا القرن ، ونصنع دستور المدرسة الحديثة مسترشدين بتجاربنا ، وبآخر ما وصلت اليه النظم الاوربية في هذه الناحية . وبعد أن نظهر في طالبنا « شخصية المدرس » التي ذكرنا ، نوجه كل قوته إلى حب الطفولة لكي يطبق عليها دراساته في رضى وقبال . فالطفل عندنا مقدم على المادة . والطفل هو الذي يكيف نظرية التربة ، لا النظرية هي التي تكيف الطفل . ولهذا فنحن ندرس علم النفس التجريبي دراسة عميقة . ونضيف إليه مادة جديدة هي مقاييس الذكاء . وقد تمكنا خلال السنوات الخمس الماضية من اجراء مباحث ممتدة في هذه الناحية ، وطبقناها على آلاف التلاميذ في جميع مراحل الدراسة ، وحصلنا بعد مجهود متواصل على مقاييس دقيقة تصلح لكل سن

وكان توزيع التلاميذ في الفصول يجري قديماً بحسب ترتيب الحروف الابجدية فيجلس التلميذ الموهوب بجانب الشاذ ، ويجلس الشاذ بجانب الغبي . ويؤدي هذا النظام الى الهبوط بمستوى الدرس الى درجة توافق الضعيف ، فتكون النتيجة ان يستهين التلميذ الموهوب اول الامر بدرسه ، فيهمل ، فيؤذى ويعاقب ، فيفقد الثقة بنفسه ، وبذا تنطفي لمعة ذكائه

اما الآن ، وبعد ان اوجدنا النظم التي تمكن بها من تقسيم الاطفال بحسب استعدادهم العقلي ، فقد استطعنا ان نوزعهم طوائف متقاربة تفصل كل واحدة منها عن الأخرى ، وتلقن كل طائفة من العلم ما يوافقها

وقد تحدثوا في مصر طويلاً عن الشواذ . والحال الملاحظ في وجوب عمل شيء من اجلهم . والحقيقة ان الشذوذ في الاطفال يرجع الى ضعف في العقل ، او في الجسم . ومن حق الامة على الدولة ان تعنى هؤلاء الشواذ . فنظام التعليم الاجباري يقضي بان يتعلم الجميع . ولذا ينبغي ان تكون لدينا مدارس للاعمى والكسبيح والابكم . وان يلقن هؤلاء من العلم ما يوافق حالاتهم ، مع العناية المبكرة بتقديم العلاج لهم ان كان في الاستطاعة علاجهم لان كثيراً من هذه الحالات

تستعصي على الطب لاهمالها . هؤلاء هم الشواذ جسماً . اما شواذ الذكاء فينبغي ان يكون لهم نظام خاص لكي يوجهوا توجيهاً نافعاً ، صوب الناحية العملية دون الحياة النظرية . وكثيراً ، بل غالباً ما تقوى في قلبي الذكاء المقدرة العملية . . فاذا اهمل هؤلاء ولم تستغل قواهم فان شدوذهم ينمو ، والشدوذ عادةً هو موطن الاجرام

وقد دعانا هذا الاتجاه الى انشاء العيادة السيكولوجية في المعهد ، ومهمتها البحث في الطفل من جميع نواحيه ، ومعرفة نواحي شدوذه ، وهل هي راجعة الى العقل او الحس او الخلق ويبحث القائمون بهذه العيادة مثلاً في بيئة الطفل ، فقد تكون لحياته المنزلية تأثير فيه . فتسمى العيادة الى علاج المنزل نفسه . ولهذا أوجدنا في العيادة ثلاث سيدات يعملن في القسم الاجتماعي من العيادة . ويقوم القسم الطبي في العيادة بفحص الطفل فحصاديقاً ، ومعرفة تاريخ امراضه ، وامراض أسرته ، فقد ترجع علته الى وراثته من ابيه او امه ، ثم يقوم المدرس بتفقد زعات الطفل الحلقية ، لمعرفة اتجاهه الفكري وتقدير استعداداته . وكثيراً ما وجدنا ان شدوذ اطفال يرجع الى شجار منزلي بين الاب والام . او الى وفاة او طلاق احد الابوين او الى معاملة الخدم ، او الى نوع الغذاء او ترتيب المنزل وفي القسم التجريبي من معهدنا الذي يلحق به الاطفال ، وتسمح لنا وزارة المعارف بأن نطبق نظرياتنا عليهم ، تتجلى فائدة هذه النظم بقوة ووضوح . وقد اكتملت تجارب العاملين في العيادة السيكولوجية ، حتى لم يكن ان نقول انها تشبه في مقدرة رجالها وسيداتنا ارقى العيادات العالمية وان كان ينقصها الكثير من الاستعداد العملي

وسأذكر لك على سبيل المثال حالة من الحالات الكثيرة التي تمر علينا في هذا الباب . لأحد كبار المصريين ابن ، ظل يتقدم لامتحان الشهادة الابتدائية ثلاث سنوات متعاقبة وهو راسب وقد فصل من مدرسته ، وأبت المدرسة قبوله بحسب قانون المدارس ، فأشير على الاب بارساله إلينا فجاؤنا الولد ، وفحصناه في عيادتنا ، وبعد ان عرفنا السبب في تأخيره ، توليناه بالعلاج ، ثم تقدم الغلام للامتحان في العام الماضي ، فكان أول الناجحين من تلاميذ فصولنا التجريبية وإذن فمعهدنا يقوم في عمله على الاسس الآتية :

اولاً — العناية بالجسم . ثانياً — العناية بالثقافة العامة . ثالثاً — الرحلات والمشاهدات . رابعاً — المكتبة . خامساً — علوم التربية واهمها علم النفس ، والتربية التجريبية ومنها مقاييس الذكاء . والتربية الطبية وتاريخ التربية . وستدخل مادة جديدة هامة في برامجنا وهي التربية المقارنة Comparative Education . وقد تخرج في معهدنا حتى الآن ٩٤ مدرساً ثانوياً ، و١٢٢ مدرساً ابتدائياً . ولكن مما يؤسف أن المجال في تطبيق دراساتهم لا يزال ضيقاً ، لان المدارس تتبع الطرق القديمة . ولكن تبدو قوة متخرجينا في جميع نواحي النشاط الاجتماعي اينما وجدوا



منذ نحو ثلاثين الى اربعين الف سنة كان البحر المتوسط بطائح شاسعة وحراجاً وبحيرات ويزاري . وكانت حيوانات الفرس البري والمموث والجاموس تجوسها قطعاً وارجالاً . وكان انسان الكهف في ذلك العصر — كروماغنون — طويل القامة كبير الدماغ يصيدها بحيلته البارة ويذبحها بأدوات مصنوعة من الصوان ، فيصنع من جلودها أردية ، ويتخذ من لحمها غذاء ، ويدون انتصاراته عليها في رسوم ينقشها على جدران كهوفه

ثم بعد عشرين الف سنة ، تركت قبائل الازيل وصف حياتها ومعيشتها منقوشة على جدران الكهف المعروف بكهف « ماس دازيل » . كان الجاموس والمموث قد ارتدأ الى الشمال ، فصرفت قبائل الازيل همها الى قنص قطعان الفرس البري المتناقصة وارجال الايائل ، بالقوس والنشاب . وكانوا يخبضون جلودها بابر من العظم ، ويصيدون السمك في البحيرات والانهار بصنارات من العظم ايضاً ، ويدخنون خلايا النحل لكي يفوزوا بعسلها . وكان انسان البحر المتوسط قد تعلم قبل هذا العهد الملاحة فجعل يطفو على بحيرات مملكته الواسعة ، في زوارق مصنوعة من القصب ومغطاة بالجلود ، وكان قد تعلم اختلاف الفصول فجعل يقنص ويصيد ويذير في الفصول الملائمة لذلك ثم من نحو خمسة عشر الف سنة الى اثني عشر الف سنة انشق الحائل القائم عند اعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) والفاصل بين منطقة البحر المتوسط والمحيط الاطلسي ، فتدفقت مياه المحيط شرقاً وغمرت البطائح التي كان المموث يجوسها ، والمراعي التي كان الفرس البري يعيش على عشبها . ومضت المياه في تدفقها وامتدادها ، حتى وقفت عند جبال الاطلس والسيرانقادا واسناد الالب والبريينيه وسفوح الانبين وسلسلة طورس العظيمة . فنشأت عن ذلك شواطئ اليونان

(١) The Dangerous Sea صدر من نحو شهرين كتاب انكليزي عنوانه « البحر الخطر : او البحر المتوسط ومستقبله » للكاتب السياسي الانكليزي جورج سلوكومب ونشرته دار هثنسن . وقد استخلصنا هذا المقال من فصله الاول

المستنة ، وقدم ايطاليا . غمرت المياه بلاداً تكثر فيها الآكام في منطقة بحراجه فلم يبق من الآكام الا قممها وهي جزائر الارخيل وعجزت عن ان تعمّر جبلاً اخرى ممتدة من الغرب الى الشرق فكانت كورسيكا وسردينيا وصقلية ومالطة وكريت وقبرص . وكذلك حددت هذه الامواه المتدفقة جانباً حدود القارات الثلاث اوربا وافريقية واسيا

وقدر لشواطىء هذا البحر المتوسط بين ثلاثة قارات ان تصبح ، منشأ ومقرّاً لطائفة من اشهر الحضارات في التاريخ المدوّن ، زهت هنا وعظمت ثم دالت دولاتها ودرست معالمها ، ولم يبق منها الا بعض الآثار العجيبة . ان اقدمها متعلقل في جوف الزمان ، بدأت تسفر عنه الكتابات المسماة في الواح اللبن في بلاد الرافدين وأحدثها كأنه من بنات الامس الغابر على الرغم من اني سنة فصلنا عنه الى شواطىء هذا البحر المتوسط ، توافدت جماعات من الغزاة فأنشأت دولة اثر دولة في مصر ، وامبراطورية اثر امبراطورية في بابل ونيوى . فلما حكم حمورابي في بابل كان الفينيقيون الساميون ، قد رسخوا اقدمهم في صور وصيدا وغيرها من الثغور التجارية العظيمة على سواحل هذا البحر الشرقية . كانت سفنهم بأشرعتها القرمزية ، قد عبرته طويلاً وعرضاً . بل كان الفينيقيون قد انشأوا مستعمرات في اسبانيا وبلاد الغال وعلى شاطىء افريقيا الشمالي أسسوا المدينة التي اصبحت فيما بعد عاصمة لامبراطورية قرطاجنة . ثم اجتازوا بأشرعتهم اعمدة هرقل وانجهموا شمالاً محاذين شواطىء اسبانيا وفرنسا الى سواحل بريطانيا . وقبل ان يقل البحارة اليونانيون والجنود الرومانيون اصول الحضارة الى سواحل هذا البحر الغربية ، كان الفينيقيون قد باعوا سكان تلك السواحل عطوراً وخوراً وأفوايه ، لقاء نحاس اسبانيا وقصدير كورنوال (مقاطعة بريطانيا الجنوبية)^(١)

وليس في التاريخ ، أدلة أقوى على زوال الامبراطوريات ، وعدم استقرار الحضارة ، من الادلة التي يستخرجها الباحث في تاريخ البحر المتوسط . لقد شهدت مياه هذا البحر ، الحضارة الايجية العظيمة وقد بلغت ذروتها وأوج مجدها في ميسيني وطروادة وفي كنسوس عاصمة الدولة المينوية في كريت حوالي ٢٥٠٠ ق . م . ثم جاء اليونان الآريون فدمروها . وشهدت كذلك مفاخر الحضارة المصرية ترتفع وتنخفض ثم ترتفع وتنخفض ثانية . هوذا طوائف الغزاة من قلب اسيا ، تؤسس في بلاد الرافدين حضارة عظيمة الشأن ثم لا تلبث ان تبلى بطائفة اخرى من الغزاة تغلبها على امرها ، فقدمروا ما بنت ثم تقيم على الانقاض حضارة جديدة . فالامبراطورية الاشورية العظيمة ، امتد سلطانها وعظمت شوكتها حتى استطاعت ان تطرد من مصر غزاتها الاثيوبيين ،

(١) حدثنا بعض من اتبعت لنا مباحثهم في اثناء الصيف الماضي في انكترا ، ان بعض النباتات الخاصة بمقاطعة كورنوال لا تزال تحمل في ثنايا اسمائها بعض الاصول الفينيقية

ولكن لم تلبث حتى سقطت امام جموع الماديين والفرس . هوذا فجر بركليس وعصره ينبج على اينا ولكن اسكندر ذي القرنين يشيد امبراطوريته على انقاض الجمهوريات اليونانية . لقد امتدت الامبراطوريات التي أسست على شواطئ هذا البحر ، الى المحيط الاطلنطي غرباً ، والمحيط الهندي شرقاً . ان مرافقه كثيراً ما ازدحمت بالغنائم والاسلاب من افريقية وآسيا . ومن موانيه المحشدة ، أقامت السفن الاولى التي دارت حول رأس الرجاء الصالح ، وشقت الطريق الى العالم الجديد . ان تأثير احدث حضاراته القديمة — اي الحضارة اليونانية والرومانية — لا يزال ماثلاً في علمنا وفننا وقانوننا الى يومنا هذا

ولا ننسى ان شواطئ هذا البحر شهدت قيام اعظم دياتين في تاريخ العالم ، ديانة السيد المسيح ، وديانة النبي الكريم ، بل كثيراً ما كانت سواحله ميداناً للنزاع بينهما ، وكان الزمان نفسه وقف عن المسير ، منتظراً ما يسفر عنه هذا النزاع

ان اعظم المعارك البحرية في التاريخ نشبت حتى اوائل القرن العشرين ، في مياه البحر المتوسط او في جوارها . ففي سنة ٤٨٠ ق . م . هزم اسطول زركسيس في خليج سلاميس على ابدي اليونان . وفي السنة التالية أجهز هؤلاء على البقية الباقية منه في ميكالي ولم تقصر اربع سنوات حتى تغلب اسطول الاترسكيين على اليونان في صقلية . بل ان النزاع الطويل بين دويلات اليونان وهو المعروف باسم حرب البلوبونيس (٤٧١ — ٤٠٤ ق . م) كان في الغالب نزاعاً غرضه انتزاع السيادة البحرية من الاسطول الاثيني . وما اهل نجم الاسكندر ذي القرنين ، وبدأ سيره الظافر شرقاً حتى وجد في مناوأة اساطيل صور وصيداء ، خصماً قوياً اخضر زحفه على جيوش داربوس الفارسي . فلما بدأ النزاع بين قرطاجنة وروما ، وقد كانتا دولتين بحريتين ، احتشد التاريخ البحري للبحر المتوسط ، بالحوادث الجسام والمعارك الكبيرة . ففي سنة ٣١ ق . م . نشبت اعظم معركة بحرية في العالم القديم هي معركة اكييوم . وفي المياه نفسها ، عند خليج ليبانتو نشبت اعظم معركة بحرية في العصور المتوسطة (معركة ليبانتو سنة ١٥٧١) وقد ظلت هذه المعركة البحرية اعظم المعارك البحرية في الثمانية عشر قرناً من التاريخ المسيحي حتى كانت معركة الطرف الاغر في مستهل القرن التاسع عشر

فقد تبدد حلم نبأليون بانشاء امبراطورية شرقية عظيمة كسحابة صيف ، لانه لم يملك أعنة القوة البحرية في البحر المتوسط . ان انتصارات الاميرال نلسن الباهرة ، ختمت قرناً كانت فيه مياه هذا البحر ، مسرحاً للقرصان . ولم ترم مياه البحر المتوسط معركة بحرية بعد ان نشبت معركة نافارين التي غلبت فيها اساطيل تركيا ومصر ، سنة ١٨٢٧ ، الى ان كانت سنة ١٩١٤ اذ افلت الطرادان الالمانيان

غوبين وبرسلو من اساطيل الحلفاء وحاولتا ان تتحدى سيادتها عليه
ليس في العالم رقعة من الماء تشبه البحر المتوسط او تقاربه في عدد الشعوب المتصلة بتاريخه .
ان خبره ينبلع اليوم ، كما كان ينبلع في العصور الغوار ، على العربي واليوناني ، اليهودي والمصري ،
الاطالي والصقلي ، الاسباني والتركي والفرنسي . ان الرجال والنساء الذين يعيشون على سواحه
يكادون يؤلفون طرازاً خاصاً من الناس ، لا شترأهم في بيئته واحدة وغذاء مماثل واعمال
ومصالح متشابهة ، ولا اختلاط دماهم بعضهم ببعض خلال عصور طويلة

جذب البحر المتوسط الغزاة اليه من فجر التاريخ ، القوط والفاندال من الشمال ، والهون
من الشرق ، والغاليين والفرنك والنورس من الغرب والشمال الاقصى . ولولا فترة قصيرة استولى
فيها الاثيوبيون على وادي النيل ، لقلنا ان الزنوج وحدهم دون سائر الشعوب امتنعوا عن الانقياد
لسحره . منذ فجر التاريخ شقت مياهه مجاذيف شعوب استقرت في تركيبها وطبيعته بيئتها بواث
الهجرة وحب المغامرة كالفيثيين واليونان والقرطاجنيين . وقد كان الانحياز في التجارة والهجرة
حتى القرن الماضي ، الى الغرب ، ولذلك كان مضيق جبل طارق ، وهو باب البحار القديم الى
الحيط الاطلنطي ، هدفاً للمغامرين في ايام اليونان والرومان . قبلان غال وايبيريا (اسبانيا)
وسواحل افريقية من قرطاجنة الى المحيط ، اغرت الشعوب المزدحمة في شرق البحر ،
بخصبها وغناها وسعتها

نعم ان مسالك التجارة والادارة والمواصلات الامبراطورية ، اتجهت في امبراطوريتي
الاسكندر واغسطس شرقاً وغرباً ، ولكن في خلال القرون المظلمة التي تلت سقوط روما
وبزنة ، اتجه مركز السيادة في البحر المتوسط الى سواحلها الشرقية . فبعد ان اتخذت الامبراطورية
العثمانية القسطنطينية (الاستانة : استانبول) عاصمة لها ، جعلتها مركزاً ، سيرت منه الحجاج
فاكتسحت مصر وفارس والجزيرة وشمال افريقية الى المحيط الاطلنطي . فأصبحت تونس ، وهي
قرطاجنة القديمة ، والجزائر وطنجة ولايات تابعة للسلطين . وأصبح البحر بحر قرصان . وحاول
الصلبيون بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ان يردوا موجة التوسع العثماني المتجهة من
الشرق الى الغرب وليكنهم عبئاً حاولوا . ولم ينحصر ضعف الدول المسيحية المفرقة المتعادية في
البر ، بل شمل البحر كذلك . ففرسان مار يوحنا الاورشليمي ، خذلوا امام العثمانيين . واخذوا عكا ،
ثم رودس . ولم يبق قبرص في ايدي البندقيين الا بعد تسليم البندقية للعثمانيين بكثير مما يطلبون
وكذلك كانت الدولة العثمانية في ايام سليمان القانوني ، قوة بحرية لا تبارى من سواحل

سوريا الى شواطئ اسبانيا . وحاول الامبراطور شارل الخامس ان يخرج القرصان من تونس والجزائر ، فارتد خائباً من الجزائر بعد ان اقام في تونس حامية استسلمت للخصم في ملك ابنه فيليب . اما جزيرة مالطة التي تراجع اليها فرسان ماريوحنا الاورشليمي ، فحوصرت حصاراً طويلاً . وكذلك ظلت سيادة العثمانيين البحرية على البحر المتوسط ، الى اواسط القرن السادس عشر ، عند ما نشبت معركة ليبانتو ، ففازت فيها أساطيل اسبانيا

ولو شاءت اسبانيا حينئذٍ او لو عرفت ان تقتنم الفرصة ، لكانت السيادة في البحر المتوسط لها . ولكن امراء البحر الاسبانيين ، كانوا شديدي الانشغال ، بعد معركة ليبانتو ، بحماية السفن المحملة بكنوز جزائر الهند ، والسفن الناقلة للجنود الى هولندا الاسبانية ، والسفن التجارية الآتية من هولندا الى اسبانيا . وشغلهم علاوة على ذلك عزمهم على مناوأة بحارة الملكة اليزابت بعد ان وجدوا البحر مسرحاً لما في نفوسهم من حب المغامرة والتوسع . كذلك حال الاستعداد للحملة العظيمة التي رغب فيليب الثاني ملك اسبانيا في تجريدها على انكلترا ، دون التفاته الى البحر المتوسط . فاستغرقت كل تفكيره ، واستنفدت معظم ماله ، فكأن البحر الذي يغسل شواطئ اسبانيا وايطاليا ، ويؤمن مواصلاته الى جنوى و نابولي وصقلية كان خارجاً عن نطاق تصوّره الحربي ، او نطاق مطامعه الواسعة . لم يكفه ما ورثه عن والده من سيطرة وألقاب وضجى بثمار الانتصارات التي أحرزها اخوه «الدون جون» في البحر المتوسط ، لانه كان يطمح الى السيطرة سيطرة روحية وعسكرية على شمال اوربا

ولكن هزيمة اسطوله في تلك المعركة البحرية العظيمة عند شواطئ هولنده ، في سنة ١٥٨٨ عند ما اشتبك اسطوله بأسطول الملكة اليزابت الانكليزية في معركة الارمادا الاسبانية المشهورة ، بدد هذا الحلم الجميل . ثم تلا ذلك تدمير البقية الباقية من اسطوله على شواطئ اسكتلندا وارلندا الجافية ، فأصبحت أعظم دولة بحرية في البحر المتوسط في ذلك العهد ، وهي لا تستطيع ان تشق عبابه بسفنها خشية القرصان ، مع ان ذلك البحر كان في قبضتها لو شاءت

ثم جاء قرنان على هذا البحر ، والسيادة فيه ليست لدولة من الدول . ذلك ان قوة الدولة العثمانية كانت قد ضعفت ومعها قوة البندقية ، وأصبح البحر مسرحاً للقرصان وظل كذلك الى خاتمة القرن الثامن عشر ، عند ما ظهر أثر القوة البحرية الانكليزية في تأمين مواصلاته ، ولكن الاسطول الانكليزي لم تتم له السيادة على هذا البحر ، الا بعد ما غلب نپوليون على أمره ، وقد ظلت له هذه السيادة الى عصرنا الحاضر ، ولولا تحدي ايطاليا له في أواخر سنة ١٩٣٥ لقلنا انها لا تزال له الى يومنا هذا

الكهارب الموجبة

او البوزيترونات

وجائزة نوبل الطبيعية

منحت جائزة نوبل الطبيعية عن سنة ١٩٣٦ للاستاذين هس النمساوي واندرسن الأمريكي .
والسر في الجمع بينهما وتقسيم الجائزة عليهما ان مباحث الاول أفضت بالثاني الى الكشف عن
دقيقة من الدقائق الكهربائية الأساسية في الطبيعة ونعني الكهرب الموجب أو البوزيترون .
فالاستاذ هس رائد الباحثين في الأشعة الكونية عالجها قبل الحرب الكبرى ، ثم توفر عليها بعدها
فريق من الباحثين في مقدمتهم العلامة تان ملكن وكمطن الاميركيان . وكان اندرسن يساعد
ملكن في أحد مباحثه فوق على صورة تبين فيها شيئاً إذًا ، فأدرك مغزاه في الحال وتابع
البحث فيه الى ان أسفر ذلك الشيء الاذ عن الكهرب الموجب

كان السائد حتى سنة ١٩٣٣ عندما اكتشف البوزيترون ان الدقائق الأساسية في المادة أو
في تركيب المادة الكهربائي ، هي الكهارب وشحنها سالبة والبروتونات وشحنها موجبة . وكان
الرأي ان شحنة الكهرب تعادل شحنة البروتون ولكن كتلة البروتون تفوق كتلة الكهرب
نحو ١٨٠٠ ضعف . وعلى ذلك كانت الذرة مركبة من كهارب وبروتونات ، فنواة الذرة قوامها
جموعة من الكهارب والبروتونات في كتلة مركزة وحوها كهارب متحركة . ثم كشف عن
دقيقة أخرى دعيت القترون أي المحايد Neutron وقيل انها مؤلفة من كهرب واحد وبروتون
واحد ، فشحنة الواحد تبطل فعل الشحنة المقابلة في الآخر لان الاولى سالبة والثانية موجبة ،
وكذلك يتاح لهذه الدقيقة ان تحترق المواد لانها لا تخضع لفعل المجال الكهربائي

في سنة ١٩٣٠ كان العالمان الالمانيان بوث Bothe وبكر Becker يطلقان دقائق الفاعلي
لوحة من معدن البريليوم . فكانت الدقائق المسددة الى تلك اللوحة تصيب بعض نوى البريليوم
فتطلق هذه من تلقاء نفسها اشعة غريبة شديدة النفوذ . فظن بوث وبكر ان هذا الاشعاع من

فيل اشعة غمّا التي تخرج من الراديوم وانما تفوقها طاقة وقوة اختراق. وفي سنة ١٩٣١ قام الاستاذ جوليو الفرنسي وزوجته (كريمة مدام كوري) بتجارب من قبيل تجارب العالمين الالمانيين فوضعا حوائل من مواد مختلفة بين البريليوم الذي تنطلق منه هذه الاشعة وغرفة التأين (Ionization Chamber) وهي اداة تستعمل لقياس قوة الاشعة بعدد ما تحدثه في غاز معين من الايونات او الشوارد كما دعت (فوجدا انه اذا كان الحائل من مادة فيها غاز الايدروجين كمادة البرافين زاد عدد الايونات المتولد في غرفة التأين وهو غير منتظر بل المنتظر ان يحجب هذا الحائل بعض الاشعة الصادرة من معدن البريليوم . ويعلّل هذا الفعل بان الاشعة الصادرة من البريليوم تصيب بعض ذرات الايدروجين في البرافين فتطلق بروتونات بسرعة ١٨ ألف ميل في الثانية . فحسبنا انه اذا كانت اشعة البريليوم امواجاً فطاقتها يجب ان تكون ٥٠ مليون « الكترون فولط »

هنا ظاهرة عجيبة تثير الدهشة لان المواد المشعة لاتطلق دقائق لها طاقة تزيد على ستة ملايين « الكترون فولط » . اي ان البريليوم يطلق اشعة تفوق طاقتها عشرة اضعاف طاقة الاشعة المسددة اليه . وهذا غريب ! ففرض جوليو وزوجته ان هذه الاشعة المنطلقة من البريليوم امواج ، وانها في قصرها وشدة نفوذها تقع بين اشعة غمّا التي تخرج من الراديوم وبين الاشعة الكونية

وقرأ شك الانكليزي عن هذه التجارب ، فعمد الى انابيب قديمة من الراديوم كانت قد اهديت اليه بعد ما فقد الراديوم فيها خواصه العجيبة ، فاستخرج منها عنصر البولونيوم وهو يختلف عن الراديوم في انه لا يطلق الا دقائق الفا حالة ان الراديوم يطلق مع دقائق الفا دقائق بيتا واشعة غمّا . وكان يعلم ان طاقة دقائق الفا ٦ ملايين « الكترون فولط » . وليس معها دقائق اخرى تشوش الانتاج . فاذا كانت هذه الدقائق تستطيع ان تقذف من البريليوم اشعة طاقتها ٥٠ مليون « الكترون فولط » فهو امام ظاهرة عجيبة جديدة بالبحث حرية بالعناء في سبيل فهمها وتفسيرها

اطلق شك دقائق الفا من عنصر البولونيوم على البريليوم ، ووضع وراء لوحة البريليوم حائلاً من النتروجين ، فكانت الاشعة المنطلقة من البريليوم على النتروجين عنيفة كل العنف ، قاسها في غرفة التأين فوجدها تحدث ٣٠ ألف ايون . هنا توقف شك وقال : لو كانت مقذوفات البريليوم التي اصاب النتروجين اشعة من طاقة ٥٠ ألف « الكترون فولط » لما استطاعت ان تحدث هذا العدد من الايونات بحسب القواعد المسلّم بها . بل لما استطاعت ان تحدث اكثر من ١٠ آلاف ايون . ولكن اذا فرض ان مقذوفات البريليوم هي دقائق مادية كتلتها ككتلة

البروتون وتسير بسرعة تعدل عُشر سرعة الضوء فاحداثها ٣٠ ألف ايون في غرفة التأين يصبح امراً معقولاً . ثم اذا فرض ان هذه الدقائق متعادلة الكهربائية ولا تتأثر بالجذب فعندئذ يمكن تعليل قوة اختراقها للمواد على اوفى وجه

وكذلك كشف النترون او « المحايد » وكان اللورد رذرفورد قد تنبأ به قبل عشر سنوات اما الكهرباء الموجب فله قصة اخرى . ذلك ان الاستاذ كارل د. اندرسن Anderson كان يبحث في الاشعة الكونية . والاشعة الكونية شديدة النفوذ تحترق لوحاً سمكه بضع اقدم من الرصاص . ولكنها تعي الباحثين فلا يستطيعون درسها مباشرة . ولذلك يعمدون الى فعلها في دقائق الهواء . ذلك ان هذه الاشعة تصيب بعض دقائق الهواء فتؤيئها (اي تزيد جانباً منها فيصبح الباقي وله شحنة كهربائية) وفي سنة ١٩٢٩ حاول العالم الروسي سكو بلزن Skobelzyn ان يصوّر مسارات الاشعة في غرفة غائمة ^(١) وتبعه ملكن واندرسن فحسنا الطريقة واتقناها وصوّرنا بها مسارات الاشعة الكونية كما يدل عليها اصطدامها بدقائق الهواء في غرفة غائمة . في هذه الصور لاحظ اندرسن عدا مسارات الاشعة الكونية خطوطاً مزدوجة ومنحنية . فاستعى نظره اولاً ان هذه الخطوط المنحنية لا تكون الا أزواجاً . وثانياً ان احدها منحرف الى اليمين والاخر الى اليسار . اي ان احدها سالب والاخر موجب . وتبين عند البحث ان الخط السالب المنحني انما هو الكترون . ولكن لم يستطع احد ان يعلل الخط الموجب . ذلك ان اصغر وحدة للكهربائية الموجية عرفت حتى ذلك الوقت ، انما كانت البروتون . وكتلة البروتون تفوق كتلة الالكترون ١٨٥٠ ضعفاً . فاذا كان الخط الموجب يمثل البروتون فيجب ان يكون انحرافه اعظم جداً من هذا الخط البادي في الصورة

فقال اندرسن في نفسه ، ان البروتون ليس صنو الالكترون بل ان صنوه دقيقة اخرى أصغر من البروتون كتلتها مثل كتلة الالكترون وشحنها موجبة بدلاً من ان تكون سالبة . ودعا هذه الدقيقة البوزيترون . ثم توالى التجارب فأيدت اكتشاف اندرسن واشهرها التجارب التي قام بها بلاكت واوكيليني في كمبرج

وقد اختلف العلماء في تسمية هذه الدقيقة فقال بعضهم ان لفظ بوزيترون قد يشوش الزهن الا اذا تخيلنا عن لفظ الكترون وسميناه نغارتون حتى يقابل بوزيترون تماماً . ونحن نستطيع ان نتغلب على هذه الصعوبة فنسميها الكهرباء الموجب (البوزيترون) والكهرب السالب (الالكترون)

(١) الغرفة الغائمة طريقة ابتدعها العالم الانكليزي واسن تمكن الباحثين من تبين مسارات الدقائق التي لا يمكن ان ترى بما تكونه من قطرات الماء في الطريق الذي تسلكه

مذاهب الفلسفة

الرئيسية

لقليجور هوري

الفلسفة عبارة عن اسمى ما وصل اليه العقل البشري من الآراء والافكار في البحث عن حقائق الكون وازاحة الستار عن اسرار الوجود . وانا اذا التفتنا الى درجة المعارف والعلوم التي استطاع الانسان بلوغها الى اليوم نجد انه قد جاء حقاً بالغرائب المدهشات فما هي هذه الفترة البسيرة من الزمن منذ فجر تاريخ العلم والفلسفة الى يومنا الحاضر بالقياس الى الادوار التي سوف يمر عليها في مستقبل الايام

وفي الفلسفة كما في اي من العلوم والفنون مذاهب متباينة ان لم تكن متناقضة وقد نشأت فيها المذاهب منذ اول عهد الفلسفة اليونانية وكان اولها ما يتعلق بمادة الكون الاصلية العامة التي ذهب اول فلاسفتهم طاليس الى انها الماء . واعتقدها غيره الهواء . وذهب هرقليط الى ان النار مصدر العناصر . اما امبدوكليس فزعم ان المادة الاصلية لا توجد الا مركبة من العناصر الاربعة معاً وهي التراب والماء والهواء والنار . ثم ما لبث ان اُضاف اليها عنصراً آخر الا انه غير مادي زعم انه الحب وهو القوة المحركة الكامنة وراء العناصر المذكورة كلها . وان اضافة هذا العنصر الروحي الى العناصر الاخرى يعد خطوة كبيرة في عالم الفلسفة

ثم كان مذهب التغير والثبوت . وهما موضوع حوار عنيف قام بين المدرسة الايونية صاحبة مذهب التغير والمدرسة الايليائية القائلة بمبدأ الثبوت . وموضوع الحوار هو : هل مبدأ الوجود ثابت او متغير . وكان القول الفصل في ذلك للوسيوس وديمقراط مؤسسي مذهب الذرات . وقام بعدئذ اهل السفسطة والجدل يحاولون هدم حصون المعرفة وتقويض اركانها . وقد كان يخشى كثيراً على دعائم الفلسفة ان تهدم لولا ان قام الفيلسوف سقراط يناضل عنها نضالاً شديداً حتى رد الخصوم على أعقابهم وشيد مبادئ الفلسفة وعلم الاخلاق على أسس ثابتة ودعائم متينة لا زال تذكرها له الاجيال بكل اعجاب واطراء . ثم كان مذهب افلاطون العنلي يقابله من

الجهة الثانية مذهب ارسطاطاليس العقلي — المادي . وقد كان افلاطون يزعم ان الوجود الحقيقي هو لعالم العقل او الصور العقلية فقط وما عالم المادة الا تابع لا شأن له . فذهب ارسطاطاليس الى ان الصورة والمادة معاً هما شيئان متلازمان لا ينفصلان ولا يستقل احدهما عن الآخر . فعالم المحسوس اي الذي يتركب من الصورة والمادة هو العالم الحقيقي لا العالم العقلي وحده كما زعم افلاطون . هذا ولا يجهل انسان مادار من المناقشات الخطيرة بين الرواقين والايقوريين مما لا زال له صدى كبير واثّر يمتد الى يومنا هذا ولكل من هذين المذهبين انصاره ومؤيدوه في كل عصر

يبدأ أن هذه المذاهب جميعها لما كانت لا تستند الى حقائق علمية ثابتة اذ لم يكن حينذاك ما يسمى علماً بالمعنى الصحيح ظلت متقلقة مضطربة لا يعول عليها . لذلك نرى أن مذاهب الفلسفة لم تتخذ صفة ثابتة راهنة الى ان كان العصر الذي توالى فيه الاكتشافات والحقائق العلمية الراسخة وذلك في اواسط القرن السابع عشر فما بعده ومن هذا العهد يتبدى دور الفلسفة الحديثة او دور التجديد الفلسفي

اما مسائل الفلسفة التي أخذت تشغل عقول ارباب الفلسفة في الدور الحديث فعديدة اهمها مسألة الوجود المطلق . ومادة الكون الاصلية . والعالم الخارجي . ومنشأ العقل وماهيته . ومصدر المعرفة . وحرية الارادة . والقوة الادبية او الضمير وما شاكل . والفلاسفة في هذه المسائل فرق وطوائف فمنهم اصحاب المذهب العقلي (Rationalism) مثل دكارت وليبنز وسبينوزا وكانت . وهم الذين يقولون ان مصدر المعرفة العقل . يقابلهم من الجانب الآخر اصحاب المذهب الحسي (Sensationalism) وهم الذين يزعمون ان الحس اصل كل معرفة ولا يمكن ان تحصل معرفة الا عن طريق الحواس . وقد أدى هذا الاختلاف النظري في اصل المعرفة الى نظريات وآراء متباينة كل التباين في الادوار الفلسفية التالية . وهناك اصحاب المذهب التصوري (Idealism) اي الذين يقولون ان العالم الحقيقي هو غير العالم الذي تدركه الحواس فالحواس لا تدرك الا بعض ظواهر المادة واوصافها فقط اما . المادة نفسها فلا سبيل مطلقاً الى معرفتها ومن هؤلاء كانت وهيوم وهملتن وسبنسر وميل وغيرهم . يقابلهم من الجهة الاخرى اصحاب مذهب الشعور او الحس المشترك (Common-sense School) ويذهب هؤلاء الى ان العالم الحقيقي هو ما شهدت به الحواس واتفق عموم البشر عليه كما دلت عليه البديهة ولا سبيل الى نكرانه . وزعيم هذه المدرسة هو الفيلسوف الاسكتلندي توماس ريد وتابعه في ذلك الفلاسفة اسوالد وستيورت ومكوش . ومنهم من يرى في القوة سر الوجود بل غاية الوجود وزعيم هذا الرأي هو الفيلسوف نيتشه ولكن اتباعه من اهل الفلسفة قليلون . وهناك من يعتقد ان حقيقة

الاشياء فائدتها العملية — (Pragmatism) فالفكرة التي تقترن بالنجاح وتؤدي الى المنفعة والخير هي الفكرة الحقيقية ومن هؤلاء نيتشه ووليم جيمس وديوي الفيلسوفان الاميريكان . وديوي هو صاحب التأليف المشهور في « المدرسة والاجتماع » . وهناك مذاهب وآراء متنوعة غير مذكور . غير ان الغرض من هذا المقال هو الاشارة الى المذاهب الرئيسية في الفلسفة . على اني سأتناول البحث في اهم هذه المذاهب وأشهرها وهما اللذان يدوران حول هاتين المسألتين أصل المعرفة والعالم الخارجي

١ — مصدر المعرفة

اختلفت آراء الفلاسفة منذ القديم في مصدر المعرفة وهل هو العقل ام الحواس وقد انقسم الفلاسفة في ذلك الى فريقين كبيرين فريق يرى العقل مصدر المعرفة ومبدأها وهم اصحاب المذهب العقلي وفريق يزعم الحواس مبعث المعرفة وسبيل الادراك الوحيد ولا سبيل سواه وهؤلاء هم اصحاب المذهب الحسي . ففي مقدمة الفريق الاول الفلاسفة سينوزا وديكارط وليبنز وكانت . اما زعماء المذهب الحسي فهم لوك وهيس وهيوم . وانه وان كان هذا المذهب يرجع في اصل نشأته الى عهد فلاسفة اليونان فان مؤسسه بالفعل وفقاً للحقائق العلمية الراسخة هو الفيلسوف الانكليزي جون لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) وذلك حين وضع كتابه المشهور « الادراك البشري » الذي أحدث حركة عظيمة في عالم الفلسفة . وقد أبان فيه لوك كيفية حصول الادراك بواسطة الحواس فقط . وهو يرد كل نوع من انواع المعرفة الى الحس البسيط المجرد مؤكداً ادلته بالحقائق العلمية السيكولوجية . ولكن لم يكف يكتسب كتابه هذا حتى قام عدد من اصحاب المذهب العقلي ينفذون آراءه وينقضون الأسس التي شيد عليها نظرياته ومقدماته

ماذا يقول لوك ؟ يقول ان عقل الانسان عند الولادة يكون عبارة عن صفحة نقية خالية من كل اثر الا انها قابلة للتأثر بأي مؤثر خارجي كان او داخلي . وما العقل الا تلك القوة على المقابلة بين الاحساسات المتواردة على الذهن والموازنة بينها او حفظها من حين الى آخر (الذاكرة) ثم انه من هذه الخاصية او قابلية الموازنة والمقابلة يتولد الفكر وبواسطة الفكر يستطيع الانسان ان يركب او يحلل ما شاء من تلك الاحساسات المتوالية بغير انقطاع على صفحة الذهن . فكل انواع المعرفة بسيطة كانت ام مركبة تنشأ طبعاً من هذا الاحساس البسيط المجرد . اما ما يدعيه العقليون من وجود اصول اولية في العقل تمكنه من ادراك المدركات فاننا اذا انعمنا النظر قليلاً نجد ان هذه التي يراها العقليون اصولاً يمكن ردها الى أوليات بسيطة مفردة . فلنأخذ مثلاً قوة التعليل وهي احدى اصول العقليين . كيف تنشأ هذه القوة فينا ؟ اننا اذا دققنا النظر نجد

انها تعود في الاصل الى مشاهدتنا للحوادث والاشياء الطبيعية مراراً وتكراراً . ولـكون هذه الحوادث تتبع سنناً ونواميس ثابتة لا تتغير فالعقل يجرد من تلك الحوادث الفردية قواعد ومبادئ عامة تتناول تلك الاشياء كلها وتصدق عليها جملة . وهذه القوة على تجريد القواعد العامة تجعلها فينا قوة على التعليل والاستنتاج وماهي في الحقيقة الا نتيجة مشاهدات فردية بسيطة في اول الامر . وعلى هذا النحو يحاول لوك هدم معتقد العقلين في الغرائز والاصول العقلية . فلنر ، ماذا يقول العقليون :

يقول العقليون انه لا امر حقيقي ان مبادئ المعرفة تبتدىء باحساسات الحواس ولكن ما قيمة هذه الاحساسات والمؤثرات المتوالية على الحواس بغير قاعدة او نظام ان لم يكن هنالك ما يجمع او يفرق بينها ويرد كلاً منها الى الاصل التي وردت عنه . وبالجملة يقيم من تلك الاحساسات المضطربة المختلفة وحدة كاملة صحيحة متسقة . وما اشبه العقل واحساسات الحواس في ذلك بالبناء ومواد البناء . ما قيمة هذه المواد المتفرقة المنتثرة ان لم يكن هنالك بناء ماهر يتناولها واحدة واحدة ويجمعها بعضها الى بعض ويرصفها رصفاً منتظماً صحيحاً . ان العقل الانساني لا يمكن ان يكون تلك الاداة الجامدة التي لا وظيفة لها الا اقبال المؤثرات وانطباعها عليها . بل ان العقل هو تلك القوة الحية الفعالة التي تتناول احساسات الحواس فتبين ماهيتها وتضبط انواعها وتركبها او تحللها وفقاً لمبادئ واصول فطرية فيه غير مكتسبة من الخارج . وان من هذه الاصول او القوى قوة التعليل والتجريد والاستقراء وما شاكل وهذه هي وسائل العقل لحصول المعرفة حتى في أبسط انواعها وبغير ذلك لا يمكن حصول اي معرفة او ادراك . وان لكل من اصحاب الرأي الحسي والعقلي أدلة وبراهين لا يتسع المجال لذكرها هنا فمن شاء الوقوف عليها فيراجع مقالنا في مجلة الكلية (المجلد ١٤ العدد ٦) تحت عنوان « المذهب الحسي ازاء المذهب العقلي » يجد تفصيلاً وافياً بالمراد

٢ — العالم الخارجي والمذهب النسوي

لم تشغل مسألة من المسائل عقول أهل الفلسفة كما شغلته مسألة العالم الخارجي ومدار البحث فيها هو هل هذا الوجود الخارجي الذي تمثله لنا الحواس هو عين الوجود في الخارج وهل الحقيقة التي يستخلصها العقل عن الاشياء بواسطة الحواس تطابق تماماً على حقيقة هذه الاشياء كما هي في الخارج . ان الفلاسفة في ذلك فريقان فريق يرى ان الوجود هو ما شهدت به الحواس وشاعت معرفته بين عموم البشر وهؤلاء هم فلاسفة الشعور والحس المشترك على ما تقدم . وفريق يرى انه يستحيل ادراك الحقيقة بالذات بل ببعض ظواهرها ومجاليها اما الحقيقة نفسها فهي حجوبة

ابداً عنا وهؤلاء هم المعروفون بأصحاب المذهب التصوري . اما رأي الفريق الاول فواضح
لا يحتاج الى بيان خاص واما الثاني فلا بد من كلمة توضح وجهة النظر فيه

يعزى منشأ الرأي التصوري في الدور القديم للفيلسوف افلاطون . فقد كان من مبادئه اننا
لا نستطيع ادراك الحقيقة بالذات او معرفتها تماماً كما هي في الخارج ولكننا ندرك ما يشبه منها
ظلالها وخيالاتها . ولا فلاطون في هذا الصدد تمثيل جميل يوضح المراد من المبدأ التصوري انما
لا يتسع المجال لذكره هنا . بيد انه لما كان الرأي الافلاطوني هذا لا يستند الى اساس علمي
او حقيقة سيكولوجية واضحة فان هذا المذهب لم يتخذ دوراً جدياً الا في عهد الفلسفة الحديثة
وقد نشأ بنشوء الرأي الحسي كما وضعه الفيلسوف لوك وبياناً لذلك نقول :

قد كان من مبادئ لوك انه قسم صفات الاشياء الى قسمين الاول الصفات الاصلية المختصة
بالمادة والملازمة لها غير قابلة الانفصال عنها وقد سماها الصفات الاولية كالصلابة والامتداد
والصورة والحركة والجود وما شاكل . والثاني الصفات التي ليست مستقرة في الاشياء نفسها بل
ما يغلب ان يكون قوى او خاصيات في الصفات الاولية من شأنها احداث هذه التأثيرات في الحواس
كاللون والاصوات واحساسات الذوق وما شاكل . وقد دعاها لوك الصفات الثانوية . فالصفات
الاولية هي خاصيات ذاتية مستقرة في نفس الاشياء المادية . اما الثانية فليست سوى ادراكات
حسية حاصلة داخل النفس لا اشياء خارجة عنها وبعبارة اخرى ان الاولى مادية خارجية
والاخرى نفسية باطنية . وقد تناول هذا المبدأ الفيلسوف بركلي الانكليزي (١٦٨٥ — ١٧٥٣)
خطاً فيه خطوة واسعة وفاجأ العالم بفكرته الغربية المدهشة التي احدثت دوياً هائلاً في عالم الفلسفة
وهي قوله : اذا كان الامر كما يقول لوك ان بعض خاصيات المادة التي يدعوها ثانوية كاللون
والاصوات وغيرها ليست الا مجرد تأثيرات عقلية وادراكات نفسية داخلية لا اشياء خارجية
في الاشياء ذاتها فماذا يمنع ان تكون بقية الخاصيات كالاشكال والانتقال والحركة والامتداد
وغیرها من الصفات الاولية ايضاً ادراكات وصوراً عقلية لا اشياء خارجية كما تتوهم بل نعتقد

ومحصل رأي الفيلسوف بركلي هذا هو ان غاية ما نستطيع ان نجزم به هو توالي الاحساسات
على مشاعرنا والتأثيرات التي نعتقد انها ناشئة فينا عن امور واشياء خارجة عنا . اما اذا كان هنالك
اشياء خارجية تنشأ عنها هذه الاحساسات فهذا ما لا يمكننا الجزم به اصلاً فقد يجوز ان يكون
هنالك اشياء باعثة على الحس وقد لا يكون

وواضح ان رأي بركلي هذا هو نوع من التطرف في المذهب ولكن كان له تأثير عظيم
في تعزيز المبدأ الروحي كما هو ظاهر . انما المتعارف عند اصحاب هذا الرأي فهو غير ذلك . ولعل
رأي الفيلسوف كانيت هو اقربها الى حقيقة المذهب وخلاصته انه لا مندوحة لنا من الاعتراف

بوجود الاشياء في الخارج ولكننا لا نستطيع ان ندرك منها سوى بعض ظواهرها فقط (Phenomena) اما حقيقة الاشياء وماهيتها فذلك ما لا نرجو الوصول الى معرفته البتة وذلك لسببين الاول لان القوى العقلية فينا محدودة لا تستطيع ادراك جميع اوصاف المادة وخاصياتها كما يغلب الظن . والثاني لان العقل باضافة بعض الاجزاء العقلية الخاصة فيه كما تقدم كقوة التعليل والتجريد وما شا كل قد يبعدنا عن الحقيقة ويجعلنا نتصور ما لا حقيقة له في الخارج او ما تختل حقيقة عن الحقيقة الماثلة لاذها تاتنا . لذلك فان كانت فصل بين الشيء كما يبدو للحواس وبين الشيء في ذاته او حقيقته وقد سمي هذا الاخير الشيء بالذات Thing-in-itself تميزاً له عن الشيء كما يظهر للحواس . وقال ان غاية ما نستطيعه من حيث المعرفة هو ادراك ظواهر الاشياء فقط اما الحقيقة فستظل محجوبة عنا الى الابد

يتضح مما تقدم ان المذهب التصوري ليس ما يعتقده البعض من ان الوجود المادي ليس الا مجرد تخيلات وتصورات عقلية كما يشير اليه لفظ هذه الكلمة Idealism او ظواهر لا تستند الى اشياء محسوسة وجودية . بل ان معرفتنا الاشياء تقتصر على هذه الظواهر فقط كما بصورها لنا العقل . اما حقيقة الاشياء وماهيتها فهي ما لا سبيل لنا الى معرفته بأي الوسائل والطرق وهذه الحقيقة قد أقرها معظم فلاسفة القرن التاسع عشر وفي مقدمتهم كونت وسبنسر ومل وغيرهم وقد سمي سبنسر هذه الحقيقة المحجوبة المجهول (Unknowable) اي الذي لا سبيل لمعرفة

وانا لندهش وياخذنا العجب لدى اطلعنا على هذه الأفكار والمبادئ الغريبة التي يقرها أساطين الفلسفة ويؤيدونها بالأدلة العقلية ولكننا اذا تأملنا قليلاً بالمصاعب والأسرار الغامضة التي تحيط بهذه الحقائق ذهب الكثير من عجبنا ودهشتنا . فنحن اذا أخذنا أبسط هذه الاشياء العقلية كالحس مثلاً أفلا نعجب من كيفية حصول ذلك فينا ؟ ان الباعث او المحرك للاحساس مثلاً مهما تقلب وتحوّل في طريقه الى الدماغ فهو غير الاحساس الناشئ عن ذلك الباعث ولا يمكننا ان نكتشف اي علاقة او شبه علاقة بين المؤثر والاحساس . ففي عمل الابصار مثلاً ان المؤثر هو حركة موجية في الاثير اما النتيجة فهي رؤية شيء خارجي ذي لون وشكل واضح وفي مكان محدود . فأي علاقة او شبه علاقة بين المحرك والاحساس الذي قام في الدماغ . كذلك ان الفرق بين اللونين الاحمر والأخضر اما هو في عدد الموجات في الثانية اما النتيجة الحسية فهي الفرق الحس بين هذين اللونين فهل من يعلل لنا كيفية ذلك تعليلاً فلسفياً

لذلك فان منشأ حيرة أهل الفلسفة والعلم هو هذا البون العظيم الكائن منذ الازل بين العقلي والمادي . بين البواعث او المؤثرات المادية والنتائج العقلية على نحو ما تقدم . ففي قضية العالم الخارجي مثلاً يهمننا ان نعلم العلم اليقين هل ادراكنا لهذا العالم والصورة الحاصلة في اذهانتنا عنه

ينطبق تماماً على الحقيقة الخارجية . ألا يجوز ان تكون هذه الاشياء الخارجية والتي نحسبها أشياء محسوسة خارجة عنا هي في الحل الأخير صوراً عقلية لا حقيقة لها في الخارج او ان تكون الحقيقة الداخلية تختلف عن الخارجية

ثم ان مسألتى الزمان والمكان والأسباب والمسببات ^(١) ألا يمكن ان تكون هاتان من وضع العقل كما زعم الفيلسوف الالماني كانت يخلفهما العقل على أشياء وحوادث هذا الوجود ويستخدمهما كوسائل لربط الحوادث والاشياء الطبيعية بعضها ببعض . وفوق ذلك ما أدرانا ان هذا العالم الذي يبدو لحواسنا ووجداننا كعالم جمال وروعة ونظام تام ليس في الحقيقة إلا عالم تشويش واضطراب كما تبدو كسر الزجاج الصغيرة المبعثرة في الكالدسكوب آية في الدقة والاحكام كاجل ما نقش النقاش او رسم الرسام وما هي في الحقيقة إلا كسر مبعثرة متفرقة هنا وهناك ان هذه وأمثالها هي من عقد المسائل التي جعلت أهل الفلسفة ينفرون طرقاً ومذاهب حتى بحار العقل في مدى ذلك الاختلاف ومبلغ ذلك التباين في الآراء والافكار . ولا يفوتنا في هذا الصدد اشارة الى المذهب المادي المشهور فهذا يدخل ضمناً تحت المذهب الحسي وأصحابه يعرفون بالفلاسفة الحسيين وقد كانت له السيادة التامة على كافة المذاهب الأخرى طيلة القرن الثامن عشر وهو عصر فولتير وديدرو وروسو وبايي ولام تري وكافة الانسيكلوبيديين الافرنسيين وجميعهم من أهل المذهب الحسي وبلغ منتهى الشهرة والسيادة في اواسط القرن التاسع عشر حين وضع بنجر الالماني كتابه في « المادة والقوة » . الا أنه لم يكتب له ان يعيش طويلاً بعد ذلك . ذلك لان الفكرة الاساسية في المذهب المادي هي الاعتقاد بناموس الضرورة الشامل . اي ان ما هو كائن لا بد ان يكون . فهو كالبدء الفلسفي الروحي كلاهما ينافيان حرية الارادة ويجعلان الانسان حكمه حكم الاداة اي مجرداً من كل ارادة وحرية — الروحي يجعل الانسان خاضعاً لقوة روحية فائقة خفية لا يستطيع ادراكها تديره كما تشاء وتصرفه على ما تشاء . والمادي يجعله عبداً رقيقاً خاضعاً لأحكام الضرورة العمياء . ولما كان الانسان يكره ان يرى نفسه عبداً رقيقاً لاي قوة كانت طبيعية او غير طبيعية فهو يرى ان هذين المذهبين لا ينطبقان على الحقيقة الواقعة ولهذا فلم يعد لهما في نظره تلك المكانة التي كانت لهما سابقاً هذه اشارة وجيزة الى أشهر مذاهب الفلسفة بقدر ما استطعت استخلاصه من آراء أهل الفلسفة ونظرياتهم وربما عدت الى تفصيل بعضها في فرصة أخرى

(١) هاتين المسألتين مباحث طويلة في كتب الفلسفة لا مجال لتفصيلها هنا

الغدد والحياة

— ٢ —

اسرار النمو والشق

ثم جاء بانتعش بالانسوانين، فرأى فيه ملايين من المصابين بالبول السكري، مسيحاً جديداً في رداء باحث علمي. وصف داء « ديابيطس مليتوس » (وهو الاسم العلمي لداء البول السكري) من نحو ألفي سنة بأنه « يذيب اللحم فيفرز في البول ». ثم من نحو قرنين ونصف قرن اكتشف أحد الباحثين الالمان أنه مرتبط بالغدة الحلوة (البنكرياس) . وانقضى قرنان من الزمان قبلما اكتشف لا نغرهانس ان في الحلوة طائفة من الخلايا تختلف عن سائر الخلايا في تلك الغدة . فدعيت هذه الخلايا باسمه اذ أطلق عليها « جزيرات لا نغرهانس » . ولكن عملها ظل سراً مكتوماً الى ما بعد الحرب الكبرى . وفي سنة ١٨٨٩ عمّد منكوفسكي الى التجارب في الحيوانات، فسلّ حلوات الكلاب فأثبت انها تصاب بالداء السكري الذي يصيب الناس . أخذ مقداراً من بول الكلاب ، التي سلّت غدها الحلوة ، وتركه في وعاء في المعمل ، ولما تبخر السائل كله بقي في قعر الوعاء مادة جامدة بيضاء . فامتحنها أحد مساعديه فوجدها حلوة الطعم فثبت لأول مرة وجود السكر في بول كلاب سلّت غدها الحلوة . ولكن بعضهم يسند الاكتشاف الى نونين Nannin أحد أساتذة الطب في ستراسبورج ورئيس منكوفسكي ، ويروون أنه لاحظ الذباب يقط على بول كلاب سلّت غدها الحلوة، فحاول ان يعرف ما يجذبها، فذاق البول فوجده حلواً وفي خلال هذه السنين ، كان تشرىح جنث المتوفين بالسكري ، قد أسفر عن اكتشاف خاص بجزيرات لا نغرهانس . اذ ثبت ، انها أكثر أجزاء الغدة الحلوة تنكساً degeneration فخلص بعض الباحثين الى نتيجة منطقية ، وهي ان خلايا هذه الجزيرات ، تصنع مادة كيميائية تمنع الداء السكري . وكانت النتيجة الحتمية لهذا الرأي ان عمّد الناس الى عمل خلاصة الغدة الحلوة بأساليب مختلفة ، لتعطى شرباً وحققاً للمصابين بالسكري ، ولكن هذا الداء ظل يلقى يديه القليلين على الناس ويسير بهم الى القبر

ولكن تقدم علم الكيمياء مكّن الباحثين من قياس مقادير يسيرة من السكر في الدم قبل ان يتصل عن طريق السكتيتين بالبول ، وعلى أساس هذه المقاييس تمكنوا من امتحان الخلاصات التي استخرجت من الغدد الحلوة . ومعرفة قوتها وفائدتها . واذ كان هذا البحث جارياً على قدم وساق ، عاد جراح كندي من ميدان الحرب العالمية في فرنسا ، الى بلاده — ذلك الجراح كان بانتنغ الذي اكتشف الانسولين ^(١)

ما كاد بانتنغ يتم بحثه الذي اسفر عن اكتشاف الانسولين ، حتى منح جائزة نوبل الطبية ومعاشاً سنوياً من برلمان كندا قيمته ١٥٠٠ جنيه وانعم عليه بلقبه سر . الا انه لم يكن الوحيد الذي عني بهذا البحث ، لانّ غلاي Gley كان قد ترك في سنة ١٩٠٦ ظرفاً محتوماً في جمعية علوم الاحياء الفرنسية ، وفيه مذكرة وصف فيها خلاصة حضرها من الغدة الحلوة ، كان من شأنها تخفيف اعراض الداء السكري ، في الكلاب . ولكنه لم يتابع بحثه . وفي سنة ١٩٠٨ صنع زولزر Zuelzer خلاصة كحولية من حلوات العجول وعالج بها ستة مصابين بالداء السكري ، ثم اعمل بحثه لما اصيب هؤلاء المرضى ، بجمسى كان من اعراضها الضعف والاعياء العصبي والجوع العظيم وضعف العقل . ونحن نعلم الآن ان الرجل جرّع مصايه جرّعاً من هذه الخلاصة اكبر مما يستطيعون ان يتحمّلوا . حتى الذين يحقنون بالانسولين يصابون بهذه الاعراض ، ان كان مقدار ما يحقنونه به منه اكبر مما يجب ان يكون . ولذلك قال مكلود قسيم بانتنغ في جائزة نوبل « ولوان زولزر جرّب تجارب دقيقة بالحيوانات قبل اقامه على معالجة المصابين من الناس لكان في الامكان الفوز بالانسولين سنة ١٩٠٨ » . وفي سنة ١٩١١ عمد الباحث سككت في احد معامل شيكاغو الى ربط قنوات الغدد الحلوة في الكلاب ، واذ كاد غصن النصر يلتوي بين يديه ، اخفق في تفسير بعض النتائج التي فاز بها التفسير الصحيح

انها قصة البحث العلمي في جميع العصور — فرصة تتاح لعقل مهيا لاغتنامها وفهم ما تنطوي عليه ، بما اتاح له من حقائق مستجدة واساليب مستحدثة للبحث والتدقيق تتبع آييل رواية الانسولين من معمله في جامعة جونز هبكنز بشيف عظيم ، ولا سيما لانه كان يعرف معرفة شخصية جميع الباحثين في هذا الموضوع من ايام لانغرهانس الى يومنا هذا فلما دعاه المستر نوز Noyes مدير معامل غايتس الكيمائية بكاليفورنيا ، الى دخول الميدان لى الطلب . وكان معهد كارنيجي قد تبرّع بالمال لهذا البحث . فاجه آييل من البدء الى غرض عظيم وهو تحضير المادة الفعالة في الانسولين ، نقية من الشوائب . ولكنه لم ينفرد بالبحث جبا بالنصر ، اذا تم له ، ان ينسب اليه . بل اختار طائفة من الباحثين الشبان ، بينهم الباحث

(١) وفيما قصة اكتشاف الانسولين في كتابنا « اطباء العلم الحديث » فلترجع هناك

غيلنغ Geiling وكان لهم بمثابة القائد المرشد ، لا يستكثر على نفسه ، وهو الباحث الخضر ، ان يأخذ بأرائهم حيث يجد الرأي على صواب . وكذلك بعد بحث دام سنوات ، تمكن في نوفمبر سنة ١٩٢٥ من ان يقول ، وقد رأى بلورات دقيقة في قعر إنائه ، « هذه البلورات هي بلورات تونر الانسولين » وكان وزنها اربعة اعشار الغرام . فامتحت في الارانب وثبت أنها نقية من كل شائبة . ولكنه لم يقف عند هذا ، بل مال الى حلها لمعرفة تركيبها الكيميائي فثبت له أن جزيئها جزيء معقد التركيب من البروتين وعبارته الكيميائية كما يلي : $C_{45}H_{69}O_{14}N_{11}S_3H_2O$ (كربون ٤٥ ايدروجين ٦٩ اوكسجين ١٤ نيتروجين ١١ كبريت ٣ ايدروجين ١٢ اكسجين) ومن المعروف الآن ان الانسولين التقي يمكن استخلاصه من الغدد الحلوة في البقر والثيران والعجول حتى وبعض الاسماك كذلك

ولكن آيل لم يخطر له ، مع ماتم على يديه ، ان يلقي الانبوب وي طرح الاناء ، ذلك بان الانسولين ، لم يكن عقاراً هيناً . فهو مركب غير مستقر ، واذا اخذ شرباً فلقد تفعل فيه عصارات الجسم ، فتحلله وتقوت الغاية من أخذه . وآيل يريد ان ينقذ المريض من وخز الحقن ، فقال لعل المريض بالسكري لا يحتاج الى كل جزيء الانسولين . فاذا عرفنا كيف تتركب الذرات في الجزيء فلعلنا نستطيع ان نفصل منها ما لا يحتاج اليه في علاج السكري . وما خطر له هذا الخاطر حتى اشرق وجهه ، فلم يضع دقيقة واحدة في تدبير وسائل البحث ، واعداد اساليب التجربة والامتحان ، على الرغم من نخذ مكسورة في حادث اصطدام — ولا يزال آيل ومساعدوه وعشرات من الباحثين في مختبرات تورنتو ولندن وامستردام ووشنطن وهيدلبرج يجدون في البحث وراء هذه الغاية !

— ٢ —

كان ممن انقذهم الانسولين من الموت ، اميركي يدعى ايفانز Evans وكان لهذا الاميركي ولد يدعى هربرت مكليان ايفانز تخرج برتبة دكتور في الطب من جامعة جونز هبكنز سنة ١٩٠٨ ورغب في ان ينصرف الى البحث العلمي . فلما علم والده بنبئه قطب حاجبيه ، لانه لم يدرك كيف يرتزق الانسان ويثري من البحث العلمي . ولكن لما حلت عجيبة الانسولين في عروقه ، وانقذته من الموت ، آمن وقال « بان هذا الكلام الفارغ لا بأس به » . وكان ايفانز الشاب قدسأل الاستاذ جاك لوب في ما يتوفر عليه من موضوعات البحث فقال لوب « لا ترض ان تكون كيميائياً عادياً . شق طريقك ولا تخش ان تروء ميادين ليست من اختصاصك » . وكذلك اخذ ايفانز يتنقل من البحث في موضوع الى موضوع ، كالنحلة تتنقل في الروض من زهرة الى زهرة . بدأ بصرف عنايته الى التشرح ثم عني بعلم الاجنة ، فلما اعياء تقطيع الانساج ، رغب في ان

يتبع كل خطوة في نشوء الجسم ، قتلقة البحث البيولوجي في در دوره وقذفه في ميدان الغدد
واذ كان بانتنتج يجرب تجاربه المشهورة في السكلاب رغبة منه في امتحان الانسولين ،
كان ايثانز مكباً على الغدة النخمية ، وهي من الغدد الصم العجيبة في الجسم . كتلة مستكنة
في منخفض داخل الجمجمة عند قاعدتها . عرفها جالينوس وقساليوس وظنوا انها تجهز الجسم
بالخاط ، ثم ظن بعضهم ان بين نمو الجسم وعمل هذه الغدة صلة ما . فلما كانت سنة ١٧٨٣ اشترى
الطبيب الجراح جون هنتر جثة عملاق ايرلندي يدعى تشارلز اوريان بخمسمائة جنيه ، وكشف
عن الغدة النخمية فوجدها في حجم البيضة ، مع ان وزنها في الرجل السوي لا يزيد على نصف
غرام . وما انقضى قرن على هذه الحادثة حتى ظهر ان «العنقة» وهي تضخم اليدن والقدمين
والانف والشفيتين والفكين ، ترتد الى تضخم في الغدة النخمية . وثبت كذلك ان هذه الغدة في
الافزام ، اما انها لم تنم نمواً سوياً واما انها متكنسة degenerated

وكذلك اقبل ايثانز على الغدة النخمية وهمه ان يعلم هل تفرز توراً (هرموناً) يسيطر
على النمو او لا ، فصنع خلاصات مائة من الغدد النخمية المستكنة من الثيران . وفي سنة ١٩٢٠
جرب خلاصاته باعطاها شرباً فلم تسفر عن اي نتيجة ، فعمد الى حقنها في صغار الجرذان . ولما
تنقص عليه بضعة شهور حتى اصبحت هذه الجرذان ، عمالقة بالقياس الى الجرذان السوية .
فلما توقف ايثانز عن حقنها بعد فطامها توقف نموها الشاذ . ثم اخذ طائفة من
الجرذان ونزع غددها النخمية فلم تبلغ في نموها الحجم السوي ، فحقنها بهذه الخلاصة فعاتت
سوية ، وعمد باحث يدعى هورن في انكلترا الى استعمال خلاصة من هذا القليل في السمندل
المائي ، فوجد ان التحول فيه اسرع جداً مما يقع في السمادل التي لم تحقن بها

اذا كانت هذه العجائب تتم في الحيوان فماذا يحول دون وقوعها في الانسان . أليس تركيب
الاتوار وفعلها الفسيولوجي واحداً بصرف النظر عن الحيوان الذي تستخلص منه ؟ أليس
الانسولين المستخلص من الغم كالانسولين المستخرج من الناس والبقر والسمك ؟

فلما حضر ايثانز خلاصة من الغدة النخمية على جانب من النقاء عمد الى تجربتها في فتاة
في التاسعة من عمرها . عهد في التجربة الى الدكتور وليم انغليك احد اطباء نيويورك . كان قد
انقضى على الفتاة اربع سنوات وجسمها لا ينمو . ولكن في سنة ١٩٣١ اعلن الدكتور انغليك
ان قامة الفتاة زادت بوصتين وسبعة اعشار البوصة طوياً بعد علاج بهذه الخلاصة دام ثمانية
اشهر . وتبع اطباء كثيرون هذا الاسلوب من العلاج فاصابوا نجاحاً عظيماً . ومن حوادثهم ان فتى
دون الخامسة عشرة من العمر زادت قامته ثمانية بوصات ونصف بوصة في واحد وعشرين شهراً
وما كادت هذه الحقائق تداع ، حتى اغرق الناس في التصور ايما اغراق . فقالوا ان الناس

بفعل هذه الخلاصة يستطيعون ان يصبحوا مرده جبارة . ولكن ايقانز عالم حذر . فلم يطلق لتصوره العنان . قال : سمعت بعضهم يقول ان الميكادو يستطيع ان يمد قنات جنوده بها اذا شاء ، ولكن حتى الميكادو لا يستطيع ان يدفع ثمن الخلاصات اللازمة لذلك . وقد ينقضي عقد من السنين قبل ان تتمكن من معرفة تركيبها الكيميائي ، وعقد آخر قبل ان تتمكن من تركيبها بالتأليف الكيميائي من قطران الفحم . اننا لا نزال على عتبة الباب »

وحتى كتابة هذه السطور ، لم يستخرج هذا التور (الهرمون) — ويدعوه بعضهم فيون Phyone —

نقياً من الخلاصة المستخرجة من الغدة النخمية

قبل ان شرع ايقانز في بحثه عن تور النمو في مفرزات الغدة النخمية ، كان الدكتور كوشنج Cushing⁸ احد جراحى جامعة هارفرد ، قد ازال اجزاء من الغدد النخمية في مائتي كلب . فلاحظ وجوهاً مختلفة من التغير فيها ، غير توقف اجسامها عن النمو . ذلك ان الكلاب سمحت وفترت حركتها وضمرت اعضاؤها التناسلية . ووجد ايقانز ان الخلاصة التي يحضرها تيمد نمو الجرذان سيرته السوية ، ولكنها عاجزة عن تنبيه الغدة التناسلية فيها . فاناث الجرذان اذا زعت غددها النخمية وتزاوجت لا تفرز البيض اللازم للتوالد . ولكن اذا ازيلت الغدة قبل التزاوج بساعة واحدة افرزتها . ان هذه الحقائق تحمل على الظن ان الغدة النخمية تفرز توراً آخر — غير الفيون تور النمو — ينبه الانثى الى افراز البيض

واقبل على هذا البحث طائفة من الاعلام . فابتدع ستوكارد وتلميذه پاپانيكولاوس اسلوباً للبحث يقيسان به مدى النشاط الجنسي في الحيوان ولا سيما الجرذ . وفي سنة ١٩٢٣ ابتكر فيليب سمث مساعد ايقانز في كاليفورنيا طريقة تمكنه باستعمال المكربسكوب المشرح من الوصول الى الغدة النخمية وانتزاعها بشق في حلق الجرذ . فلما انتزع الغدد النخمية من عدة جرذان ثبت له ان نشاطها الجنسي يضعف ، ولكي يثبت ذلك اخذ جرذاً سلست منه غدته النخمية وضعف نشاطه الجنسي ، وزرع فيه تحت الجلد غدة نخمية سلست من جرذ آخر فعاد اليه نشاطه الجنسي . على ان زرع الغدة لم يكن ضرورياً ، لان الحقن بخلاصتها كان له نفس التأثير الا ان اكتشاف هذا التور وفعله لا يسند اليه لان الباحثين زوندك Zondek وأشليم Aschheim الالمانيين تقدماه اربعة اشهر في نشر النتائج التي وصلا اليها في هذا الصدد ، واطلقا لفظ برونان Prolan على هذا التور النخمي المنبه للنشاط الجنسي وعلاوة على ذلك اكتشف زوندك وأشليم ان حقن بول الحوامل في الفئران يؤثر تأثير الحقن بخلاصة الغدة النخمية . فأفضى ذلك بهما الى اكتشاف اول امتحان يصح الاعتماد عليه للنساء اي بدء الحمل . ذلك ان المرأة التي تريد ان تتأكد من انها حامل او غير حامل لا تستطيع هي ولا يستطيع طبيبها ان

يعرف ذلك إلا بعد انقضاء شهر أو أكثر . لان انقطاع الحيض لا يمكن ان يؤخذ دليلاً أكيداً على الحمل . ولكن اذا اخذ بول حامل وحقن تحت الجلد في فأرة غير متزوجة ، أو أرنب ، ثم قتلت الفأرة أو الأرنب بعد ثمان واربعين ساعة ، وفحصت خلاياها عرف ، من تطور تلك الخلايا أو عدم تطورها هل المرأة صاحبة البول حاملٌ أو لا . وبهذه الطريقة يمكن تبين النساء حتى في الاسبوع الثالث ، والاصابة تبلغ ٩٩ في المائة . بل وفي مياه اليابان سمك اذا وضعت في ماء الاناء الذي يصبح فيه قدراً يسيراً من بول حامل ، استطال مسلك مبيض عشرة اضعافه في خلال اربعة وعشرين ساعة ، فيدل ذلك على النساء . واذا كانت المرأة غير حامل لم يحدث اي تغيير فيه . ويمكن استعماله ثانية للفرص نفسه بعد بضعة اسابيع

وعلى اثر اكتشاف (البرولان) وهو تور الغدة النخمية الذي له صلة بالجنس ، اكتشف اوسكار ردل الاميركي توراً ثالثاً في مفرزات هذه الغدة نفسها ذلك انه غذى طائفة من الحمام بخلاصة من الغدة النخمية فوجد ان قدرتها على افراز المادة اللبينية زادت زيادة كبيرة . فأطلق ردل على هذا التور اسم « برولاكتين » Prolactin أي الملبّن بعد ما ثبت له ان من شأنه توليد اللبن في ائداء حيوانات اخرى بما فيها ذكورها . وقد ذكر من عهد قريب ان هذا التور قد يكون خليطاً من تورين احدهما يختلف عن الآخر في تأثيره الفسيولوجي ، وان الثاني ينبه غريزة الامومة . فدجاجة حققت به قاقبت بعد يومين وبدأت تحتضن . ولما حقن انثى جرد غير متزوجة به ، امتنعت عن التهام فرخي هام وضعا في جحرها بل عطفت بحنان عظيم عليها . ولذلك قال بعضهم انه لا يبعد ان نرى « حب الام » في زجاجة تباع بدرهمات في دكان عطار وفي سنة ١٩٣٣ زعم احد الباحثين الفرنسيين انه كشف توراً رابعاً في الغدة النخمية ينبه الغدة الدرقية

— ٣ —

وفي خلال ذلك قرأ باحث يدعى دويزي في المدرسة الطبية بسانت لويس ما كتبه زوندك الألماني ، فحمله ذلك على النشاط الى البحث عن تور المبيض . كان قد سبق له ان اشتغل بالسائل الحوبصلي الذي يفرزه المبيضان في انثى الخنزير . فعمد الى المستشفيات التي تكثر فيها الحوامل وجعل يجمع مقادير كبيرة من بولهن ، وقضى ست سنوات يبحث بأساليب متنوعة عن طريقة لاستخلاص تور من هذا البول حتى فاز في نهايتها بالحصول على تور لا يوجد في بول الحوامل الا بمقدار واحد في أربعة ملايين وفي ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٩ أعلن دويزي استفراده لتور المبيض نقياً . فتقدم بضعة اشهر فقط في عمله هذا على عالين اوريبيين هما اودلف بوتناندت Butenandt الألماني ولاكور الهولندي Laqueur وقد اختير لهذا التور اسم ثيلين theelin وهو مشتق من اللفظ

اليوناني ميلوس اي انثى . اما تركيبه الكيميائي فكما يلي : ك ١٨ يد ٢٢ أو ٢٢ (C18 H22 O2) وبعد ذلك اتسع نطاق البحث فعثر باحثون متفرقون في المعاهد والمختبرات على الميلين في مبايض القرد والفرس والغنم والبقر والخنازير والدجاج والسمك ، بل وفي برازها . واستعمل الميلين في حالات مختلفة من امراض النساء الخاصة ، فأصاب مستعملوه قسماً وافراً من النجاح

وكان من الطبيعي ان يكون الفوز باكتشاف تور المبيض منها للبحث عن تور او اكثر في الخصيتين . بل قبل هذا الاكتشاف كان فريق من اساتذة جامعة شيكاغو زماعة كوخ F. C. Koch ومعاونة لجنة البحث في شؤون الشق مهتماً بالبحث عن هذا التور . فحصل لومويل Lemuel وماكجي McGee على خصيتي تور بعد انقضاء دقائق على ذبحه وضعا منها خلاصة امتحانها بطريقة طريفة . فقد كان القدماء يعلمون ان ازالة خصيتي الديك تجعل لحمه أطرى مما يكون لحم الديك عادة . وكان الديك الذي سلبت خصيتاه يختلف عن الديك السوي من وجوه اخرى . فصفت الذكر فيه من حب المقارعة والقتال ، تتحول فيه الى جبن وتراخ ويميل الى السلام والطمأنينة كأنه انثى — فكان قلما يصيح وليس بالنادر ان يعنى بالفراخ غابة الام بها . ثم ان عرفه يضمم حجماً ويكمد لونا وريشه يفقد لمعانه

اخذ ماكجي الخلاصة التي صنعها من خصيتي التور وحقن بها ديكاً مخصياً في ابريل ١٩٢٧ ، فكبر عرفه الضامر وزها لونه المكمد وظهرت فيه جميع الخواص التي يتصف بها الديك السوي . وعندئذ جعل كوخ وقرينته يصفيان الخلاصة رغبة في الحصول على تور الخصيتين نقياً في شكل بلورات . واذا كانت هذه التجارب قائمة في شيكاغو ذاع من اوربا في سنة ١٩٣٢ ان تور الذكر قد حضر نقياً في شكل بلورات . وكان صاحب هذا سبق بوتناد الالماني الذي سبقه دوزي قليلاً في اكتشاف تور المبيض . ولكنه استخلص التور من سوائل الكليتين في رجل لا من خصيته وحقق عبارته الكيميائية فاذا هي ك ١٩ يد ٣٠ أو ٢ (C19 H 30 O 2) . ومن اغرب ما ذهب اليه انه يمكن تحضير تور الخصية من تور المبيض بالكيمياء . وفي آخر سنة ١٩٣٤ فاز روزيكا Ruzicka في زوريخ بتركيبه بالتأليف الكيميائي من مادة الكوليسترول المستخرجة من دهن صوف الغنم

دعي هذا التور اندروستيرون Androsterone وهو ليس بتور الخصية . وتور الخصية دعي تستوستيرون Testosterone وقد حضره نقياً في شكل بلورات الباحث لا كور في امستردام في يونيو سنة ١٩٣٥ والتوران لها عبارة كيميائية واحدة ولكن ترتيب الذرات في جزيء الواحد يختلف عنه في جزيء الآخر . وفي سبتمبر سنة ١٩٣٥ اذاع روزيكا انه ركب التور الثاني بالتأليف الكيميائي

نشر الخريطة

قصة الريادة

خلال خمس آلاف سنة

« هو الزى جعل لكم

الارضه زلولا فامسوا

في صنا كبرها.... » الآية

ان تاريخ الريادة ينطوي على قصة من أعجب القصص، قوامها إقدام لا يثنى ، ومغامرة لا ترتد أمام الخطر، وشوق الى كشف المجهول وسواء أكان الباعث على الريادة طلب المجد ام توسيع نطاق العلم ام البحث عن العطور والافاويه ام الرغبة في بقعة أرض يرفع عليها علم امة مستعمرة ، فالريادة ردُّ الانسان على ما تحيطه به الطبيعة من الالغاز وتوجهه اليه من التحدي . ان استجلاء الاسرار التي تنطوي عليها الاشعة الكونية ، ونوى الذرات ، والتحليق في الجو بغية الوقوف على حقائق الطبقة العليا من الهواء ، ومقاساة السغب واللغب والقيظ والقر ، حوالى القطبين او في قلب افريقية وصحاري آسية — كلُّ ذلك من الريادة بأوسع معانيها ، وغرض اقطابها واحد وهو ان ينشروا حقيقة الارض التي نعيش عليها خريطة المطوية

وهذا كتاب ^(١) وضعه باللغة الانكليزية المستر «لنرد اوثويت» وهو رحالة مجرَّب وعالم راسخ في شؤون الجغرافية والانثروپولوجية . ان حماسته التي تسم بها كل صفحة من كتابه مقيدة بقيود الحذر العلمي . ولكنه في حماسه يحول الجغرافية من علم جامد الى علم حي . فاذا نظرت الى سعة نطاق الكتاب زمناً ومكاناً — على الرغم مما افضت اليه هذه السعة من اهمال بعض الحقائق الاساسية كسعة الاراضي المكتشفة والمسافات التي قطعها بعوث الريادة المختلفة — والى كثرة ما جمع من الحقائق المشتتة في فصول وابواب منظمة رأيت فيه قصة الريادة من فجر الحضارة الى الان وكأنها مناسبة امامك على شريط من الصور المتحركة

خذ فصله عن البحر المتوسط . على سواحل هذا البحر وفي جوارها قامت الدول القديمة مصر وفينيقية واشور وشمير وعيلام وكريت واليونان . من مصر قامت اقدم بعثة في التاريخ بتصد الريادة وهي بعثة هانو سنة ٢٧٥٠ ق . م . باحثه عن الثروة وما يكني حب المغامرة في نفوس اصحابها فوصلت الى ما يعرف الآن بالجبهة وعادت بكثير من الذهب والفضة والمر والاختشاب الثمينة . وبعد ما انقضى عليها الفا سنة ، اي نحو سنة ٦٠٠ ق . م . اوفد الفرعون نيكخو

أعجب بعثة استكشافية في التاريخ فاستطاعت ان تسافر حول القارة الافريقية في ذلك العهد البعيد وكان هيرودوتوس لم يصدق ما بلغه عنها فاكتمى في ذكرها بفقرة قصيرة من تاريخه المشهور. وقد أثبت المستراوثويت ان وصف الرحلة واتجاهها والثغور التي حطت رحالها فيها تنفق كل الاتفاق وما يعرف الآن عن تيارات المحيطات والرياح السائدة على سواحل افريقية

وكانت الريادة في عهد الاسكندر ذي القرنين ، جزءاً من اعماله العسكرية . ولكننا مع ذلك مدنيون له بكثير من أقدم ما عرفه العالم عن البلقان والشرق الادنى وافغانستان وبعض المناطق في شمال الهند . ويقال انه كان يستعد لريادة نهر الكنج عند ما اصيب جيشه بما حمله على النكوص اما في العالم الجديد ، فينكر المؤلف الرأي الشائع ان كولمبوس او اميركوس فسبشوس او مجلان كانوا اول من اكتشف اميركا . ذلك ان مستعمرات من رجال النورس انشئت على بر اميركا الشمالية في القرن الحادي عشر . قال المؤلف : وفي سنة ١٨٩٨ كان احد المهاجرين السويديين وهو يدعى « اولوف اوهمان » يعمل في حرج قرب بلدة كنستغتن بولاية منسوتا (احدى الولايات المتحدة الاميركية) فعثر بشجيرة معمرة كانت جذورها قد تلفت حول حجر وعلى هذا الحجر اثنا عشر سطرّاً من كتابة غريبة . وقضى باحث يدعى « يلمار هولند » عشرين سنة في البحث الدقيق مع خبراء الحراج واللغات وطبقات الارض والآثار حتى أثبت ان هذه الكتابة نقشت لذكرى انشاء مستعمرة من السويديين والنرويجيين في منسوتا قبل سنة ١٣٦٢ والمرجح ان البعثة التي انشأت هذه المستعمرة كانت البعثة التي اوفدت من قبل الملك ماغنوس اريكسن في سنة ١٣٥٥ لانقاذ المستعمرين النورس الذين استقروا في جرينلندة من الوثنية . وكان الدافع الديني حل هؤلاء الرجال على التوغل غرباً في فيافي كندا الى ان استقروا في ولاية ، اصبحت بعد خمسة قرون ، عند كثرة هجرة الاوربيين الى اميركا ، مقراً لمعظم المهاجرين السكنديناويين ونعني منسوتا

في فصول هذا الكتاب ، تتعاقب الصور الاخاذة — ريادة القارات وفيافها وصحاريها وقمها والنفوذ الى منابع انهارها والتوغل في حراجها وادغالها واقتحام جمد القطبين سيراً على الاقدام وبالمزالق وعلى أجنحة الطائرات والبلونات ، والتحليق في الجو الى عشرة أميال والغوص في الماء الى نصف ميل — هنا جميع الاسماء الباهرة في تاريخ الريادة من هانو المصري الى بيرد الاميركي وكذلك تتوالى الصفحات كما توالى الاعوام والقرون وميامين الرواد يسرون بعضهم في أثر بعض يحرقون المشاق ويهزأون بالعواصف ، يخفقون آنأً وينتصرون آونة فغنت لهم الارض ومشوا في مناكبها . ان صفحاتهم لمن انصع الصفحات في تاريخ العمران ، بل ان حديث اقدامهم وثباتهم وشوقهم الى كشف المجهول قصيدة بليغة تثير في النفس تلك النزعات العالية التي بها يتمجد الانسان

أمفيون

مسرحية : للأديب الكبير : نول فالبري
مثلت في اوبرا باريس عام ١٩٣١ : حقوق الترجمة والنشر باذن المؤلف

الشخصيات

أمفيون أبولون شخص غير منظور الآلهات الاربع الاحلام الشعب
« نقلها : خليل هندواي »

[يرتفع الستار عن نقب أو خرق واسع في صخرة على ذروة جبل يتهادى نحو السماء والفسحة الخارجة من يمين الصخور وشمالها تغطيها اشجار كثيفة من الكستنا والسنديان . وفي الاعلى تسطح القمة العارية ، وعلى يمين القمة صخور متبلورة وقليل من الثلج يلمع هنا وهناك في الاعلى . وفي وسط المشهد ينبوع يشف مأوه القاتم ، وحوله تصعد شوارع مختلفة تمتد بصورة غير منتظمة حتى تسد هذا النقب . وفي هذه النواحي فسحات فارغة . اما السماء فقد سطع منها جانب من الحجرة . فيها ذرات مضيئة ومجوم مختلفة الحجم . والفناء المظلم يسيطر هنا وهناك . . . في هذا المشهد يقع البصر على اشباح ليلية ترقص زمراً زمراً في كل مكان . تختفي ثم تُرى حيث تتكاثر الظلمة المحيطة بها . ثم يدخل من اليمين والشمال رجال ونساء يفتش بعضهم عن بعض ، يتساءلون ويتفاهمون بالاشارة ، ويتوارون وراء الاشجار ، يجنحون الى الراحة ويدخلون في الظلام ، فتسمع الاذن في هذه الهدأة خفيف الكون ، ونعمة غير انسانية . وعلى هذه النعمة الواحدة تتعالى أنشودة الناي بصوت كصوت الاطفال]

الينايع : نحن الينايع ، لنبك الزمن الفاني
بالقطرات المتتالية !

من دموع الثلج تجري كل حياة
وبنا تبكي الأرض باكية حتى البحر .

« يدخل امفيون وتعلن ألحان صادحة عند قدومه . يدخل حاني الظهر »
« وييده حيوان على هيئة مسخ . يضغط على هذا الحيوان بقدميه ، ويسل »
« مديته ، وينمايهم بذبحه يسمع :

صوت : لماذا ؟ لماذا ؟

دع الحياة تحيا
واترك الموت بأيدي الخالدين !

« يسمع امفيون هذا الصوت فيطرح مديته ويفر الحيوان سالماً . وبعد »
« تردد قليل يتجه الى مغارة عميقة ، فيخلع الجلد عن ذراعيه ، ويجلس »
« متأملاً في السماء المكوكية ثم يفرق في الكرى . فتظلم السماء قليلاً قليلاً »
« وعلى بساط الظلام تبدو الاحلام وهي تزور النائم . وبينهما حلمان غارقان »
« بالهجيع يريدان حربه ، فيلتقفا مسخ ، وتبدو اشخاص عليها خرق »
« غريبة . وامفيون غمره الرقاد ، وأخذ يظهر له « الحلم العاشق » بزي »
« راقصة عارية ترتدي رداءً طويلاً ، تحنو عليه وتلمسه وتفرح به ، وكلما »
« تحرك منه عضو أجفلت منه طائفة »

وهنا تظهر الالهات . . .

إلهة تخرج من الينبوع وتنادي
« إلهة » !

وثانية تخرج من صخرة وتنادي
« إلهة » !

وثالثة ورابعة تنزاح عنهما الغصون وتناديان
« إلهة » « إلهة » !

تعالى هذه الاصوات في زمن واحد ، وصواحب هذه الاصوات يخطرن

في الظل كما نأوي ، يجتمعن - يأخذن بعضهن بأيدي بعض

إلهة ١ : أني لأرى ما لم يكن !

إلهة ٢ : اعرف ما لا يكون !

إلهة ٣ : أصنع ما سيكون !

إلهة ٤ : وأنا لا شغل لي إلا الحب

إلهة ١ : يارفيقائي ! يا أسراب النحل الجميل

لنطع الله ولنقدم أنفسنا لهذا الانسان !

» ٢ : ان روحه تحتبط في جحيم النعاس

» ٣ : انه يشهد

» ٤ : انه يتململ

» ٢ : انه يتمنى

» ١ : انه يظن بأنه يحيا ! ...

ولكن لنحتز من ان ينجيه الافراط في الألم قبيل الفجر !

هيا الى العمل ، ولكن لنبدد قبل كل شيء هذه الصفوف المشوشة

من الاحلام !

لبدأ قتال بين الاحلام والالاهات ينتهي بطرد الاحلام ، وآخر

القتال مع الحلم العاشق .

لها هنا يشمل الظلام قليلاً قليلاً ، ولا شعاع الا شعاع الالاهات .

يسطعن بالنور الازرق وامفيون بنور فضي . والالاهات يعطفن على

« امفيون » الذي لا يزال نائماً ، وهن يرقينه بحركات سحرية

وكلمات مهمة !

المهززة الساحرة : ابها الرجل النائم

ان الليل يضيء عليك

والسكون قد اوجدته الالاهات

لجتمع الالاهات حوله حلقة احتفالية ، واحدة على قدميه واخرى على

رأسه ، واثنتان حول جسده وقد بسطتا ايديهما وشخصت عيونهما في السماء .

ايتها الاخوات الامينات للعبقرية الالهية

إن هذا الرقاد الذي مهدته أيدينا

يُسلم هذا الانسان لله

الجميع

الاهة : يا له من سلام قدسي يتألق على هذا الوجه الصافي !

الاهة : انه تنعكس عليه ابتسامة اهملتها النجوم

الاهة : هذا الجسد الصافي ، هذا الجسد الساكن شبيه بالمعبد !

بالحجر المقدس .

الاهة : وروحه أضاعت سبل الحياة .

الاهة : انه تكالد يجهل نفسه .

الاهة : انه — الآن — ليس الا ما سوف يكون !

يصنع الى الهاوية !

[رعد بعيد والالاهات يسجدن]

صوت ابولون : [كأنه يصعد من جوف المشهد]

امفيون !

الالاهات : ابولون !

الاصداء : ابولون !

الالاهات : نحبيك في جنح الليل العميق يا آله النور !

كم يحلو في اعماق الظلمات الاصغاء الى الكلمة القوية . . .

الاهة : يا سبب الشمس ، ان الظلمات تعبدك ،

والضعفاء من الرجال يحملون في رقادهم بفجر سني يطلع عليهم من يديك .

الاهة : ألا زر هذا الراقد ! وأيقظ فؤاده حتى يصغي شيطانه الخاضع الى صوت

الحكمة القدسية

ابولون !

الاصداء : أ ، بو ، لون ! . . .

الجميع : اضرب يا الهنا ، اضرب . . . أنر ، وأضيء ،

بصوتك الخالد اضرب هذا الراقد !

كما تسطع الشمس الصافية على ذروة الجبل وتير القمة الشاهقة السامقة !
اضرب أيها الاله ! تعال أيها الاله . . .

الاصداء : أيها الاله !

[رعد بعيد]

[الإلهات ساجدات ولمعة غريبة على وجه امفيون]

صوت ابولون : امفيون !

اني انتخبك من بين البشر كما ينتخب الحب :
وكما تنتخب العاصفة القمة .

اني اصطفيتك . . .

فيا أيها النفس العميقة اسمعي وتقبلي ابولون !

[يرتعش امفيون]

الالهات : ابولون !

الاصداء : ابولون

صوت ابولون : اسمع اني سأكون بك مقررًا للناس ، للذرية الفانية .

سأعطيك منشأ النظام

سأنزل عليك في اللحظة النقية الصافية

إذ ذاك ينشأ على وجه الارض فصول معظمة تغمرها الحكمة السماوية

سأأمنك على ما ابتكره « هرمس »

وسأهبك الآلة العجيبة المذهلة

العود

امفيون ، امفيون !

أيقظ النعمة البكر واتصر بها .

ستفتش على اوتاره السبل التي تتبعها الآلهة وستجدها .

وعلى هذه السبل المقدسة تقتني أترك النفوس .

المادة الجامدة تغدو أسيرة عودك .

خذ العود سلاحاً وحرك الطبيعة

وليولد عودي معبدي !
ولبر تحف الصخر باسم الاسم الالهي . . .
واجذب من الضباب هذه الخرائب من القمم !
وقدم لي منذ الفجر معبداً منيراً
ولتكن حوله مدينة كبيرة نبتل فيه بالصلاة .
ولترقع يدك اليّ مقدماً لي ما خلقت وأبدعت
امفيون ! . . .

الآلهات : اپولون

الاصداء : اپولون

[تتمزق الاصداء . . .]

صوت اپولون : وانتن آيتها الآلهات الجميلات الأمينات !

آيتها العزيزات الثقيات !

آيتها العاقلات !

احبينه واحرسنه !

ولكن اعلمن ألا سعادة له ، ولا سعادة تغمره — انه لا يحيا إلا

من أجلي !

انني اتخبته كقمة تتخبها العاصفة !

[نهض الآلهات وتقبل يديه وقدميه وجبينه

اصوات من :

امفيون ، كن معجزة

جوق بعيد

وكن ضحية المعجزة الكبيرة

[يشمل الليل ولا يسمع فيه إلا اصوات الآلهات اللواتي يتنادن

في الظلام]

الآلهات : الالهة ! الالهة ! الالهة .

[يعود النور قليلاً قليلاً مصبوغاً بألوان الفجر وتوارى الآلهات

فيرى العود عند قدمي « امفيون » ولحية مهمة من الطبيعة الحية التي

تتيقظ . وهتاف عصافير وهدير مياه . وتكرار نشيد الينايع]

استيقظ الرجال والنساء ، منهم الذاهب الى صيد ، ومنهم الراح الى
عمل . والنساء منهن الواردة منهل الماء ، والواقفة على الماء تترامى ،
والصغار يلعبون ويتخاصمون . فيضطرب امفيون .

[يتيقظ امفيون وفي خلال هذا المشهد ينسل الاشخاص ، والموسيقى
توقع ممثلة حركات « امفيون » يستوي فجأة على مضجعه ويتأمل ثم ينتصب
ويمشي بضع خطوات ، يتروح نسيم الفجر ثم يهبط الى الينبوع ويرشف
منه طويلاً . يرقص كمن يحرك اعضاءه ، فيقع بصره فجأة على العود
يتأمل امفيون مستغرباً ويمسكه]

[يضرب فجأة فيرن وز من اوتاره رنيناً قوياً يحيب عليه هزيم الرعد
وكتلة من الجبل تسقط ولها صوت عظيم ، ينهزم الناس مذعورين . منهم
المقبل ومنهم المدبر ، فيرتاع امفيون ويترك العود ، ثم يعود اليه محاولاً ،
القيام بتجربة ثانية .]

[رنة ثانية . تعطي نعمة رقيقة فتهوي اليه بعض الصخور هويًا لطيفاً
لا صوت له ، ويطلع عليه عشاق وعاشقات مادين بأذرعهم اليه . وقد
عقدوا الايدي وانسلوا رويداً رويداً ، فيضع العود ويتأمله ، وهو
جالس على صخرة يكتشفها الماء فيرى وجهه . . . فيعود اليه حلمه قليلاً
قليلاً ، وتسمع تنمة مزهرة الالهات بفم مطبق ، فينهض امفيون
مذعوراً ويحدق في السماء مستنجداً مستغيثاً]

الالهات من : امفيون !
حيث لا تنظر

امفيون : من يناديني ؟

الالهات : نفسك !

امفيون : لتذكر نفسك

١ : من يتكلم ؟ أذكر . . . ان صوتاً علوياً ، ان صوتاً لا وجه له يتكلم

في جنح الليل

الم اسمع كلمات القضاء ؟

هل اراني اجد سبيل غرائب الظلام ؟

٢ : ايها الصوت القدير !

لقد قيل . . . انه تكلم . . .

كما تتكلم الهاوية المنارة

هو الذي يخيل الي ان في السكون وتحت النجوم يناجي ذرية الانسان
الشقية ذات الارواح الزائلة !

٣ : انه قال . . . السماء التي تتكلم

قالت :

» امفيون !

اني انتخبك كما ينتخب الحب

اني اصطفيتك كقمة تنتخبها العاصفة . . .

اني اخترتك !

وحبوتك الآلة الغريبة

العود ! . . .

خذ عودك سلاحاً وايقظ النعمة البكر

وليولد عودي معبدي !

٤ : ايها الآلة الخفية ما اعظم قدرتك !

ايها الآلة التي تهب الحياة والموت

انت التي تتقذ ملاحها الالهية روح الوجود !

اني اكاد المس اوتارك الذهبية التي شدها الاله

السماء والارض ارتعشنا

واحسست ان الصخر يهتز كأنه بدن امرأة مأخوذة !

ورأيتُ

الغضب والحب يولدان في الناس

والغضب والحب يفيضان من بين انامي ! . . .

- ٥ : هل جرجت او صدمت او جذبت
جسد الوجود الخفي ؟ وقد يكون ذلك
وهل أثرت — على غير علم مني — في مادة السماوات ؟
وهل لمست الكائن نفسه الذي يوارى عنا أسرار الاشياء ؟
ها أنا الآن أقوى من نفسي .
ها أنا أجدي غريباً ومحترماً لنفسني
تأهلاً في نفسي ، وسيداً حول نفسي !
ارتعش كالطفل ازاء ما اقدر عليه
٦ : ابولون ، ابولون ، انني سأطيعك
مؤلفاً رسومات على العود
أنا ملي هي آلهة ،
وقلبي سابق للناس
٧ : سأغير على الصخور المضطربة المشوشة
وفصولي الصافية ستسخر لأثر لا مثيل له ،
خرائب القمم والمسوخ المتدحرجة الهاوية من حنايا عالية !
٨ : مولاي ابولون معي . . .
سأ تبع العمل والجمال كفرستين !
apolon يغمرني ويعزف مع صوتي .
سيأتي هو نفسه ليبيني معبده .
والمدينة التي ينبغي ان تظهر لعيون الناس قد شوهدت تلمع وتسطع
في مساكن الخالدين على الأبد .
ياخذ امفيون عوده ويريد السماء ويتأهب للعزف وقد امتلاً صدره حمية
ويقيناً ، يضرب على الاوتار ضرباً يسمو فيه الفن سموّاً رفيعاً فتهتز الطبيعة
وترجع الاصدااء صوته ويطفح المشهد بالذهولين
ثم يعزف ضرباً من الرقص المقدس ويستوي على قاعدة الصخور من
الجهة اليمنى ويصيح : [

امفيون : بك يا پولون !

! وهنا يبدو فن البناء وهو مما ينبغي فيه التلاؤم بينه وبين الموسيقى
والاشارات والحركات . والموسيقى هي المعبرة عن حركة الاشخاص
والآلات المتحركة . (١) الحان الحجارة — حجارة ترحل وترتفع لبناء
المعبد ، والحن الحجارة تبدأ بايقاع ينتظم قليلاً قليلاً [

جوق غير منظور : يا للمعجزة ! يا للغرائب !

الصخر يمشي والارض تخضع لهذا الآله .

آية حياة مروعة تدب في الطبيعة !

كل شيء ينحني ! كل شيء ينش عن النظام لينتظم

كل شيء يحس أنه خاضع لقدر

[البناء يكمل ، واجزاء من العمارات مثورة في احشاء الجبال . رسم

المعبد يتوطد . . . عمارة صغيرة مؤلفة من عدة راقصات كاسيات ، ثم

تظهر الالهات موشيات بالذهب ، ينتظمن في المعبد كأنهن اعمدة . . .

ويرتلن]

الالهات : يا بنات الذهب ! القويات بشرائع السماء . . .

يسقط علينا وينام آله لونه لون الشهيد!

[يسطع النور وتشتد الموسيقى . وخلال ذلك يتبدل المشهد ، فالجبل

ينشر عليه البنايات ، وقد غطت الجدران ولمعت السقوف في الشمس

والشعب منتشر زمرأاً زمرأاً [

جوق الشعب : ايها الشمس المباركة طمعتها !

ايها الله الذي يحمل في السماوات المعرفة والحياة . . .

ايها الشمس !

ليس ثمة من يقوى على تأمل مصدر قوتك !

ان لمعة الطلعة الالهية — اللعة التي لا تطاق — تحجب عنا الآله !

اما انت فانظري ايها الشمس عجائب الانسان :

ها هنا يبدو مالم يصنعه احد منذ اشرق وجهك على الوجود !

جوق الشعب: ها هو امفيون ، امفيون الظافر يقدم لك هذه الحجارة الجنية لكي يلتقط اشعثك الصافية .

اقام هذه المساكن المموهة بالذهب ، ونصب لك هذه الجدران العالية .
أيها الشمس !

تأملي معبدك وأريحي شعاعك المتوقد على شكله البديع !
وليكن جميلاً عذباً بالشعاع المنحدر من الحيين الالهسي !
[دعاء وتهليل ، يدعى امفيون الى المعبد]

جوق الشعب : امفيون الجليل تقبل مدائحنا !

كن قائداً ، وملكنا .

اصعد الى العرش ، واصعد الى المعبد ، يا امفيون ! ...

(يدخل امفيون وقد احاطت به الجماهير وعليه الزينة المنمقة)

(وخلال هذا المهرجان تتقدم الالهات)

الاهة (١) : العمل انتهى ...

الاهة (٢) : سأتحري عن معلم ثان

الاهة (٣) : لا يهمنا امره مهما كان !

الاهة (٤) : انني لم اكن الا أملاً ... !

يغمرهن الظلام وفي اللحظة التي يهيم فيها البطل بالصعود الى الهيكل يدنو منه خيال امرأة محجوبة ، يدخل انسلاً ويسد عليه الطريق بذراعيه المفتوحين على شكل صليب . يهوي على الزينة حجاب . والفور يضعف والموسيقى يخف بأسها . يدور امفيون ولكن الخيال المحجوب يمسكه بخنات يأخذ منه العود الذي انبثقت منه الحانه وتلقيه غير بعيد في الينبوع فيواري امفيون وجهه في حجر هذا الخيال الذي هو : الحب او الموت . وينجذب بها منقاداً مذهولاً ، بينما الموسيقى تعزف لنا مظلماً عذباً قليلاً .

« الستار »

نواحيها العقلية

والاجتماعية كما تبدو وتستخلص من آثارها

بقلم قيصصر صادر

عضو جمعية العاديات السورية

نوطته

بعد ان اتينا على ملخص تاريخ حروب الحثيين وقروحاتهم يجمل بنا ان ننقل الى تبيان سائر ما وقفنا عليه من فروع حضاراتهم وتطوراتها وهدفنا في ذلك ان نبين مكانة تلك المملكة العهدية التي تفوقت على كثير من ممالك الشرق القديمة بمنتجاتها الصناعية والفنية ولغتها وآدابها وشرائعها ومعتقداتها وليس لنا من رائد في هذا الميدان غير مكتشفات العلم التي يصح الركون اليها ولعل اجلي مظهر اطلعنا عليه من مظاهر تلك الحضارة العهدية هو ما جاء في رواية استيلاء العاهل اشور ناصر بال الثاني على كركميش المنقوشة على حجارة قصوره حيث قال : « في الثالث من شهر نيسان سنة ٨٧٦ ق.م غادرت كالح وعبرت نهر الدجلة قاصداً مدينة كركميش في بلاد الحثيين فاجتزت نهر الفرات على ارمات مكسوة بالجلود ولما اقتربت من كركميش فرضت على سنقارا ملك الحثيين عشرين وزنة من الفضة وثلثي عديده من الذهب ومائة وزنة من النحاس ومائتي وزنة من الحديد والقصدير وآلات حديدية ونحاسية كثيوس وحراب وسنن وماشا كلها من المعدات الحربية واثاث بلاط الملك وغنائمه واشياء كثيرة لا مئيل لها في جودها وجمالها واثاثاً من ابوس واعراشاً من خشب السنديان ومائتي امرأة رقيقة وانسجة من صوف ومركبات مرصعة بالعاج وتمائيل من ذهب » . فيدلنا ذلك كله على الاوج الرفيع الذي بلغته الحضارة الحثية في الزاء والعمران ورفي الصناعة مما خلب لب ذلك العاهل الاشوري وحمله على الاقرار رغم انفته وكبريائه بأنه لم يكن قد رأى مثيلاً لها في سائر ممالكه على ان ذلك ليس الا عبارة عن وصف

سوف نلمس حقائقه بدراسة ما اكتشف من آثار تلك الحضارة القديمة وباستقراء نقوشها البارزة في أساطير الأجيال التي أقامتها وزى بصورها الراسخة في بطون الأحجار طراز معيشة تلك الأقوام في بيوتها ومصانعها ومعاييدها ولعلنا نستطيع ان نتبعها حتى أعماق قبورها

الكتابة

لا مرية ان معظم هذه المعلومات انبثقت من حل رموز الكتابات الحثية فينبغي اذاً ان نجعل هذه الكتابات قطب دراستنا ونوجه اليها اهتماماً. فبينما نراها في اول طورها كناية عن اشارات مصورة تعرب عن الافكار على شاكله سائر الكتابات القديمة لا نلبث ان نشاهد الرموز تحمل مكان الصور فيدلنا هذا التطور على ازدياد معارف القوم على توالي الايام واتساع حلقة افكارهم. وقد عرفنا اللغة الحثية نوعين من الحروف الكتابية الهيروغليفية والمسمارية ونعني بالاولى حروف الكتابة المقدسة التي كانت خاصة بالحفر والزينة فغشت المسلات والانصاب وجدران المعابد والقصور وقد احتفظ الكهان بأسرارها فكادت تبقى طليماً لا يحل وحروفها مؤلفة من اعضاء الجسم كافة ورؤوس بعض الحيوانات والعصافير واشياء شتى على مثال الهيروغليفية المصرية بيد انها غير مقتبسة منها بدليل انها تمثل المتاع المختص بالحشيش كالنعال ذي الرأس المعكوف ورؤوس بعض الحيوانات المحلية وغيرها من العوامل التي تتضافر على اثبات استنباطها في آسيا الصغرى. وقد كانت تكتب طوراً من اليمين الى الشمال وتارة من الشمال الى اليمين فيعرف مبدأها من شكل اتجاه رؤوس الحيوانات المصورة وهي تقرأ غالباً من أعلى الى أسفل وفي بعض الاحيان من أسفل الى أعلى ويلوح انها تمت الى عهد ارقى من تاريخ استعمال الكتابة المسمارية لانها تكاد تصور الاشياء المراد ببيانها تصويراً. اما الكتابة المسمارية فخروفها مؤلفة من رؤوس المسامير تشبه علامات الألحان الموسيقية ولكنها أكثر منها تلاصقاً. وقد تيسر للعالم الأثري هروزني التشكوسلوفي ان يهتدي الى حل بعض الغازها الغامضة بالاستنتاج من بعض علامات فيها تدل على معانٍ معينة في سائر اللغات السامرية والبابلية من جهة وبمقابلة بعض نصوص مترجمة من ألواح بوغازكوي باصلها الاكادي وكانت اللغة الاكادية في ذلك العهد بمثابة لغة دولية تدون بها بنود المعاهدات ونصوص الطب والفلك وسائر العلوم

وقد وجدنا الخطوط القديمة كثيرة التعقيد ثم رأيناها تميل الى البساطة شيئاً فشيئاً مع تطور الحضارة وكانت تنقر على الأجر والأحجار الصم بارزة وتطرق على الصفائح المعدنية من وراء فتلتاً من جهتها الاخرى وقد باتت الغازها المغلقة قريبة الحل بفضل جهود العلماء ومساعدتهم المثمرة

أصولهم الاجتماعية

لقد تسنى لنا الوقوف على أغلب تقاليد الحثيين وعاداتهم وطرز معيشتهم بالاعتناء من الصور المنقورة في الصخر وبقراءة تفسير النصوص الكتابية التي توافرت لدينا قنيتين لنا انهم هاموا منذ فجر نهضتهم بالحروب والفتوحات وكانوا يعنون أيضاً بترية الماشية ويميلون الى التوسع في الاراضي الخصبة بقصد استغلال ثروتها الزراعية ثم أخذوا يستخرجون المعادن ولا سيما الحديد من مناجم آسيا الصغرى وصار عندهم نقود يتبادلونها في قضاء حاجاتهم وكانوا على الأغلب يخلقون لحامهم أما الملوك وبعض الاعيان فكانوا يتأنقون بارخاها ويرسلون غداً شرعهم على ظهورهم مضخة بالطيب وكانوا يميزون عن سائر الشعوب بأنوف قنسي. أما ملابسهم فكانت بسيطة. كان الرجال يرتدون قمصاناً قصيرة يشدها زنار عريض الى وسطهم فتكشف عن الركب غير ان الملوك والسكمان كانوا يرتدون في بعض الاحيان ألبسة خاصة طويلة الاهداب عريضة مثانة كثيرة الزخرفة وكانوا يتخذون فعلاً طويلة معكوفة الطرف وهي من أخص ميزات لباسهم. اما النساء فكانن يتأنقن بارتداء أثواب منسوجة من أقمشة رقيقة شفافة تم من خلال طياتها عن شكل أجسامهن وبروز نهودهن وكان التزين بالحلي مثل الأساور والعقود والاقراط والأحراز الثمينة شائعاً عندهن.

وكان للمرأة الحثية شأن كبير في المجتمع فقد شاركت الرجل في أدق أعماله وخاضت الحروب الى جنبه واعتلت العرش ونقبت المغام وأحرزت اسمى الالقاب وكان لها منزلة مكرمة وحقوق ممتازة تقبضها عليها أرقى نساء اليوم. على انه لم تكن الى ذلك كله سعيدة في حياتها الخاصة اذ قل بينهن من ليس لها شريكات من الرقيقات في بعلمها حيث لم يكن أحب الى الحثيين ذوي الانوف الكبيرة من ان يتسروا ويعاشروا اكبر عدد ممكن من الرقيقات الجميلات الى جانب زوجاتهم الشرعيات حتى اشتهرت بلادهم بكونها مهد التهنك واللذات.

وقد كان الملك سيدهم المطلق يستمد سلطانه من الآلهة التي كان يمثلها على الارض فكان مطاعاً لانه رأس الديانة والحيش والقضاء وكان يحمل مع التاج وشارات الملك لقب تلابارناي الملك الحثي الأعظم كما ألمعنا الى ذلك في سياق الحديث. وكان العرش وراثياً ومن حق الابن البكر فاذا لم يكن ثم ولد للزوجة الشرعية تبوأه الأدنى من ذوي القربى ويسري هذا الحق على النساء لا سيما اذا كان ولي العهد قاصراً فنصب الملكة وصية عليه وتحمل التاج وتلقب بأُم الآلهة وكان من حقوقها ان تشترك في عقد المعاهدات وقد رأيناها في بعض النقوش الى جانب الملك في الحفلات والطقوس الكبرى.

وكان الشعب يغالي في احترام ملكه وينزله من نفسه منزلة الآلهة لاعتقاده يقيناً انه صار

بعد المات الهاً مثل آباءه وأجداده فيدفع له ضريبة أرضه صاغراً كما ان سكان الاقليم كانوا مكلفين ان يدفعوا علاوة على ضريبة أراضيهم العائدة الى ملك مقاطعتهم ضريبة سنوية للملك الاعظم وعند ما ينتقل هذا الملك الى حياة الخلود كانت تحد عليه رعيته حداداً عظيماً فتمزق ثيابها وتفلق المعابد وتكف عن الافراح والاعراس وتسكب عليه دموعاً سخية اكبّاراً لمقامه وحزناً على فقدانه

الربانة

كانت معابد الحثيين تضم عدداً لا يحصى من الآلهة وقد تسنى لنا ان نتعرف الى بعضها من الاسماء والنعوت التي كانت تحفر غالباً على اكتاف اصنامها. فقد كان لكل عنصر من عناصر الطبيعة اله يمثله حيث اعتاد الحثيون ان يؤهلوا كل قوة يخشون بأسها على الأرض. فكان عندهم آلهة للنار والهواء والمطر والشمس والذرى والصواعق وكثير غيرها من عناصر الطبيعة على مثال سائر الديانات الشرقية القديمة ولا سيما ديانات الهند التي تشرّب الحثيون كثيراً من عقائدها الآرية والديانة الشمرية التي اقتبسوا منها معظم طقوس عبادتهم

زد على ذلك انه كان من تقاليدهم ان يبقوا على الممالك التي يفتحونها عقائد سكانها الدينية وماداتهم المحلية ويضمون آلهتها الى هياكلهم ويراعون حرمة اعيادهم خلافاً لسائر الدول القديمة التي كانت تحمل المغلوبين على انتحال ديانتها. فجميع لديهم من جراء ذلك مئات من الآلهة حيث كاد تكون لكل مدينة آله محلي يعبد فيها بجانب الآلهة الكبرى وكانت تختلف رتبة تلك الآلهة المحلية باختلاف مكانة المدينة التي تنسب اليها فكانت مثلاً مدينة عارينا الكبرى تحت حماية الهة الشمس التي تأتي مع زوجها الآلهة الاكبر واهب الحياة في طبيعة المعبودات ثم يليها سائر طوائف الآلهة بمراتب متتابعة بعضها تلو بعض وقد أرتنا الآثار لكل تلك الآلهة هيئات وصفات خاصة يختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيناً

قلنا في ما سبق ان الملك هو رأس الديانة لانه يمثل الآلهة على الأرض وهو كاهنها الاكبر بعاونته في وظائفه الدينية رهط من السكمان بمراتب متفاوتة تقتصر وظائفهم على خدمة الطقوس وقد اطلعنا في لوح على وصف طقوس الاعياد نسردها على علاقتها تاركين للقراء ملاحظة وجوه التشابه بينها وبين اصل طقوس بعض الاديان المعاصرة

تؤم الجماعات المعبد يوم العيد فتقام الموائد المقدسة وتبلى الاناشيد وعندما يكتمل عدد المؤمنين يرتدي الملك ثياب العيد الخاصة ويتبرج بالحي الطقسية ثم ينتقل من قصره الى الهيكل باحتفال مهيب وعند اجتيازه عتبة المعبد يغسل يديه في حوض الماء المقدس ويحرق البخور حوله ويبلغ قدس الاقداس مطهراً فيسجد تخشعاً ثم يعطي اريكته فتقدم عندئذ قرايين اللحوم الذكية وتصف على الموائد المقدسة المغطاة بفوطة بيضاء وتراق فوقها الحبوب. فيأخذ محله في صدر المائدة

الكبرى ويجلس الاعيان والكهنة عن يمينه وشماله بعد ان يغسلوا ايديهم ويضعون فوطاً على ركبهم ويأخذون معه في تناول الاطعمة المقدسة التي تتخللها بعض رموز دينية وتلاوة بعض التساميح . فينطبق ذلك كله على طقوس الاديان السامرية والاكادية ويجعلنا نتيقن ان جميع اديان العالم مقتبسة طقوسها بعضها من بعض

اما صلواتهم فقد كانت عبارة عن تضرعات الى الآلهة من اجل طلب التمتع بملاذ هذه الدنيا وشهواتها مع الاشادة بمدحها وهنالك صلاة أشبه بزامير التوبة تتلى في حال الخطيئة . ويلوح ان السحر والشعوذة كان لهما شأن خطير في معتقدات الحثيين . فقد ثبت انهم كانوا يؤمنون بضروب السحر وتأثير الطلاسيم وقد تبطن عقائدهم الخرافات والاوهام السخيفة . ودليلنا على ذلك ما عثر عليه في حفريات بوغاز كوي من اكباد من خزف مغطاة بخطوط وشعوذات من شأنها ان تدفع الشرور والبلايا عن حاملها كما تبين من تفسير لوح وهو ان الوضع عندهم كان يجري على مقعد خاص يأتون به من المعبد عند ما يبدأ الخاض . فاذا تخدش جسم المرأة بنحش ذلك المقعد في اثناء الوضع او كسر المقعد تحتها يفسر ذلك بان المرأة نجسة فيتحتم عليها ان تمر بسلسلة مراسيم شاقة لتطهير نفسها . قس على ذلك شتى انواع المعتقدات التي يسميها العقل . وقد أرتنا النقوش البارزة على جدران المعابد رسوم قصص خيالية لها علاقة بديانهم مثل الرسم الذي يمثل عراك الآلهة الاكبر مع حية رقطاع ونقش آخر يجسم لنا الغواية في رسم امرأة متصفة العري وغير ذلك من النقوش التي سنمر بها عند درس الآثار والفنون الحثية

ولعل أغرب ما في خرافاتهم قصة تلخص باختفاء الآلهة تلاينو عن وجه اليابسة حقاً واتقماً من البشر مما ادى الى اشراف الدنيا باسرها على الهلاك لحل مزروعاتها والقحط الذي اصابها . فعقدت الآلهة اجتماعاً كبيراً قررت فيه ان توفد العقاب للبحث عن اخيهم تلاينو الخفي فجاب العقاب الفيافي والقفار ورجع صفر اليدين مما حمل الآلهة الاكبر على ان يتحراه بنفسه فخاب مسعاه كذلك وكانت النحلة اعرف المخلوقات بمحبته فأمرتها الهة الشمس ان تذهب اليه وتلدعه في يديه ورجليه ففعلت النحلة ما أمرت به وتأثر تلاينو بلذعتها فارتدع عن غيه وعاد الى الارض فعادت معه الحياة الى مجاريها

ويجدر بنا قبل ان نختم موضوع الديانة ان نورد وصف لوقيانوس اليوناني لمعبد ادركة بجوار كركيش في القرن الثاني الميلاد مبني على طراز حثي يساعدنا على معرفة ما كانت عليه معابد الحثيين في قديم الزمان . فقد شبهه بهكل سليمان في اورشليم وقال انه كان مؤلفاً من دار خارجية وهيكلي داخلي يحوي قدس الاقداس ويفضله عن باقي المعبد حجاب كثيف على جانبه عمودان مخروطيان وفي الدار الخارجية مذبح كبير من النحاس وعلى شماله صورة الهة ومن

ورائها حوض ماء فسيح كان يسمح فيه السمك المقدس وفي داخل الهيكل قرص للشمس وتماثيل آلهة شتى معظمها على مثال الآلهة المكتشفة في حفريات بوغاز كوى منتصبة على اسدي او على ظهر ثيران

القوانين

عثر بين الواح بوغاز كوى على مجموعة قوانين ترتقي الى سنة ١٣٥٠ ق . م . مشربة من روح الديانة الحثية فعني بترجمتها العلماء هروزي وزيمرن وفريدرك ولما كانت تضم نحواً من مائتي مادة لم نرَ بدءاً من الاقتصار على تلخيص المهم منها

فقد قسمت بوجه العامة الى قسمين . قسم يبحث عن حقوق افراد الشعب وفروضة تجاه اوليائه والاخر يتعلق بملكية الاراضي والكروم وهي تعد من القوانين الشديدة ولاسيما ما يتعلق منها بالتأمين على واجبات الرعية تجاه مليكها وممليه من رجال السلطة كما انها تحظر العبث بحقوق اصحاب الاراضي الزراعية وتعين بعدل العلائق بين ارباب الصناعات وعملها

واذا تبسطن في الحقوق المدنية نرى في المجتمع طبقتين : الاحرار والعبيد ، اما طبقة الاحرار فقد شدد القانون في صيانة حقوقها بخلاف طبقة العبيد التي عبث بحقوقها حتى ابيح حرمة اعراضها . مثال ذلك اذا تزوج رجل من عبدة او ساكنها لا يكلف دفع مال اما اذا عقد خطبته على فتاة حرة فيترتب عليه ان يدفع الى أهلها مهراً حتى اذا نكح بعهد يتيق لها حقاً مكتسباً . وكانت طريقة الزواج عند الحثيين على نوعين ففي الاول تلتحق المرأة بعلها وفي الثانية يساكنها وهي في حظيرة أهلها وكان منذ القديم الزواج من الاخوات وبنات العم وبنات الخالات ومن سائر الاقربين محظور وفي حال وفاة الزوج يتحتم على اخيه او ابيه ان يقترن بامرأته وليس في ذلك القانون نص على الطلاق على انه ينهي الوالد عن طرد ولده او ابنته ما لم يتكرر منها ذنب خطير حتى اذا اختلس الابن اباه لا يعد سارقاً . اما الملكية فكانت مصونة بحماية الآلهة تتعهد مراقبتها الكهان وكانت تثقل بحكم الطبع الى الابناء بعد وفاة الآباء وفقاً لمراسيم تجري في المعبد مقابل أجر زهيد . اما المبيعات وفراغ الملكية من الغير فكانت تستوجب نفقات باهظة وتستلزم توضيح نعاج في الحقل او في بقعة الملك المراد بيعها ولم يكن يستثنى من تكاليف هذه المعاملات غير الكهنة وبعض قيان المعابد . وكان نظام الاقطاعات شائعاً حيث نرى كثيراً من اراضي الخراج يقطعها الجنود وسائر الذين يؤدون خدمة جليلة الى الملك فتجعل لهم غلتها رزقاً يتوارثونه على اجيال متعاقبة . ومما يبحث عنه القانون الحثي تعيين اجور العمال التي يفهم منها ان الحداد والخزفي والنجار وكل معلم صنعة كان يتقاضى اجرة قدرها عشرة مثاقيل من الفضة اذا كان حرّاً وستة اذا كان عبداً . وقس على ذلك بدل ايجار العقارات والاشياء المعينة وسعر الحاجيات الثمينة مما يضيق بحثنا عن استيعابه

اما فيما يتعلق بقانون الجزاء فقد كانت عقوبات الجرائم من اغرب ما سمعت به اذن فقد كان في القديم يحكم على القاتل ان يقدم لاهل القتل اربعة رجال عوضاً عن المغدور به اذا كان حراً ورجلين فقط اذا كان عبداً ثم استعيض في بعض النصوص المعتدلة بدية من الفضة على انه في حال احتفاء الجاني تكون البلدة التي حدثت فيها الجناية مسؤولة بمراعاة اهل القتل وكان عقاب الاختطاف والاعتداء على العفاف اشد من ذلك هو لا اذ ليس له من جزاء غير القتل بيدان الملك كان يمنح العفو في بعض الظروف. اما سارق المواشي فكان يحكم عليه بأن يعوض عن سرقة بثلاثين ضعف مثلها وسارق النحل يحبس في مباءة موثق اليدين

على ان هذه المواد ما لبثت ان تعدلت وخفت وطأة شدتها عما قبل مع تحول الزمن . اما سائر المواد التي تتعلق بالسلطة والدين مباشرة فقد حوفظ على شدتها تعزيراً لهيئة الحكومة التي كانت تمثل السلطة والدين . مثال ذلك : أن سرقة رمح بسيط من باب قصر الملك او معصية امر من اوامره كانت تعرض صاحبها للموت المحتم مع خراب بيته وكان يذبح سارق الحقول المقدسة التي تخص الكهنة والمعابد ويقدم قرباناً للالهة تكفيراً عما جنت يدها وكان يحكم على بعض العصاة بتر عضو من اعضائهم تأديباً لهم كجذع الاتف وصلم الاذن وهلم جرّاً وكان مسموحاً للرجل ان يقتص من زوجته العاهرة وعشيقتها بالقتل اذا باغتها بمخدعه في حالة مشينة . اما اذا ابطأ بالاقتصاص فلا يجوز له أن يعتمد قتلها . ويسلم القانون الحثي في بعض الحالات بالأسباب الخفيفة كما ينص بتطبيق أقصى درجات العقوبة في حالات آخر خلافاً لسائر القوانين القديمة التي لم تكن تراعي الدقة في ظروف الجرائم الى هذا الحد . مثال ذلك : يحكم بالقتل على الرجل الذي يعتدي على عرض امرأة في جبل منقطع . أما المرأة فتجبراً ساحتها باعتبار الاعتداء واقعاً عليها عنوة في محل بعيد عن الاستغاثة ولكنها تعرض لنفس عقاب المعتدي باعتبارها شريكاً له بالاثم اذا وقع الامر في عقر دارها

وصفوة القول ان الحثيين مع شدة ميلهم الى التهلك كانوا يغارون على عرضهم غير قوية ويقولون في احترام قوانينهم لاعتقادهم انها موحى بها اليهم من الالهة ومن ميزات هذه القوانين انها كانت تأمر بالاحسان وتنهى عن المعاصي فيخال المرء عند تلاوتها ان بعض وصايا المسيح قد جاءت من اعماق القرون السحيقة

« في العدد التالي تنمة (الحضارة الحثية) وهي تتناول « الصناعة والتجارة والفنون »

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الرمياطي

— ١٦ —

الأرجوان

وبالفارسية (أرجوان) وفي الشام يقال له (الزَّمْزَرِيق) شجرته ترتفع من ٦ أمتار الى ١٠ أوراقها تكون فرادى تساقط الواحدة منها قلبية الشكل مستديرة كالأذن . أزهارها حمراء أرجوانية بهيجة مكسطة في عناقيد تثبق حتى من الفروع القديمة قبل إنبثاق الأوراق فتبدو الشجرة في مجموعها كأنها إكليل أرجواني وكل زهرة منها على صورة الفراشة . وثمرتها قرن طوله من ١٣ سنتيمتراً الى ١٥

اسمها العلمي (*Cercis siliquastrum*, L.) (كركيس سليكواستروم)^(١) وفصيلتها البقلية أو القرنية (Leguminosae) (ليفومينوزية) وبالانجليزية (common Judas—tree; love—tree) والفرنسية (gâinier ou arbre de Judée)

وهي شائعة في جنوب اوربا (الريشيرا) وفلسطين والشام تزرع للزينة ونظراً للحرافة المقبولة في طعم أزهارها ووفرة هذه الأزهار على الاغصان كثيراً ما تؤكل في اوربا ضمن « السلاطة » وخشب هذه الشجرة جميل تتخلله عروق سود وخضر وهو قابل للصقل الجيد

الإفسنتين الكبير

عشب معمّر متساقط الورق ورقته مضاعفة التقسيم الريشي الثلاثي يكسوها شعر حريري اللبس قصير ورؤوسه الزهرية (نوراته) متدلية الواحدة منها شبيهة بنصف كرة وزهرته صفراء

(١) ثيوفراستوس هو الذي اطلق اسم كركيس (Kerkis) على هذه الشجرة . قيل انها كانت محبوبة في الازمان القديمة في حدائق بيت المقدس وأن يهوذا الاسخريوطي صلب نفسه عليها

اسمه العلمي (*Artemisia Absinthium, L.*) (آرتيميا اابسنتيوم)^(١) وفصيلته المركبة وبالانجليزية (common wormwood) والفرنسية (grande absinthe on aluine) وهو شائع في اوربا وشمال آسيا ووسطها وشمال افريقية وهو من نباتات الزينة ونافع في الطب مقوياً ومضاداً للتشنج والديدان ومتى استعمل من الظاهر كان حلالاً للأورام ومضاداً للعفن وقيل إن استعماله مفيد في امراض النقرس (داء الملوك) والاسقربوط (داء الحفر) والاستسقاء الى غير ذلك ومع ان الطب الحديث لا يعول على تأثيره في هذه الامراض الا نادراً فإن له بعض الفائدة في تقوية المعدة

أما العناصر الفعالة فيه فهي الابسنتين (absinthin) ومادة زيتية قابلة للتبلور وزيت طيار خاص به . هذا وقد أوصى بعض الباحثين بالامتناع عن زرعه حيثما تربى النحل وقالوا بزعره منعاً لتفشي الحشرات

الابسنتين الصغير

عشب قد يرتفع عن الارض متراً متساقط الورق معمّر ورقه ذات شعيرات من وجهها السفلي ريشية مضاعفة وريقاتها على صورة خطوط ورؤوسه الزهرية (نوراته) كرية وزهرته صفراء اسمه العلمي (*Artemisia Pontica, L.*) (آرتيميا پونتিকা) من الفصيلة المركبة وبالانجليزية (true Roman wormwood) والفرنسية (petite absinthe ou absinthe pontique) شائع في وسط أوربا وجنوبها وغرب آسيا وهو من نباتات الزينة أكثر عطرية وأقل مرارة من الابسنتين الكبير المتقدم

أذن الحمار الكبير

وباليونانية (سمفيتيون)^(٢) وقد جاء في بعض المعجمات (سنفينون) وهو عشب معمّر خشن أقرب شهاً بالشجيرة جميل المنظر ولذا يعتبر من نباتات الزينة جذره درني وأوراقه بيضية الشكل الواحدة منها مستطيلة قاعدتها ممتدة الى أسفل وأزهاره بيض

اسمه العلمي (*Symphytum officinale, L.*) (سمفيتوم او فيشينايلي) من فصيلة لسان الثور (الشنجارية) (Boraginaceae) (بوراجيناسية) وبالانجليزية (common comfrey or consound) والفرنسية (grande consoude; consoude officinale)

(١) قيل ان آرتميس (Artemis) هو من اسماء ديانا (Diana) ربة الغفاف في اساطير اليونان وان هذا النبات سمي آرتميزيا نسبة لآرتميس المذكور لما كان ينجم عن استعماله من البوغ الباكر عند الاناث اما اابسنتيوم (Absinthium) فعناه غير سار اشتقاقاً من (A) التي زادت في اول الكلمة اليونانية بمعنى النقي و (psinthos) اليونانية بمعنى سرور وذلك لما في هذا النبات من الطعم المر (٢) هذا الاسم مشتق من (سمفيسيس) اليونانية المركبة من كلمتي (سن) حرف جر بمعنى معاً و (فيو) فعل بمعنى ينمو اي النمو معاً او الالتئام وهذا كان السبب في اشتهار ذلك النبات زمناً طويلاً بأنه دواء شاف للجروح

شائع في أوروبا وغرب آسيا وفيه مادة غروية (mucilage) ولذا قد يستعاض به في الاستعمال عن الخطمي (الخطمية) (*Althaea officinalis*) وجذره يستعمل في الطب البيطري على الخصوص كما يستعمل دواء دافعاً للإسهال والبواسير

أَذَانُ الْأَرْزَب

ويقال له في مصر (الْحَلَبْلُوب) و (الْحَيَّان) كما جاء في معجم النبات لموشلر الالمانى عشب سنوي جميل المنظر ورقه بسيطة كاملة الحافة قاعدتها مكثفة لساقه وزهرته صفراء اسمه العلمي (*Bupleurum rotundifolium, L.*) (بُوبُلُوروم روتونديفوليوم) وفصيلته الصوانية أو الحيمية (*Umbelliferae*) (أومبليفرية)

وبالانجليزية (throw-wax; thorow-wax; rthoough-wax; buplever; hare's ear) والفرنسية (*buplévre; perce-feuille*) شائع في أوروبا وشمال افريقية وغرب آسيا وشمال أمريكا وهو ليس مهماً اقتصادياً

الْأَمْسُوخ

ويقال له (ذَنَبُ الْحَيْل) عشب معمر ينمو بطبيعته في البقاع التي يوجد بها مستنقعات على الخصوص نذكر منه نوعين وهما:

(١) الهولندي: وهو دائم الاخضرار سوقه بسيطة قائمة خشنة جداً لتوفر مادة السليكا (الزمل) فيها وتحمل في اطرافها سنابل

اسمه العلمي (*Equisetum hyemale, L.*) (إكيسيتوم هايماي) ^(١) وفصيلته الأامسوخية (*Equisetaceae*) (إكيسيتاسية) وبالانجليزية (*Dutch — rush*) والفرنسية (*prêle des tourneurs*)

شائع في فرنسا وهولندا وبريطانيا ينتفع بسوقه في جلاء الخشب والمعدن وكثيراً ما يستعمله مبيضو النحاس وصانعو الامشاط وكان مرغوباً فيه قديماً لجلاء الأواني الزنكية والخشبية في المطابخ (٢) الحقلية: وهو متساقط الاوراق سوقه غير المثمرة (العقمة) تكون زاحفة على الارض ذات

فروع بسيطة خشنة مربعة الضلوع وسوقه المثمرة ذات اغماد اسطوانية الشكل ذات اسنان اسمه العلمي (*Equisetum arvense, L.*) (إكيسيتوم ارونسي) وبالانجليزية (*corn — horsetail*) والفرنسية (*prêle petite* و *prêle des champs*) شائع في أوروبا ولا سيما بريطانيا ويكثر في الاراضي المزروعة وهو من الاعشاب الضارة في الاراضي الغرينية (المكونة من الطمي) العميقة وهي التي تنشأ عن الأنهار والبحيرات

(١) اشتق اسم (*Equisetum*) اللاتيني ومعناه شعرة حصان اشتقاقاً لفظياً من كلاتي (*equus*) اي حصان و (*seta*) اي شعرة وذلك لوجود فروع دقيق كالشعر في جميع الانواع من هذا النبات

المارستان النوري

الكبير بدمشق

للمدكتور سامي مراد

عضو الكلية الجراحية الاميركية وأحد
اساتذة العلوم الجراحية بجامعة بيروت الاميركية

يقع في جادة المارستان الى الجهة الشرقية من سوق الحميدية المشهور . ويبعد عن القلعة نحواً
من خمسمائة متر تقريباً

انشأه السلطان العادل نور الدين محمود ابو الثنا بن زنكي اق سنقر سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤م)
وهو من أشهر المارستانات العربية ولا تزال ابنته قائمة . ونور الدين زنكي هو ثاني ملوك الدولة
النورية كردي الاصل حكم في العجم والعراق والجزيرة وتسلم زمام الحكم في سوريا بعد قتل
والده عماد الدين في سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦م) وامتد حكمه الى مصر وتوفاه الله سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣م)
ندر ان خلد التاريخ لاحد من ملوك الارض ذكر أكالذي خلد له نور الدين . فاليك ما قال
فيه ابن الاثير : — « وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وقد طالعت سير الملوك المتقدمين
فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ولا أكثر تحريماً منه للعدل
وأشهر بزهده وعبادته وعلمه وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا في الذي يخصه من
ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة . . . ولقد شكت اليه زوجته الضائقة فأعطاه ثلاثة
دكاكين في حمص كانت له يحصل منها في السنة نحو عشرين ديناراً فلما استقلتها قال ليس لي الا
هذا وجميع ما بيدي انا فيه خازن للمسلمين لا أخونهم فيه ولا أخوض نار جهنم لاجلك . اهـ (٢)
اما سبب بنائه المارستان فيرجع الى انه « حارب الافرنج في حرب الصليبيين الثانية فوقع
في اسره بعض اكابر ملوكهم فقطع على نفسه في فدايه مالا عظيماً وشاور أمراءه بذلك فأشار
كلٌ بعدم اطلاقه لما كان فيه من الضرر على المسلمين ، ومال نور الدين الى الفدية بعد ان استخار
الله تعالى فأطلقه ليلاً . فلما بلغ الفرنسي مأمته مات وبلغ نور الدين خبره فبنى بذلك المال

المارستان ومنعه الامراء لانه لم يكن عن ارادتهم» اه (٢) (١٣) وتولى بناءه كمال الدين الشهرزوري وكان الحاكم المتحكم في الدولة التورية بدمشق. « وكان في ذلك الزمن طيب يدعى مؤيد الدين ابو الفضل بن عبد الكريم المهندس بارعاً في علم الهندسة وفن التجارة . فصنع اكثر ابواب المارستان » اه (٢٣) ولا يبعد ان يكون بعض هذه الابواب باقياً لليوم ورم هذا المارستان مراراً وأضيف الى بنائه واملاكه . ولكن لم تحدث هذه الترميمات تغييراً ذا شأن فيه

وأول ترميم جرى في أيام الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين ممدود بن الملك العادل (أحد الملوك الايوبيين) سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م) . « وتولى الطيب بدر الدين المظفر ابن القاضي مجد الدين الراسة على جميع الاطباء والكحالين والجراحين بدمشق وكتب له منشوراً بذلك . فاشتري بدر الدين دوراً كثيرة ملاصقة للمارستان واطافها اليه وكبرها قاعات كانت صغيرة . وبنها احسن بناء وجعل الماء فيها جارياً فاكتمل بها المارستان » اه (٢٤)

والترميم الثاني جرى في أيام الملك المنصور سيف الدين قلاوون ملك مصر الذي أتى الشام اذ كان اميراً سنة ٦٧٥ هـ (١٢٨٦ م) فأصابه بها قولنج عظيم فعالجها الاطباء بادوية اخذت من المارستان التوري فحفظ ذلك ولما تملك على مصر امر ناظر المارستان بدمشق ان يعيد ترميمه . واقامت في أثناء هذه الترميمات لوحة رخامية تذكارية فوق الباب الداخلي لا تزال الى الآن وهذا ما نقش عليها :

وسمع ستة اشين ومائتين وستة

« بسم الله الرحمن الرحيم . والذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مثلاً ولا أدى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وما تقدموا لانفسكم من خير نجده عند الله هو خير وأعظم أجراً . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث . علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية . والمولى السلطان الغازي في سبيل الله نور الدين ابو التنا محمود بن زنكي بن اق سنقر قدس الله روحه من جمع الله سبحانه وتعالى لذاته وصف العالمين . ومن شرط وقفه الذي اشهد به على نفسه انه وقف على المارستان المعروف بالناشئة وجعله مقراً لتداوي الفقراء والمنقطعين من ضعة المسلمين الذين يرجوا (يرجي) برؤهم . وهو يستعدي الى الله تعالى من يساعد في تغيير مصارف وقفه واخراجها عما شرطه ويخصا صمه بين يديه يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً . ووجد ما كان تهدم من بنيانه وبناء أوقافه في الايام السلطانية العادلية الصالحية خلد الله سلطاتها بنظر الفقير الى الله تعالى عمر ابن ابي الطيب غفر الله له ولئن أعان من المسلمين على عمارة هذا الوقف المبارك . وكان الفراغ منه فجر العشر الاول من ربيع الثاني سنة ٦٨٢ هـ . والترميم الأخير جرى « في القرن الثامن عشر

على يد حسن باشا التركي المعروف بشوريزي حسن وبقي المارستان عامراً يستقبل المرضى الى سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) وكان أطباؤه وصيادته لا يقولون عن العشرين حتى قامت بلدية دمشق بانشاء مستشفى الغرباء وجعلت بناية المارستان النوري مدرسة أميرية للبنات ^(٩). اه
وقد ورد ذكر المارستان القديم والمارستان النوري في رحلة ابن جبير الذي زار دمشق سنة ٥٧٨ هـ وكتب عنهما ما يلي : « وبها (اي بدمشق) مارستانان قديم وحديث والحديث أحفظهما وأكبرهما وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر ديناراً وله قومه بأيديهم اللازمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون اليها من الأدوية والأغذية وغير ذلك والاطباء يكررون اليه في كل يوم ويتفقدون المرضى ويأمرون بأعداد ما يصلح من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل انسان منهم . والمارستان الآخر على هذا الرسم لكن الاحتفال في الجديد أكثر . وهذا القديم هو غربي الجامع المكرم » ^(١٢). اه

واليك وصف المارستان النوري كما هو في حالته الحاضرة : — مدخله واقع في الجهة الجنوبية منه وبارز عن واجهة البناء وهو في غاية الفخامة والعظمة . ويعلو باب المدخل قبة نصفية مزينة بالنقش المقرنص وتحتها عتبة من الطرز اليوناني لعلها مستعارة من أثر يوناني قديم أضيفت الى البناء في أثناء احدى الترميمات . ومصرعا الباب مصفحان من الجهة الامامية بالحديد المزين بالنقوش الهندسية الجميلة وفي وسط كل منها مقرعة حديد ضخمة يزيد هيئة الباب عظمة . (شكل ٢) والجهة الخلفية مزينة بحشواتها الخشبية بنقوش نافرة متقنة الصنع (شكل ٣) والى الجهة الشرقية من هذا الباب من الخارج سبيل ماء جارٍ أضيف في أثناء الترميمات التي جرت سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣ م) ويفضي الباب الخارجي الى رواق مربع تعلوه قبة مرتكزة من كل من جانبيها الايمن والايسر على قبة نصفية وكلها منقوشة نقشاً مقرنصاً . ويقابل الباب الخارجي باب داخلي بحجمه ولا يقل عنه جمالاً واتقاناً (شكل ٤) وفوقه اللوحة الرخامية التي سبق الكلام عنها (شكل ٥) ويفضي هذا الباب الى مدخل صغير ومنه الى الباحة . والى جانبي هذا المدخل غرفتان كبيرتان من نوع العقد المصلب الشاهق البناء ومما يستوقف النظر صغر باني هاتين الغرفتين بالقياس الى سعتهما وعلو سقفهما . اما الباحة فمساحتها نحو ٤٠٠ متر مربع والى جانبيها الشرقي والغربي ايوان متوسط بين غرفتين فسيحتين . وقد ازدادت جدران الايوانين بنقوش هندسية جميلة وفي أثناء الترميم الاخير اقيم حائط أمام الايوانين فجعل كلا منهما غرفة صغيرة . وفي صدر الباحة ايوان متسع قائم على كل من جداريه الشرقي والغربي لوحتان رخاميتان منقوش عليهما الآيات القرآنية الآتية : —

(١) يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في

(٢) الصدور . يخرج من بطونها شرابٌ مختلف الوانهُ (فيه شفائٌ للناس)

(٣) فهو يهدينِ والذي هو يطعمني ويسقينِ

(٤) واذا مرضت فهو يشفينِ والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي

أطباء المارستان النوري الكبير

ترجم لنا ابن أبي أصيبعة عدداً من الأطباء الذين خدموا المارستان النوري الكبير اليك خلاصة ترجمتهم
(١) أول طبيب عقد نور الدين عليه إدارة المارستان هو أبو علي أبو المجد بن أبي الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي وأطلق له جامكية وجراية . وكان أبو الحكم من الحكماء المشهورين والعلماء المذكورين والافاضل في صناعة الطب والامائل في علم الهندسة والنجوم . كان يدور على المرضى في المارستان ويتفقد احوالهم كل يوم . وبعد الفراغ من ذلك يطلع الى الفلعة ويتفقد المرضى من اعيان الدولة . ثم يرجع الى المارستان ويجلس في الديوان الكبير وجميعه مفروش وكان نور الدين قد وقف جملة كبيرة من الكتب الطبية وضعت في خزائين في صدر الديوان الكبير . فيحضر جماعة الأطباء والتلامذة ويعقدون بين يدي أبي الحكم فتجري الباحت الطبية ويقرىء التلامذة وهو لا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ثم يركب الى داره . وتوفي بدمشق سنة نيف وخمسمائة هجرية (٣٥)

(٢) الشيخ مهذب الدين أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيسى ابن هبة الله النقاش . مولده ومنشؤه ببغداد عالم بالعربية والادب يتكلم الفارسية . اشتغل بصناعة الطب على امين الدولة هبة الله صاعد بن التاميد . ثم أتى الى دمشق وذهب الى مصر ثم رجع الى دمشق وخدم فيها الملك العادل نور الدين وخدم ايضاً في المارستان النوري . ولما مات الملك العادل خدم صلاح الدين الايوبي وتوفي سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) . وكان كثير الاحسان محباً للجميل (٣٦)

(٣) موفق الدين أبو نصر اسعد بن أبي الفتح الياس بن جرجس المطران . كان سيد الحكماء وافر الآلاء جزيل النعماء أمين اهل زمانه في علم صناعة الطب وعملها . خدم صلاح الدين الايوبي فغمره باحسانه ، وارفه بمننه ، وكان يحترمه ويحبه لما قد تحققه من علمه . وكان يغلب على ابن المطران الزهو بنفسه والتكبر . وحديث بعض من يعرفه فيما يتعلق بعجبه وادلاله على صلاح الدين انه كان معه في بعض غزواته وكانت عادة صلاح الدين ان يُنصب له خيمة حمراء وكذلك دهليزها وشقتها . وكان صلاح الدين راكباً يوماً واذا به قد نظر الى خيمة حمراء اللون وكذلك شقتها ومستراها فبقي متأملاً لها وسأل لمن هي فأخبر انها لابن المطران الطبيب . فقال والله لقد عرفت ان هذا من حماقة ابن المطران وضحك ثم قال ما بنا إلا يعبر احد من الرسل نفقد انها لاحد الملوك واذا كان لابد فيغير مستراحها وأمر به ان يرمى . ولما رمي صعب ذلك على

ابن المطران وبقي يومين لم يقرب الخدمة فاسترضاه السلطان ووهب له مالا . وكان موفق الدين كريما محبا لعمل الخير يساعد تلاميذه على تحصيل رزقهم . وخدم المارستان اجل خدمة . وكان معه تلميذه مذهب الدين الدخوار الذي تولى رئاسة المارستان بعد مدة . وعمران الاسرائيلي الطبيب وابن ابي اصبيعة الكحال وابن حمدان الجراحي الذي كان يجري العمليات الجراحية على مرأى من التلامذة وابن المطران يتفقد نبض المريض في اثناء العملية . وكان لموفق الدين همة عالية في تحصيل الكتب ولما مات كان في خزانته منها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجا عما استنسخه . وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها . وكان في خدمته ثلاثة نسخا يكتبون له ابداً ولهم منه الجامعة والحراية . وله مؤلفات نفيسة في الطب منها المقالة الناصرية في حفظ الامور الصحية ، وكتاب آداب طب الملوك وغيرها . وقد ادركه الاجل قبل ان يتم كتابه بستان الاطباء وروضة الالباء . ومما يؤسف له جداً ان كل كتبه قد فقدت وتوفي سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) (٣٧)

(٤) مؤيد الدين ابو الفضل محمد بن عبد الكريم ابن عبد الرحمن الحارثي المعروف بالمهندس ولد ونشأ بدمشق . كان اول امره نجاراً ومحاماً وهو الذي نجر ابواب المارستان النوري . وكان يصلح ساعات الجامع الاموي بدمشق وهي من صنع والده . وقد طب للمارستان وكان له منه جامكية الى ان توفاه الله سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م) وله من العمر سبعون سنة (٣٣)

(٥) موفق الدين عبد العزيز بن عبد الحبار ابن ابي محمد السامي . كان كثير الخير محبا له مؤثراً للجميل غزير المروءة شديد الشفقة على المرضى وخصوصاً من كان منهم ضعيف الحال يتفقد دهم ويبالجه ويوصل لهم النفقة وما يحتاجون اليه من الادوية والاعذية . خدم المارستان الكبير ثم الملك العادل ابا بكر بن ايوب . ويظهر انه كان رئيساً لاطباء المارستان الكبير لان مذهب الدين الدخوار خلفه في هذه الرياسة كما سنرى . وتوفي سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ م) (٣٨)

(٦) رضي الدين ابو الحجاج يوسف بن حيدر بن الحسن الرحي تلميذ مذهب الدين النقاش . خدم صلاح الدين الايوبي واخاه الملك العادل ابا بكر بن ايوب وكان ملازماً للقلعة والمارستان ومن أغرب ما ذكره عنه انه قال «السلم منشار العمر» وحكي عنه انه قال اني منذ اشريت هذه القاعة التي انا ساكن فيها اكثر من خمس وعشرين سنة لا اعرف اني طلعت الى الحجرة التي فوقها الا وقت استعرضت الدار واشتريتها وما عدت طلعت الى الحجرة بعد ذلك الى يومي هذا وكان في اثناء خدمته في المارستان اكبر الاطباء سناً واعظمهم قدراً وأشهرهم ذكراً . وكان أحد الاساتذة الذين ألقوا الدروس على الراغبين في علم الطب بالمارستان ومن معاونيه مذهب الدين الدخوار والحكيم عمران الاسرائيلي وعاش مائة سنة وتوفي سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) (٣٩)

(٧) كمال الدين ابو منصور المظفر بن علي بن ناصر القرشي . كان كثير الخير وافر المروءة

كريم النفس اشتغل في الطب على الشيخ رضي الدين الرحي وبقي سنين يتردد على المارستان بإجل المرضى فيه احتساباً . ثم أُلزم بعد ذلك بأن قرر له جامكية وجراية وبقي كذلك الى ان توفي سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) ^(٤٠)

(٨) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن عبدان بن عبد الواحد بن اللبودي . افضل اهل زمانه في العلوم الحكيمة وفي علم الطب . سافر من الشام الى بلاد العجم واشتغل هناك بالحكمة على نجيب الدين اسعد الهمداني وقرأ صناعة الطب على رجل من اكابر العلماء واعيانهم في بلاد العجم كان قد اخذ الطب عن تلميذ لابن سهلان عن السيد الايلاقي محمد . وكان ذاهمة عالية وفطرة سليمة وذكاء مفرط . له مجلس يدرس فيه الطب . خدم الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن صلاح الدين واقام عنده بحلب وبعد وفاة غياث الدين اتي الى دمشق وخدم المارستان النوري الى ان توفي سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) وله من العمر احدى وخمسون سنة وله كتب كثيرة ^(٤١)

(٩) مهذب الدين احمد بن الحاجب . مولده بدمشق سافر الى الموصل وعاد الى دمشق واشتغل فيها بالطب فأثقنه واشتهر فيه واتقن العلوم الرياضية واعتنى بالادب . له تصانيف جليلة خدم صلاح الدين الايوبي والمارستان النوري الكبير . ثم توجه الى حماه حيث خدم الملك المنصور واقام عنده نحو سنتين وتوفي بالاستسقاء ^(٤٢)

(١٠) مهذب الدين ابو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد الدخوار . ولد ونشأ بدمشق واشتهر هو وابوه بالكحالة . واشتغل فيها في بدء امره وخدم المارستان النوري ككحال . واجتهد في تحصيل العلوم ونسخ الكتب وقرأ الطب على الشيخ رضي الدين الرحي وموفق الدين المطران ونحر الدين المارديني . خدم الملك العادل ابا بكر بن ايوب بصناعة الطب . وتعين في خدمة العسكر في ايامه . ثم لما مات موفق الدين عبد العزيز عين رئيساً على الاطباء في المارستان الكبير وعين له منه جامكية وجراية فخدم المارستان خير خدمة . وكان من معاصريه ممن خدموا في المارستان رشيد الدين الصوري وعمران الاسرائيلي وابن ابي اصيبعة ومهذب الدين ابن الحاجب والشيخ رضي الدين الرحي

ولما توجه الملك العادل الى مصر اخذه معه وولاه رياسة اطباء الديار المصرية بأسرها واطباء الشام ولما استقر ملك الملك المعظم بالشام بعد موت ابيه استدعى مهذب الدين اليه ورسم له أن يقيم فيها وان يخدم المارستان الكبير واطلق له جامكية وجراية . فخدم المارستان خير خدمة . وأسس مدرسة لتعليم الطب في داره فاجتمع اليه خلق كثير من اعيان الاطباء وغيرهم يقرأون عليه الطب وهو يبحث معهم كل في درجة علمه . وكان اذا فرغ من ذلك يصرف بقية نهاره واكثر ليله في الحفظ والدرس والمطالعة . ووقف داره وجعلها مدرسة

يدرس فيها من بعده صناعة الطب ووقف لها ضياعاً وعدة اما كن يستغل منها ما يصرف في مصالحها وفي جامكية المدارس وجامكية المشتغلين بها ووصى ان يكون المدرس فيها الحكيم شرف الدين علي بن الرحي في سنة ٦٢٨ حضر الحكيم سعد الدين ابراهيم ابن الحكيم موفق الدين عبدالعزيز وجماعة من الفقهاء والحكام وشرع الحكيم شرف الدين بن الرحي في التدريس بها واستمر على ذلك سنين عدة . ولمهذب الدين كتب كثيرة في الطب واللغة وكان شاعراً رقيقاً (٤٣)

(١١) ابو التناء محمود بن عمر بن محمد بن ابراهيم بن شجاع السيباني الحانوي ويعرف بان رقيقة . كان صديقاً حميماً لابن ابي اصيبعة فترجم هذا له ترجمة فائضة . قال فيه ذو النفس الفاضلة ، والمروءة الكاملة ، تميز على سائر نظرائه واضرابه من الحكماء والمتطيين ، ذو الفطرة الفائقة ، والالفاظ الرائقة ، والنظم البليغ ، والشعر البديع . ولد بمدينة حيني سنة ٥٦٤ هـ ونشأ بها وكان طبيباً وكحالاً وجراحاً وتقلب في خدمة عدة ملوك وامراء وفي سنة ٦٣٢ وصل الى دمشق وكان بها الملك الاشرف فأكرمه واحترمه وامره بان يتردد الى الدور السلطانية بالقلعة وان يواظب على معالجة المرضى بالمارستان الكبير واطلق له جامكية وجراية وبقي يشغل فيه الى ان توفاه الله سنة ٦٣٥ هـ . (١٢٣٧ م) وله كتب كثيرة (٤٤)

(١٢) اوحد الدين عمران بن صدقة الاسرائيلي قد مر ذكره . ولد بدمشق سنة ٥٦١ وكان ابوه طبيباً واشتغل على الشيخ رضي الدين الرحي بصناعة الطب وصار من اكابر المذهبيين من اهلها وحظي عند الملوك واعتمدوا عليه وقد عين في خدمتهم وحصل من الكتب الطبية وغيرها ما لا يكاد يوجد عند غيره . خدم المارستان الكبير في ايام الدخوار وابن ابي اصيبعة وتوفي سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) (٤٥)

(١٣) سعد الدين ابو اسحق ابراهيم ابن عبدالعزيز بن عبد الحيار بن محمد السلمي . ابن عبد العزيز المار ذكره سابقاً (٥) . ولد بدمشق سنة ٥٨٣ وخدم صناعة الطب في المارستان الكبير ودخل في خدمة جملة من الملوك والامراء وتوفي سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦ م) (٤٦)

(١٤) رشيد الدين علي ابو الحسن بن خليفة بن يونس بن ابي القاسم بن خليفة مولده بحلب سنة ٥٧٩ هـ وهو عم ابن ابي اصيبعة . درس الطب مع اخيه بمصر فلازما الشيخ جمال الدين بن ابي الحوافر ، وكان رئيساً للأطباء بمصر ، والشيخ ابا الحجاج يوسف . ثم عاد رشيد الدين ودرس على موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي . ثم انتقل مع والده الى دمشق وله من العمر عشرون سنة فحضر مجلس الاستاذ رضي الدين الرحي وباشر المرضى في المارستان الكبير في ايام الدخوار وموفق الدين المطران . وعلاوة على طبه كان لغويّاً اديباً فقيهاً مجيد العربية والفارسية والتركية والموسيقى وفي سنة ٦١٥ ولده الملك العادل ابو بكر ايوب طب المارستانين بدمشق اللذين وقفهما الملك العادل فكان يتردد اليهما والى القلعة وقرر له جامكية

وجراية وجعل له مجلس عام لتدريس صناعة الطب واجتمع بالسيد الامام العالم شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه وألبسه خرقه التصوف وذلك في سنة ٦١٥ هـ . وله كتب كثيرة في الطب والادب والحساب وغير ذلك من الفنون (٣١)

(١٥) شرف الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحي . ابن رضي الدين الرحي الذي مر ذكره (٦) . ولد بدمشق سنة ٥٨٣ هـ وحذا حذو أبيه واقتفى ما كان يتفنيه وهو أشبه به خلقاً وخلقاً . خدم مدة في المارستان الكبير وتولى التدريس في المدرسة الدخارية وكانت وفاته سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٨ م) (٤٧)

(١٦) جمال الدين عثمان بن يوسف بن حيدرة الرحي . ابن رضي الدين (٦) واخو شرف الدين (١٥) . مولده دامتده بدمشق خدم المارستان الكبير وكان يحب التجارة ويسافر بها في بعض الاوقات الى مصر وتوفي سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) (٤٨)

(١٧) بدر الدين بن قاضي بعلبك . نشأ بدمشق وقرأ الطب على الشيخ مذهب الدين الدخوار سافر الى الرقة وخدم في المارستان هناك ثم أتى الى دمشق واستخدمه الملك الجواد مظفر الدين بونس بن شمس الدين عمود بن الملك العادل وكان حظياً عنده مكيئاً في دولته . ولاه الرياسة على جميع الاطباء والكحالين والجراحين وكتب له منشوراً بذلك سنة ٦٣٧ هـ . تجدد في محاسن الطب ما درس واعاد من الفضائل ما دثر وكان محباً لفعل الخير . مر بنا انه وسع المارستان النوري ورأسه بموجب منشور من الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل سنة ٦٤٥ هـ وقد قرأ الكتب الفقهية والفنون الادبية وحفظ القرآن حفظاً لا مزبدياً وله كتب كثيرة في الطب وسواه (٣٤)

(١٨) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم ابن ابي المحسن السكلي . والده اندلسي أتى الى دمشق فنشأ شمس الدين بها وقرأ الطب على الدخوار . وحفظ كليات قانون ابن سينا حفظاً متقناً حتى لقب لاجل ذلك بالسكلي . خدم الملك الاشرف والمارستان الكبير (٤٩)

(١٩) عز الدين ابو اسحق ابراهيم بن محمود بن السويدي . ولد بدمشق سنة ٦٠٠ هـ (٢٠٣ م) ونشأ بها . درس الطب على الدخوار وبرع به وخدم المارستان النوري الكبير والمارستان الذي ياب الحديد . وتردد الى القلعة وكان يدرس في المدرسة الدخارية وله جامكية من كل هذه الجهات . وكتب بخطه كتباً كثيرة وكان صديقاً لابن ابي اصيبعة (٣٢)

(٢٠) عماد الدين ابو عبد الله محمد بن القاضي الخطيب الدينسري . ولد بمدينة ديسر سنة ٦٠٥ هـ واشتغل فيها بالطب وأتى دمشق وخدم المارستان الكبير والاسرة الناصرية اليوسفية بالقلعة وكان شاعراً وله كتب كثيرة (٥٠)

(٢١) ابن العربي (مختصر الدول) معجم سر كيس (٤)

حيوانات مشهورة

وصحة اسمائها

للفريق الدكتور امين العلوف

أوردت في الجزء الماضي بعض الحيوانات المشهورة وصحة ترجمتها وها أنا أذكر الآن غيرها مما قد ورد على الكتاب والمؤلفين وأذكرها اعتباراً بلا رابط بينها أو رابط قليل ولا أريد بذلك إلا خدمة العلم واللغة وأصحاب المعاجم الافرنجية واني أرجو منهم ان يقللوا من الخذلقة ما أمكن لئلا يضلوا القارئ واني ذاكر الالفاظ الانجليزية دون الالفاظ العلمية أو الفرنسية فهذه لا يعسر العثور عليها لمن أراد

Gazelle

ظبي أو غزال

حيوان رشيق من ذوات الظلف مجوف القرون وهو أنواع كثيرة ذكرت معظمها في معجم الحيوان ص ١١٢ منه نوع في جزيرة العرب ونوع آخر في الفيوم جنوباً يعرف كلاهما بالرم في أيامنا ولم يذكر الظبي بهذا الاسم في التوراة الانجليزية بل باسم آخر على ان اسمه المشهور هو هذا وهو عربي . أما الظبي فقد ورد في التوراة العربية بهذا الاسم وترجمته صحيحة

Deer or Hart. Male called stag female doe

إيّل جمعه أيائل وأيائل

والأيائل فصيلة من ذوات الظلف لذكورها قرون متشعبة ومصمتة أي لا تحوي فها كما في قرون الظباء وهي تنسلخ عنها كل عام وينبت غيرها اما أناتها فخم أي لا قرون لها . وفي كثير من المعاجم خلط كبير بين الظبي والايّل فيسمون الواحد منهما باسم الآخر والصواب ما ذكر . والظباء على الغالب في البلاد الحارة والأيائل في البلاد الباردة

Roe, Roebuck, Roe deer

يحمور

نوع من الأيائل لكل من قرنيه ثلاث شعب قصير الذنب احمر اللون أزرق أي ابيض المعجز أغبر البطن مصفره ينصل قرنيه كالأيّل ولم تذكر المعاجم هذا الأيائل باسمه هذا ولا ذكرت صحة ترجمته وهو وارد في التوراة .

والظباء كثيرة في مصر وسورية وجزيرة العرب واليحمور كان في سورية الجنوبية اي فلسطين الى زمن قريب وهذه الحيوانات الثلاثة مذكورة في التوراة والايل كثير في اناطولية واوربة. واليحمور لا يزال معروفاً في اوربة ولا سيما في حدائقها العامة

جاموس (فارسية معربة) Buffalo

جاموس هندي او اهلي واصله من الهند Buffalo, Indian or Water buffalo

جاموس افريقي Buffalo, African

وهو من جنس آخر خلاف الهندي ومن اشد الحيوانات خطراً على الانسان

جَيْهَل (هندية معربة وتعريب بوست) Gayal

جُور (هندية معربة وتعريب بوست) Gaur

بَيْسُون (تعريب احمد فارس) Bison

بقر دربانية والواحدة بقرة Zebu

قوتاش وقسطاس. خَشَقَاء. كله تركي معرب وهو الذي كان الترك يعلقونه في اعلامهم Yak

فيقال للواحد منهم باشا ذو ذنب واحد وباشا ذو ذنين وباشا ذو ثلاثة اذنان وقد بطلت هذه الاذنان الآن والا كانت جميع البقر لا تكفي واذكر اني قرأت في الانجليزية قصة اسمها الباشا ذو الاذنان العديدة وفي الانجليزية جناس في الاذنان فاذا هي ذو القصص العديدة

بيسون اوربي Aurochs or Wisent

بقر جاوة او ثور جاوة وان شئت الحذقة فقل الزابج Banteng

نيلجاي او بقر ازرق والواحدة بقرة Nilgai

بقرة وثور والبقرة تطلق على الذكر والانثى Cow and Ox

بقرة المسك Musk ox

هذه الحيوانات جميعاً من جنسي البقر وهي تلو الظباء ولا يخفى ان البقر مجوفة القرون كالظباء لا كالايائل وليس في المعجم كلها من هذه الحيوانات مع صحة ترجمتها الا الجاموس

فُقْمَة وفُقْمَة Seal

حيوان من لواحم البحر شبيه بالسماك في الظاهر لكنه حيوان لبون ومن ذوات الرئتين والكلمة تعريب فوق اليونانية وهي شائعة في بيروت فهل تعريب العامة هذا خير من تعريب الخاصة فالعامة قالوا فُقْمَة والخاصة قالوا فوق لكنهم صحفوها وكتبوها فوق في بعض مؤلفاتهم منها مفردات ابن البيطار وغيرها واستعملوها لحيوان آخر كما صحفوا الدنانير القوقية وصوابها القوقية من ضرب فوقا ملك الروم قبل هرقل. وأرى ان تعريب العامة افضل من تعريب الخاصة.

ومن اسماء هذا الحيوان شيخ البحر والشيخ اليهودي وابو مريئة وليس من هذا الجنس غيره في البحر المتوسط ولا بأس باطلاقه على جميع الانواع التي ذكرتها في ص ٢٢٢ من معجم الحيوان مع ان الفقرة هذه ليست الا في البحر المتوسط وليس فيه غيرها . قلت ولم يذكر اصحاب المعاجم هذا الحيوان على صحته اطوم . ماصة . زالخة . حنفاء

Dugong or Halicore

حيوان لبون من بنات الماء او الخيلان يقال له في ساحل سواكن ناقة البحر وفي الطور اللطوم اي الاطوم وكاد ينقرض اورده في ص ٨٨ وص ١١٢ من معجم الحيوان . وكلة اطوم فصيحة اوردتها كعب بن زهير في « بان سعاد » ولم ار معجماً كتب اسم هذا الحيوان على صحته ولا سيما في مادة Dugong واظن الاطوم افصحها لذلك قدمتها على الكلمات الاخرى

أما قولي الخيلان فعن الاب انستاس واظنه أخذها عن محيط البستاني وهذا أخذها على ما أظن عن فريتاغ ولم أعثر عليها الا في محيط المحيط فليدفع الاب انستاس عن هذه الكلمة وقد سمعتها منه في بغداد . اما بنات الماء فحقها ان تكون بنات البحر لانها ترجمة اسمها الثاني لكن بنات الماء في كتاب قديم ذكره شارح كتاب عجائب الهند . وأظن الذي اراده البستاني في قوله سرنس انها كلمة يونانية معروفة هي اسم امرأة جميلة سميت بها فصيلة هذا الحيوان ولعلها شيرين الحسناء الفارسية وكانت يونانية الاصل في ما أظن

Ratel

ظربان

حيوان من اللواحم اي آكلات اللحوم اصغر من السنور اصلم الاذنين مجتمع الرأس طويل الخطم قصير القوائم اسود الظهر ابيض البطن رائحته كريهة جداً . اما احد انواعه في السودان فيسمى ابو دجاجة ولصلوص ذكرها فون هوغلن وابوكيم ذكره روبل وهو لا يعول عليه في اسماء الحيوان بالعربية وسمعت في حديقة الحيوان ابو كعب

هذا تقريباً وصف ابن سيده . ووصف غيره من اللغويين فراجع ما كتبوه

وكنيت قد سميت هذا الحيوان الرتل واكل العسل في معجم الحيوان ص ١٦٠ فالراتل اعجمية واكل العسل ترجمة اسمه النوعي وابقيت الاسمين الاخيرين الى ان يهتدي احد الناس الى اسمه الحقيقي ولم أدر يومئذ اني سأهتدي اليه وهو الظربان المشهور عند العرب وقد اهتديت اليه من قول الميجر تشيزمان كما ذكرت في ص ١٣٣ وارى الآن ان الميجر مصيب في ما قاله ومن شاء مناقشتي في ذلك فاني اناقشه على شرط ان يرفع الحذقة

Zoril

ظربان افريقي منه نوع اسمه ابو عققن وابو المنتن

Skunk

ظربان اميركي

بقي عليّ ان اقول ان المعاجم لم تذكر هذه الحيوانات الاربعة فلتذكرها الآن ولكن بلا حذقة فالظربان قد اتعني كثيراً وان الميجر تشيزمان سماه باسم السر ارنولد ولسن عدو

العرب وخضيم كل امة تطلب استقلالها فاسم هذا الحيوان ظربان ولسن *Mellivora wilsoni*
فهل هذه مصادفة

الحمير وهي كثيرة وقد ذكرتها في الصفحة ٩٨ والصفحة ٢٧٠

Domestic ass

حمار . عير . اخطب

يسمى الاهلي عيراً والاخطب لان له جُدَّة على ظهره ويظن انه كان قبلاً في جزيرة
العرب ثم انقرض . اما الآن فليس من الحمير هناك الا الفراء الا في ذكره

Syrian wild ass

فراء

وهو الفراء المذكور في التوراة والفراء عند العرب وليس للفراء جُدَّة على ظهره

Kiang

فراء التبت . قولان بالتركية سميت بالفراء لانه لا جدة له

Onager

اخدر واخدري

وهو حمار وحشي سريع جداً اما سبب ذكر هذه الحمير بهذه الاسماء دون غيرها فلا سبب يطول شرحها

Zebra

عتابي . حمار عتابي

سمي بذلك لهذه الخطوط السود التي فيه وقد بينت ذلك في ص ٢٧٠ وهو الذي يسمى
عادةً بحمار الزرد وكلمة عتابي عربية الاصل

Tabby

قط عتابي

اي فيه خطوط او توشيم وهذه عربية ومنه اسمه بالانجليزية وليس لهذه الحيوانات ذكر في
المعاجم الاخرى وان ذكرت فذكرها غلط او تنافس في الحذقة

Shrew

زباب والواحدة زبابة

حيوان من آكلات الحشرات شبيه بالفار في الظاهر ولكنه ليس من الفار ولا من رتبته بل
يختلف عنه في الفصيلة والرتبة

ذكرت الزباب في ص ٢٢٧ من معجم الحيوان ولم يذكرها احد من اصحاب المعاجم
على الاطلاق لانها جديدة . وقد سرتني ان مجلة مجمع اللغة الملكي اوردته في الجزء الثاني من المجلة
ص ١٢٦ لكنها نسبتها الى القاموس وصاحب القاموس لم يفعل شيئاً من هذا وكان حقها ان تنسبها
لهذا الذي سهر الليالي في تأليف معجمه لا الى القاموس ولا ادري ما يقول المجمع في ذلك

Serpents or Snakes

حيات والواحدة حية للذكر والانثى

وفي سورة طه «فاذا هي حية تسعى» اي ان الحية بهذا المعنى افصح الكلام ولا أدري سبب
غرام جرائد بيروت بالافعى ويريدون بها كل حية ضخمة طويلة فيقولون قتلت في القرية الفلانية
افعى طوها يزيد عن خمسة امتار او نحو ذلك فالافعى لا تكون خمسة امتار او ما يقرب من هذا

ولكن العامة تقول الحية كما جاء في القرآن الكريم فلماذا لا تقول الجرائد حية . وفي مصر تقول العامة وبعض الادباء كلمة ثعبان كأنها مرادف للحية فغرام أهل مصر بالثعبان كغرام أهل بيروت بالافعى ولا أريد ان يكون جميع أدباء بيروت ومصر من علماء الحيوان بل أريد ان يكونوا كالعلماء في استعمال هذه الحيات وبالأمر أصاحت كتاباً في الحيات فبقي المؤلف يقول الثعبان بمعنى الحية كلما تغافلت عنه ولم أقدر ان أحوله عن ذلك . كذلك في مجمع اللغة الملكي فانهم قالوا في سنة ١٩٣٤ الثعبان وهم يريدون الحية فأصلحت ذلك . اما في هذه السنة فقالوا الحية والحمد لله . ففسى ان جرائد بيروت تقول الحية وتترك الافعى وادباء مصر تقول الحية وتعديل عن الثعبان وسأذكر فيما يلي اسماء بعض الحيات بالانجليزية وما يقابلها بالعربية

Viper or Adder

افعى

وقد وردت كثيراً في التوراة وهي حية قصيرة دقيقة العنق عريضة الرأس مفطحة خيشة جداً تقتل لساعتها وتعرف بالافعى في كتب اللغة وفي السودان وجزيرة العرب والعراق

Lacertine snake

حنش او حنش اسود

حية طويلة سوداء سمها قليل ولكنني احذر القارىء من الصل الآتي ذكره فهو حية طويلة سوداء ومن اخبث الحيات

Asp or Cobra

صيل حية خيشة جداً ربما اشد سمّاً من الافعى

والصل وارد في التوراة بهذا الاسم بالعربية والانجليزية ويظن انه الناشر المصرية ولا بأس بتسمية الناشر الهندية بهذا الاسم ايضاً (انظر معجم الحيوان ص ٢١ و ٢٩ فقد ذكرت فيها الصل والحية الناشر على انواعها) اما سبب تسمية الجاحظ هذه الحية بالافعى الهندية فلانها خيشة سامة ثعبان

Culuber, Couleuvre

وفصيلة الثعابين حيات عظيمة سمها قليل وبعضها من اخبث الحيات

وقبل ان اترك البحث في الحيات احذر القارىء من التعرض لها مهما ظن ان سمها قليل لئلا يصيبه ما اصاب حاوي عاليه بلبنان منذ خمسين سنة فانه حاول القبض على حية سوداء ظنها حنشاً اسود فاذا هو يقبض على اسود آخر هو الذي قال عنه رؤبة

كنت كمن ادخل في جحر يدا فأخطأ الافعى ولاقى الاسودا

وهنا خطأ الجاحظ على علو كعبه في العلم والادب واصاب رؤبة كما ذكرت في معجم الحيوان ص ٧٠ ولعل حاوي عاليه قبض على ناشر مصرية او على احد انواعها المعروف بالبرجيل وهو اشد الحيات سمّاً على ما يقول حواة مصر وهم اخبر الناس بالحيات وسمها . والبرجيل معروف في مصر والشام والعراق وكنت اهرب منه عشرة امتار او اكثر ولو كان الحاوي قابضاً عليه وان لم تصدق فحرب اي جربني انا عندما اهرب من البرجيل او جرب القبض عليه . اما انا فلا اقل

حَدِيثُ الْمُقْتَضِفِ

أوهين أونيل

(حائز جائزة نوبل الأدبية ١٩٣٦)

منقطعات الجداول

إلمبي — تحت جنح الظلام

نقلها جورج نيقولاوس



أوجين أونيل

Eugene Gladstone O'Neill

أوجين أونيل الكاتب الأميركي الذي فاز بجائزة نوبل في الأدب لعام ١٩٣٦ من نوابغ رجال الفن والأدب المسرحي في أميركا . وهو طويل القامة قوي البنية ذو وجه كالح يدل على الشراسة والعناد . اشتهر بمؤلفاته الدالة على قوة فنية رائعة وذوق أدبي ممتاز ، ولكنه لا يزال تحت تأثير فهم غير تام لبعض نواحي الحياة وقساوة في تأليفه المسرحية يخضع لها من وقت لآخر ، ولعل لذلك أسباباً تعود الى المغامرات الكثيرة والحياة الجاحمة التي عاشها متقللاً بين بلد وآخر . ولما كان أونيل يفضل حياة الحشمة والتواضع منزوياً متكماً في شؤونها الخاصة وكانت حياته الأولى حافلة بالمغامرات والأهواء المضطربة فقد كانت شخصيته الغريبة الأطوار باعثاً على تواتر قصص وشوائع مختلفة جعلت اسمه شبه اسطورة في الأدب الأميركي

كانت الدراما والآداب المسرحية في أميركا — قبل الثورة والاستقلال — ذات ميول واتجاهات استعمارية وصيغة ثورية متأثرة بالثقافة الانكليزية البحتة تتخللها مؤثرات تشغف عن الروح التوتونية ، وكانت المؤلفات المسرحية والقصص التمثيلية تقليدية أكثر منها أصيلة

على أن أول من بدأ بتأليف القصص المسرحية في أميركا William Dunlap وهو الممدود أبا الدراما في الولايات المتحدة و Rayall Taylor مؤلف القصة الهزلية The Contrast التي مثلت عام ١٧٨٧ وهي أول قصة مسرحية أظهرت للعالم الشخصية الأميركية باسم Yankee . أما (دنلاب) فقد ألف واقتبس أكثر من ستين قصة مسرحية أهمها André وقد ظهرت عام ١٧٩٨ . وهذان المؤلفان (دنلاب وتايلر) هما اللذان سارا بالقصة المسرحية في أميركا سيراً حثيثاً في سبيل التقدم والارتقاء ، حتى بدأت تتحرر تدريجياً من المؤثرات الاوربية . وما كاد يزرع القرن

التاسع عشر حتى كانت الدراما قد انفلتت من معظم القيود الاجنبية واصبحت تعتمد على نفسها وجاء William Gillette بمسرحيته (Held by the Enemy) و (Secret Service) فوضع أسس القصة المسرحية في الولايات المتحدة ، وجاء بعده غيره من الكتاب المسرحيين فألفوا القصص التمثيلية خالية من المؤثرات الاجنبية وظهرت القصة التمثيلية مستقلة الاستقلال كسأله عن المسرحيات الاوروبية مبنى ومعنى . وكان هؤلاء المؤلفون الافذاذ الجذوع التي قامت عليها المسرحيات في اميركا ثم أُنعت غصونها فأورقت الدراما في العالم الجديد ثم أثمرت بتأليف اونيل — اعظم كاتب مسرحي في اميركا — في الوقت الحاضر

وكما ان الادب الاميركي امتاز في عصرنا الحاضر بتأثيره في المذاهب الطبيعية والنفسية والفلسفية وبتحرره من القيود التي كانت تعرقل سيره فكذلك تأثر الادب المسرحي والدراما بمظاهر الحياة الاميركية الحرة وبالبعواث والمؤثرات نفسها بعد ان امتزجت بالميول والاهواء الخيالية فأبعدتها عن الحقيقة ولكنها القت عليها مسحة من الروعة والبهاء كما يتجلى لنا ذلك في مؤلفات اونيل ذات القوة الجذابة الرائعة

ولد اوجين اونيل في مدينة نيويورك في ١٦ اكتوبر ١٨٨٨ من اصل ارلندي وكان ابوه جيمس اونيل ممثلاً شهيراً اشترك في تمثيل دور في رواية « مونت كريستو » فربح في فصل واحد خمسين الف دولار . وقد درس اونيل في عدة مدارس داخلية معظمها كاثوليكي ثم دخل مؤسسة Betts وكان يتنقل من مدرسة الى اخرى الى ان دخل جامعة برنستون وظل فيها سنة واحدة ولكنه لم ينجح في الامتحان فغادر المدرسة لحوض معارك الحياة العاصفة . وقد تزوج في سنة ١٩٠٩ ولكنه عدّ زواجه هذا « خطأ فادحاً » . ثم اشتغل في نيويورك وعمل اعمالاً مختلفة فقضى سنتين بحاراً وسافر الى اميركا الوسطى للبحث عن الذهب ولكنه عاد بعد ستة اشهر وقد أصيب بالمalaria . ثم عاون والده في الشركة التي يعمل بها ولم يطل به الامر اكثر من ثلاثة اشهر حتى انسحب من العمل . وكان يطالع في اثناء ذلك مؤلفات جوزيف كونراد وروبرت كبلنغ وجاك لوندن . وقد ظهر اثر هؤلاء الكتاب في تأليفه الاولى . ثم عزم اونيل على ركوب البحر ومجاهدة المخاطر والاهوال فسافر

في مركب زويجي رحل به الى (بونس ايرس) بعد ان قضى في البحر ٦٥ يوماً . وقد احترق حرفاً شتى كانت له خير معين في تأليف مسرحياته فيما بعد وساعدته على تفهم نواحي الحياة المختلفة وزودته بمادة لا تنضب لقصصه وتأليفه . ثم عاد الى نيويورك وقد تطورت شخصيته وطباعه فاذا به نازعاً على المجتمع بحاربه بما اوتي من قوة وعزم . ولما عاد من رحلته الاخيرة الى سوئمبتون (في انكلترا) كان قد ربح من المقامرة ارباحاً طائلة ولكنه فطن الى امره وفكر في سوء العاقبة فركب القطار الى (نيو اورلينز) وهنا وجد نفسه فقيراً معدماً لا يملك شيئاً ، بيد انه رأى اياه يمثل دوراً في رواية (مونت كريستو) فطلب منه اجرة قطار ليعود الى نيويورك ولكن اياه اراده على تمثيل دور في الرواية ذاتها فقام بما عهد اليه خير قيام ، وكان هذا بدء دخوله المسرح وبأكورة اعماله الفنية التي خلدت اسمه كاعظم كاتب مسرحي معاصر في اميركا . وظل يمثل خلال هذه المدة ادواراً مختلفة مجيئاً انتقادات ابيه بقوله « انه من العجيب أن يتمكن من القيام بتمثيل دور ما في رواية مشهورة هي « مونت كريستو » . ثم اشتغل بعد ذلك مخبراً صحفياً مدة ستة اشهر وقد أعجب به رئيسه » لتواضعه وأدبه ولطفه وعينه الجذابتين وأسلوبه الادبي ! ... » وكان لرئيسه هذا فضل عظيم عليه في تشجيعه على الكتابة والتأليف

لم يبدأ اونيل بالكتابة الا بعد ان ساءت صحته واقعده المرض فظل مدة في المصح يشكو داء السل الويل وذلك سنة ١٩١٢ هناك تمثل اونيل ما بلاله في الحياة من ضروب المعاناة والتجريب . ويحدثنا انه في اثناء اقامته في المصح المذكور عرف هناك لأول مرة قيمة الحياة ووجد الفرصة سانحة امامه لوضع اسس ثابتة لحياته المستقبلية ولا سيما ان حياته كانت تزخر بالتجارب والاعمال وتراكم في مخيلته بعضها فوق بعض دون اشعاع ولا انبعاث . وهنا فكر بماضيه وحاضره وشعر بدافع قوي يحفز به الى كتابة القصص المسرحية وهو ذو الخبرة بالمسرح وحياة التمثيل والفن دخل المصح وهو شاب غني شرس الاخلاق غريب الاطوار مقلقل الافكار لا غاية له في الحياة الا كما تعيش الملايين الكثيرة من الناس حياة كلها تعب وشقاء ..

وآخرها عدم وفاء . ولكنه خرج من المصح وهو شخص آخر — رجل ماضي
العزيمة له هدف في الحياة يسعى اليه . ومنذ ذلك الحين وهو يحيا حياة ملؤها النظام
والعمل المجدي النافع . فأكبَّ على تأليف القصص المسرحية وأخرج خلال سنة
واربعة اشهر احدى عشرة قطعة تمثيلية ذات فصل واحد وقطعتين طويلتين . وهو
يعمل بجهد متواصل في تأليف القصص التمثيلية والروايات المسرحية . وكانت
مسرحيته الظل (١٩١٤) ذات الفصل الواحد ، النبراس الذي أضاء سبيله في عالم
الادب والفن

كانت الحرب الكبرى الضربة القاضية على المسرح والقصص التمثيلية . فلما استعرت
نارها في شهر اغسطس ١٩١٤ انزل الستار على المسرح وساد ظلام الوحشية على
معالم الثقافة والفن . والحضارة لاتورق الا في ظلال السلم والطأنينة ولا تزدهر الا
حيث ترحم العقول والافكار في رياض الحرية وبين خمائل العلم والفن
ولكن الدراما نشطت في نيويورك بعد ذلك السبات العميق واخذت تستعيد
ما فقدت من قوة وأثر . ويعود سبب ذلك الى اهتمام سكان تلك المدينة العظيمة
بالمسرحيات والتمثيل ، بل تعد مدينة نيويورك الآن في الدرجة الاولى بين المدن التي
يرتادها هواة الملاهي والمسارح لمشاهدة أروع القصص التمثيلية والقطع الفنية الراقية
وقد ظهر عقب انتهاء الحرب في المانيا مذهب جديد في الفن والتأليف المسرحية .
نشأ هذا المذهب الفني من الخور واليأس اللذين استوليا على الشعب الالمانى بعد
اضمحلال الامبراطورية الالمانية وتهدم الآمال الجرمانية في السيطرة والتوسع ،
فكاد يُقتضى أن تذل على آمال الشعب وأمانيه وشعر المفكرين وارباب الفن بهذه
الكارثة الطارئة ، وهم يرون اكثر المؤلفات المسرحية تطغى عليها روح التشاؤم
منبعثة مما ينتج في نفوس المؤلفين والكُتَّاب من شعور واحساسات دفينه . تظهر
مايكنه المؤلف وابطال قصصه من آلام نفسية مبرحة وتأثرات عميقة متأججة —
فنشأ من ذلك المذهب التعبيري Expressionism يصف نفسية الشعب المتألمة المرهقة
بعار الذل والانكسار !

وكان لمسرحيات الكاتب القصصي الالمانى Frank Wedekind (١٨٦٤ —

(١٩١٨) أثر عظيم في تطور المذهب الواقعي في الادب الألماني ، وقد مهدت تأليفه السبل وهيأت الافكار للدرامات الحديثة وكانت هي طليعة «المذهب التعبيري» الذي كان اهم الداعين له والقائمين به Georg Kaiser (المولود في سنة ١٨٧٨) ، و Ernest Toller (المولود في سنة ١٨٩٤) ، على ان هذا المذهب الفني الذي تأثر به « اونيل » غير ثابت الاوضاع ، فهو متقلقل في سيره ، وقد أصبح الآن ضئيل النفوذ خفيف الأثر ، ولا سيما ان كثيراً من مؤلفي المسرحيات (في ألمانيا) يفضلون العودة الى المذهب الواقعي . يقول المؤلف والنقاد المسرحي الانكليزي « سنت جون ارثن » : « ان الملهم (تيار) سيقى في حالة ضعف والمحطاط الى ان تستعيد الانسانية نشاطها وقوتها ، لان الدراما اكثر الفنون تعلقاً وصلةً بالمجتمع وسعادته » .

نعود الآن الى اونيل بعد هذا الاستطراد الوجيز عن المذهب التعبيري . فقد قضى سنة في جامعة (هارفرد) ١٩١٤ — ١٩١٥ يدرس الفن والتمثيل . ثم امضى صيف عام ١٩١٦ في مدينة (برنستون) وكان هنا على اتصال وثيق بالممثلين الشباب الذين قام اكثرهم فيما بعد بتمثيل قصصه القصيرة . وكان يطالع كثيراً من المؤلفات المسرحية ولا سيما كتب (ابسن) و (سترندبرغ) و (ودكند) و (نيتشه) . وكان هؤلاء اثر ظاهر في مؤلفاته الاخيرة . وفي خلال ذلك ذاع صيته وانتشر اسمه على افواه الناس وفي الصحف والمجلات ، فاذا به اشهر مؤلف مسرحي في اميركا ، وفاز ثلاث مرات بجائزة (Pulitzer) . وصدر له في عام ١٩١٨ (In the Zone) ثم تزوج للمرة الثانية (١٩١٩) فكان سعيداً بزواجه هذا اكثر منه بزواجه الأول ، حتى اعتبره مواطنوه راجعاً الى حضيرة الانسانية ، ووصفوه بأنه « مواطن انساني تقريباً » ! وفي سنة ١٩١٩ اخرج مؤلفه The Moon of the Caribbees وست مسرحيات عن البحر و ١٩٢٠ « الذهب » و « ما وراء الافق » Beyond the Horizon ومنذ صدر كتابه هذا (ما وراء الافق) وهو يتمتع بلقب اعظم مؤلفي الدراما في اميركا ، بيد انه لم يفز بالشهرة العالمية الا بقصته « الامبراطور جونز » ١٩٢١ The Emperor Jones ثم بقصته Anna Christie سنة ١٩٢٢

ولا شك ان سبب نجاحه الفني هو ثباته واخلاصه للغاية التي يعمل من اجلها ورغبته الصادقة في وصف الحياة وصفاً مطابقاً للواقع ، ولكن مما يؤخذ عليه تسرعه في الكتابة وقلة عنايته بموضوع مؤلفاته . وقد كان لحياته الأولى درس مفيد علمه ان ينظر الى طبائع الانسانية الخفية ونفسياتها المستترة والعوامل التي تطرأ على الحياة فتغير مجراها . وهو يصف الحياة كما تراهى له معتمداً على ما يسيرها من العوامل والقوى النفسية الكامنة في اعماق الانسان . ثم ظهرت له قصص اخرى ذات صبغة صوفية رمزية ، منها : The Hairy Ape اي « الفرد الاشعر » ١٩٢٢ ويدعي اصحاب المذهب التعبيري ان هذه القصة تمثل مذهبهم الفني وتعبير عن آرائهم ، ولكن ادعاءهم هذا لا يرتكز على اساس ثابت وفي سنة ١٩٢٤ صدرت له مجموعة في جزئين تتضمن Desire Under the Elms و Welded, All God's Chillun Wings وفي سنة ١٩٢٥ (ينوع الحياة) The Fountain وفي سنة ١٩٢٦ The Great God Brown وهذه اكثر مسرحياته تأثراً بالنزعة الصوفية . وله غير ذلك Lazarus Laughed, Marco's millions ١٩٢٧ و Strange Interlude ١٩٢٨ ، وربما كانت هذه القصة اشهر مسرحياته . وفي سنة ١٩٣١ ظهرت له القصة المثلثة Mourning becomes Electra (trilogy) ان الابداع الفني والصور الغريبة التي اكثر منها اونييل في تأليفه قد وضعت حداً للعجاذبية الفنية في مسرحياته التي كان لها الاثر البين في تطور الدراما ولا سيما في اميركا . كما ان بعض مسرحياته مثل « الظل » و « القمر في بحر الكاريب » هي صور حقيقية لرحلاته البحرية وحياته الحافلة بالمغامرات ويعمل « اونييل » الآن ، بعد ان فاز بجائزة نوبل . على وضع قصة مسرحية عن حياة (نوبل) صاحب الجوائز العالمية المشهورة ، وستعرض فصولها على لوحة السينما ، وربما اختص اونييل نفسه بمثيل دور نوبل وما هذه القصص التمثيلية والقطع الفنية الرائعة ، إلا قلائد ثمينة في جيد الادب الاميركي وصفحات حية خالدة من حياة اونييل ذات الصور البراقة المتنوعة والمغامرات الجريئة التي تجعله في مصاف اعلام الادب المسرحي في العصور الادبية الزاهرة

حلب
فؤاد عيتابي

[المقتطف] تفضل كاتب هذا المقال فوعد بتلخيص احدى مسرحيات اونييل لعدد تال

منعطقات الجدول

السيدة آمي خير شاعرة ، رقيقة العواطف ، دقيقة الشعور ، ترسم بقلمها مشاعر النفس ، وخوارج الفؤاد ، فتعبر شعراً ، عما تكنه جوانحها ، وتستلهم روحها الفياضة . وقد اصدرت اخيراً ديوان شعر باللغة الفرنسية ستمته (Méandres) اي « مُنَعَرَجَاتُ النهر » او « منعطقات الجدول » اودعته ما فاضت به عواطفها ، فرأينا ان تنقل منه قطعتين رائعتين من متين قصائدها ، ليتذوق ابناء اللغة العربية ، آيات قلمها وشاعريتها . وقد صدر الديوان بالقصيدة التالية وهي من نظم خليل مطران الحسَن كل الحسَن في الطبعه انظر الى آيتها البديعه

ماذا تقول الزهرة الوديعه ؟

« آمالي العذبة والآلامُ ويقظاتُ العيش والاحلامُ »

« من كل ما تداول الايامُ »

« أبشها بنفحاتِ طيبي الى البعيد والى القريبِ »

« خالصة من رية المريبِ »

« وامنحُ الابصار من رؤائي ما فيه قرّة لعينِ الرائي »

« بلا مداجاة ولا رياءِ »

« صنّنت جمالي وبذلت عطري وذلك لله الكريم شكري »

« فإن يكن شعراً فهذا شعري »

إلهي

وهاك قصيدتها التي استهلّت بها ديوانها تحت عنوان : « إلهي »
إني لأشكرك ايها الفاطر ، انا الامراة ، لكونك جبوتي ، بمنحة جليلة القدر ، وهي النفس ، الجديرة بان تؤمن بك ، والقلب القادر على محبتك من بين الهيئات الالف ، التي صورتها لي طفولتي عنك ، ليس ثمة واحدة ، توازي ما في ذلك الانخطاف ، فائق الدهشة ، الذي يتلاشى فيه ذاتي ، من النشوة العمياء إني لأعبدك ، ايها الخالق ، الذي أجده ، حتى في جمال ، اقل الاوراق ، وابحث عنك خلال الكون المختلج الخفاق

نحت جنح الظلام

أيها الحبيب ، تعال تحت ضياء النجوم ، الى روضة الحب ، فالسكوت الآن ،
يعزّز لها بأستاره ، التي يزيدُها الليلُ كثافةً

فهنا الحَصِيْلَةُ ، حيثُ يَتَسَوَّدُ ، الزنبقُ والقَرْقُلُ واللَّيْلُ ، الباعثُ على
الاضطراب ، وهناك المَسْرَجُ ، حيث الحَوَوضُ محفورٌ ، في المرمر الثمين

نذهبُ بالقرب من المقعدِ الخشبي العتيق ، ذلك المقعد ، الذي يكاد يكونُ
أثرياً ، والذي تحيطُ به الادغالُ ، لِتَسْجِدَ ، ونحن نسيرُ بتمهّلٍ ، الياسمين العاطفي ،
وزهرته المرتعشة

فتنقطف لي ، الجلاجل الشاحبة الواهية ، التي تحرّكها أقلُّ نسمةٍ ، والتي
يتضوّع منها ، أربعُ منهم مغررٌ ، يُسْكَرُ رويداً رويداً ...

وعند الفجر ، اصنعُ منها عقوداً واكليلَ ودمالجَ نَضْرَةً ، فَاتَّحَلَّى بها ،
من دون ان يرتابَ احدٌ ، لماذا أعجبُ بها

فاقطفها دون تأسفٍ اذ عمّما قليلٌ ، وغداً دون شكٍ ، تهبُّ نسمةُ هواءٍ ، فتلقني
ارضاً هذه الزهور ، التي تحسنُ الموتَ كلها ، من دون ان تنتثر اوراقها .

وئملها ، وأأسفاه ! الانخطافُ والنشوةُ ، اذ كلُّ شيءٍ يدركُ الموتُ ، فحين
ينطفئان ، أوْدُ ان يكون ذلك ، مثل الياسمين ، التي تسقطُ دفعةً واحدةً ، دون ان تنتثر

أيها الحبيب ، فلنبسِّقَ ، لان ثمة ضياء النجوم ، في روضة الحب ، فالسكوتُ
الآن يعزّزها بأستاره ، التي يزيدُها الليلُ كثافةً

[نقلهما جورجى نيقولاوس]

سِيرُ الزَّمَانِ

مَبْطُوطُ الْمُقَوِّبَاتِ

رُوسِيَا وَخُصُومُهَا

لِخَنَّا خَبَازِ

قُوَى الْمُدْفَاعِ الْأَوْرَبِيَّةِ

أَقْسَامُهَا وَقُوَّتُهَا وَطُرُقُ تَنْظِيمِهَا

حبوط العقوبات

ان حبوط العقوبات التي فرضتها جامعة الامم على ايطاليا تثير في الناحية الواحدة مشكلة جامعة الامم نفسها من حيث قواعد تأليفها وحقيقتها عملياً . وفي الناحية الاخرى مسألة خطيرة تدور حول تأثير الضغط الاقتصادي في التغلب على القوة العسكرية واركان الخطة التي تفضي الى نجاحه .
للقوة ثلاث نواح اساسية ، احدها روحية كانت في الماضي في ايدي الرؤساء الروحيين ونحوأت في العصر الحديث مذ ضعفت العقائد وفصل في معظم البلدان بين الدين والدولة الى الترية و الدعاية المنظمة . وثانيها اقتصادية استفحل مقامها في العصور الاخيرة بارتقاء الحضارة الصناعية . فالحيوش تمشي على بطونها والمال والبتترول عصب الحرب وقوته المحركة . والتاريخ يثبت ان الدول البحرية كانت دائماً تصحب عملها الحربي بالضغط الاقتصادي . الا ان الضغط الاقتصادي كان حتى السنة الاخيرة ، فرعاً من الضغط العسكري . فلولا ابو قير والطرف الاغر لما تمكنت انكلترا من اغراض الحصر البحري الذي ضربته على نبوليون

إلا ان ارتقاء الحضارة الاقتصادية ، أفضى الى توسيع نطاق الضغط الاقتصادي وإلى توجيهه نقد عنيف إلى استعماله . فالحرب كانت في نظر الاقتصاديين الاحرار في انكلترا العدو الاكبر للنظام الصناعي . ولذلك كانوا يرون أنه يجب أن تحصر في دائرة المحترفين وان لا تتعداها الى التجارة . وكانوا يذهبون كذلك الى وجوب الغاء الحصر البحري وما يتبعه من حق الزيارة والتفتيش وحصر المواد الحربية الممنوعة ضمن حدود ضيقة . فالشر كل الشر — عندهم — أن تعاقب عمال في منطقة لانكشير بضرب نطاق على بلدان تصدر اليها القطن او تستورد منها المنسوجات

فلما كانت الحرب الكبرى سار الضغط الاقتصادي جنباً الى جنب مع العمل الحربي ، ولم ين الاول عن الثاني . ولكن كل هذا لم يصرف الناس عن التفكير في استعمال الضغط الاقتصادي بدلاً من الاعمال الحربية ، بل لمنع الاعمال الحربية . وحججهم في ذلك ان الشلل الذي يصيب النظام الصناعي والاقتصادي في امة ما عندما يقع فيها اضراب عام ، دليل على قوة السلاح الاقتصادي . واذن فاذا هدّدت دولة تنوي الاعتداء بتطبيق مقاطعة اقتصادية عامة لها ، كان ذلك التهديد والنية على تنفيذهما كافيين لثنيها عن عزمها

ان الفقرة الاولى من المادة السادسة عشرة في عهد جامعة الامم تفصل ما يتحتم على اعضاء الجامعة من تطبيقه حالاً على الدولة المعتدية كقطع جميع العلاقات التجارية والمالية فتطبيق هذه المادة على ايطاليا كان تجربة توفرت لها ظروف النجاح . فايطاليا من الناحية الاقتصادية ليست من مقام الولايات المتحدة الاميركية او بريطانيا او فرنسا او المانيا . ان مصادر ثروتها

الطبيعية ضئيلة ومتوسط سكانها في الميل المربع من ارضها على وئوتها يسيرة ومتوسط دخل الفرد من ابلانها لم يبلغ ربع متوسط دخل الانكليزي في سنة ١٩٢٩ . ثم انها معرضة كل المعرض للخطر لانها تعتمد في معظم غذائها والمواد الخام اللازمة لصناعتها على ما تستورده من الخارج . وكل ما تحتاج اليه في صناعة الاسلحة الحربية كالقحم والنحاس والحديد والقطن والرصاص والصوف والزيت يردها من الخارج . وليس فيها مناجم للنikkel والكروم والبلائين والتنفستن والقصدير ولا حراج يستخرج المطاط من اشجارها . وعلاوة على ذلك كان ميزانها التجاري في غير مصلحتها فزاد عجزه زيادة مطردة من ١٥٠٠ مليون ليرا في الاشهر الستة الاولى من سنة ١٩٣١ الى ٢٤٠٠ مليون ليرا في سنة ١٩٣٣ وبلغ ١٤٠٠ مليون ليرا في الاشهر الستة الاولى من سنة ١٩٣٤ . ومعظم هذا العجز كان يغطي بما تجنيه ايطاليا من السيئاح ومن مال يرسله ابناءؤها المهاجرون . فقد بلغ الاول ١٣٠٠ مليون ليرا سنة ١٩٣٣ والثاني ٩٠٠ مليون ليرا سنة ١٩٣٢ .

أضف الى ذلك موقعها الجغرافي وامتداد سواحلها حالة ان باب البحر المتوسط من المغرب في قبضة بريطانيا فالسفن التجارية القادمة بحراً من الغرب يجب ان يجتاز مضيق جبل طارق ، والبضائع الواردة من طريق البر يجب ان يجتاز دولا هي اعضاء في الجامعة . نعم ان جارتها الصغيرتين سويسرا والنمسا كانتا غير راغبتين في تكديرها ، ولكن هذه الدول لا تستطيع ان تصدر اليها كثيراً من منتجاتها الخاصة فاذا جاءت بها بضائع في الخارج عن طريقهما فيجب ان تمر هذه البضائع في فرنسا او المانيا ، والاولى عضو في الجامعة ، والثانية لم يكن في وسعها ان تغبط بعض الدول الكبرى في سبيل دولة (ايطاليا) لم تربطها بها حينئذ اوثق اواصر الودّ

نعم ان الولايات المتحدة واليابان والبرازيل ليست اعضاء في الجامعة . ولكن اليابان لا تستطيع ان تصدر الى ايطاليا مواد هي في أشد الحاجة اليها . اما الولايات المتحدة فكان في وسعها ان تكفي جميع مطالب ايطاليا اذا اصرّت على صون حقوقها التقليدية كدولة محايدة متأكدة ان بريطانيا لا تجارها ولو عهدت اليها الجامعة في تنفيذ الحصر البحري على ايطاليا . ولكن الرئيس روزفلت ورجاله ابتكروا صورة جديدة للحياد اودعوها في قانون الحياد وقوامها ان الحكومة تحث الاميركيين على الامتناع عن الاتجار مع الدول المتحاربة ، وتمنع على كل حال تصدير بعض المواد الحربية ، وتعلن التجار الاميركيين ان كل اتجار مع الدول المتحاربة اما يحملون تبعهم ولا يظهرون من الحكومة ان تصون مصالحهم إذا صودرت أو عطلت من قبل أحد الفريقين المتحاربين أو كليهما . وكل ما كانت ايطاليا تستطيع ان تتوقعه من الولايات المتحدة أن لا ينقص ما تستورده ايطاليا من اميركا عما كانت تستورده قبل نشوب النزاع مع الجامعة . ولو أن دول الجامعة أظهرت رغبتها في التضحية في سبيل السلامة الاجتماعية ، لما امتنعت اميركا عن مجاراتها في الغالب .

يقابل ذلك ، ان ايطاليا كانت تعلم ان الحرب ليست حرباً كبيرة ، وان خصمها لم يكن مسلحاً بادوات الحرب الحديثة ، فلما تحتاج اليه ايطاليا من المواد التي قد تمنع عنها ليس كبيراً . فحزنت مقادير كبيرة كانت ترى انها وافية بغرضها اذا اقتصرتم مقاومة الدول على مقاطعتها دون التدخل تدخلاً حريصاً في خطتها . فايطاليا في اثناء الحرب الحبشية لم تشعر قط بالحاجة الملحة التي تشعر بها دولة كبيرة اذا كانت في حرب مع دولة كبيرة اخرى

يضاف الى هذا ان الكساد وتكدس البضائع في كثير من الاسواق ، حملاً للتجار على الرغبة في البيع ولو كانت توفية الثمن غير مؤكدة . اما الحكومات فأبت ان تزيد الكساد السائد بقبول تزيده تفاقماً على الرغم من قبولها ما تقرضه الجامعة على الاعضاء في مثل هذه الحالة ان احد الاغراض التي يتجه الضغط الاقتصادي الى تحقيقها منع الحرب بدت الجزع في الامه التي تنوي الاعتداء ، من مقاطعة دول الجامعة لها . ولكن هذا الغرض لم يمكن تحقيقه في ما يتعلق بايطاليا . ذلك ان الجزع لم يساور ايطاليا وقد اثبتت الحوادث صدق حدسها . قد تكون اعتمدت في موقفها الحريء على معالجة الجامعة الضعيفة لمشكلة منشوريا ، وقد تكون أقعنت نفسها بأن حربها في الحبشة ليست الا حرباً استعمارية ولا تهديد فيها لنظام السلامة الاجماعية . على كل حال ان سكوت بريطانيا او عدم افصاحها عند ما عقد اجتماع ستريزا ، عمّا تكون خطتها اذا هوجمت الحبشة ، اعتبر في ايطاليا نوعاً من الموافقة الصامتة ، فلما سمع صوت بريطانيا القلقة ، في كلام حازم فاه به وزير خارجيتها السر صموئيل هور يوم ١١ سبتمبر في جنيف ، كان السيف قد سبق العذل او كاد . لان ايطاليا كانت قد شرعت في اعداد حملتها وبلغت في اعدادها شأواً بعيداً . ففي مايو سنة ١٩٣٥ كانت الحملة قد كلفت موسوليني ٦٥٠ مليون ليرا . وكان في مكنها ان تصنع أسلحتها اذا لم تمنع عنها المواد الخام حاله ان الحبشة كانت لا تملك نقداً تشتريها به ولا معدات ميكانيكية تصنعها بها . فلما استعمل الضغط السياسي البريطاني على المستر ريكت لكي يعيد الى النجاشي امتياز الزيت اثباتاً لتصل الحكومة من هذه الصفقة ، جاء العمل في مصلحة ايطاليا لانه منع عن النجاشي مالا كان في اشد الحاجة اليه . وعلاوة على ذلك كانت ايطاليا مقتنعة بأن الحكومة الفرنسية مستعدة لتسلم بفرض حماية ايطاليا على الحبشة اذا وقفت ايطاليا في اوربا موقفاً معيناً فالعقوبات الاقتصادية لم تحقق في منع الحرب لانها لم تجرب في حرب بين دولتين متكافئتين . فالجامعة لم تهدد ايطاليا باخراجها من الجامعة اذا انتهكت العهد . وكان عند ايطاليا ما يحملها على الظن بان الدول المختلفة لن تقترح استعمال القوة العسكرية لصون العهد على نحو ما تنص المادة ١٦

في يوم ٩ اكتوبر سنة ١٩٣٥ قرّر مجلس الجامعة ان ايطاليا دولة معتدية وتلا ذلك قرار فرض العقوبات الاقتصادية عليها في ١٩ اكتوبر ولكن لم يشرع في تطبيق العقوبات الا في ١٨

نوفمبر . فالتطبيق لم يكن حالاً ولم يشمل جميع العلاقات التجارية والمالية وهما شرطان تص عليهما الفقرة الاولى من المادة السادسة عشرة من عهد الجامعة

وفي يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٥ اقترحت لجنة التنسيق منع جميع الاعمال المالية التي تؤاى ايطاليا كعقد القروض وفتح الاعتمادات واصدار السندات سواء كانت الاعمال حكومية ام أهلية فالمقاطعة المالية كانت شديدة ، ولكن شأنها العملي كان يسيراً ، لان حالة ايطاليا المالية كانت قد ساءت قبل ذلك والميل الى عقد قروض لها في اسواق العالم كان ضعيفاً علاوة على ان تجار الصادرات الاجانب كانوا يعانون مصاعب شتى في استيفاء ما لهم عليها حتى بلغ ما لتجار الصادرات البريطانيين عليها في أغسطس سنة ١٩٣٥ مايوني جنيه . فالمقاطعة المالية لم تدخل عنصراً جديداً في حالة ايطاليا المالية ، بل كانت اجمالاً لحالتها المالية الدولية كما كانت عند اقتراحها

وفي يوم ١٩ اكتوبر اقترحت لجنة التنسيق منع الاستيراد من ايطاليا ، مستثنية البضائع التي اتفق على استيرادها منها بعقود حررت قبل ذلك التاريخ . فاتفقت خمسون دولة على قبول هذا الاقتراح ، وبعضها أبدى قليلاً من التحفظ في قبولها . كانت هذه الدول تستورد من ايطاليا معظم ما تصدره ايطاليا (٩٥٥٪ - ٩٦٥٪) . فقد بلغ متوسط الصادرات في كل من ديسمبر ١٩٣٤ ويناير وفبراير سنة ١٩٣٥ مبلغ اربعة ملايين من الجنيهات فتقص الى ٢٨٤.٠٠٠.٠٠٠ جنيه في الشهور المتوالية بين اواخر سنة ١٩٣٥ و ١٩٣٦ . اي ان قدرة ايطاليا الشرائية نقصت بذلك الى خمسينها ونقصت الصادرات من ايطاليا الى انكثرتا من ٤٠٠ الف جنيه في يناير سنة ١٩٣٥ الى ١٨٠٠ جنيه في مارس سنة ١٩٣٦ والى فرنسا من نحو ٤٠٠ الف جنيه الى نحو ٣٠ الف جنيه . أما الصادرات الى الولايات المتحدة الاميركية والمانيا والنمسا والمجر فظالت على ما هي أو زادت قليلاً . والصادرات الى سويسرا نقصت بمقدار النصف

وليس في ايطاليا بضائع لا يمكن الحصول عليها في بلاد أخرى . فاذا حذفت كدولة منتجة من سفر الوجود لما خسر العالم شيئاً . ولكن هذه المقاطعة كانت شديدة على الذين يتعاملون معها وليس لهم سبيل الى استيفاء ما لهم عليها الا باستيراد ما تصدره فجاء حكم المقاطعة وكأنه «موراتوريوم» لا قبل لهم الا بالاذعان له

ولكن الحكومة الايطالية ، عمدت الى اخراج بعض الذهب المودع في بنكها لتشتري به ما تحتاج اليه ، والى بيع ما يملكه الايطاليون من سندات في الخارج ، كانت قد صادرتها في سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ وعوضهم منها بسندات ايطالية فائدتها ٥ في المائة . ففي يناير سنة ١٩٣٤ كانت قيمة الذهب في بنك ايطاليا ٧٢ مليون جنيه فهبط الى ٥٢ مليون جنيه في أغسطس من السنة نفسها . ولا يعلم بالضبط مبلغ ما كان منه في البنك عند الشروع في الحملة الحبشية ، ولكن

يقدر ما خرج من البلاد بين نوفمبر سنة ١٩٣٥ ومارس سنة ١٩٣٦ بمبلغ ١٧ مليون جنيه أو أكثر قليلاً . أما قيمة السندات الاجنبية التي صادرتها الحكومة كما تقدم فتقدر بأربعين مليون جنيه ولا يعلم مقدار ما بيع منها لشراء المواد اللازمة

هذا في ما يتعلق بالصادر من ايطاليا . اما الصادر اليها من الدول المشتركة في العقوبات ، فقسمان قسم يشمل الاسلحة والذخيرة والغاز الحربي والمتفجرات وهذا منع عنها حالاً (١١ أكتوبر) واما الباقي فتأخر منعه وبعضه لم يمنع مطلقاً . وما منع كان يشتمل على حيوانات النقل والمطاط والبروكسينت والالومنيوم والحديد الخام والنيكل والقصدير وبعض المعادن الخام اللازمة لصناعة الصلب . فكان هذا المنع باعثاً على نقص الوارد الى ايطاليا نقصاً كبيراً . فالواردات اليها من ٣٨ دولة كانت قد بلغت في المتوسط ١٢٠٠٠٠٠٠ جنيه كل شهر من نوفمبر ١٩٣٤ الى مارس ١٩٣٥ وبلغت اقصاها في الشهر السابق لفرض العقوبات اذ بلغت ٥٦٠٠٠٠٠٠ جنيه . فنقص الوارد بعد المنع الى ٢٧٨٠٠٠٠٠ جنيه في يناير سنة ١٩٣٦ ثم عادت فزادت الى ٥١٢٠٠٠٠٠ في مارس سنة ١٩٣٦ . ومن الواردات التي نقصت نقصاً كبيراً الحديد والاخلط الحديدية فقد بلغ ما استوردته منها في شهر ديسمبر سنة ١٩٣٤ نحو ٧٨ ألف طن فنقص الى ١٨ ألف طن في يناير سنة ١٩٣٦ ثم عاد فارتفع الى ٣٦ ألف طن في مارس سنة ١٩٣٦ . ونقص الوارد من بضائع مصنوعة من الحديد والصلب من ٧٣ ألف طن في يناير ١٩٣٦ الى ١٥ ألف طن في يناير سنة ١٩٣٦ . وقد جاءها معظم البضائع الحديدية الممنوعة من المانيا والنمسا والولايات المتحدة وهي دول لم تشتك في فرض العقوبات

ولم يكن الفحم والبتروال والنفط من المواد الممنوعة . الا ان ايطاليا نقصت ما كانت تستورده من الفحم من ١١٠٠٠٠٠ طن في ديسمبر سنة ١٩٣٤ الى ٦١٧٠٠٠ طن في مارس ١٩٣٦ وقد وقع معظم الخسارة في هذا النقص على انكلترا اذ هبط ما كانت تصدره من الفحم الى ايطاليا من ٤٢٠ ألف طن الى صفر . وتليها في الخسارة بولونيا . حالة ان ما كانت تصدره المانيا والبلجيكا والولايات المتحدة زاد قليلاً

ومع ان النفط وما يشتق منه من الزيوت المختلفة لم يكون محظوراً الا ان الصادر منه من دول العقوبات الى ايطاليا نقص نقصاً كبيراً . ولكن ايطاليا كانت قد خزنت مقادير كبيرة منها قبل ان تصبح العقوبات نافذة . وتحولت الى الولايات المتحدة في استيراد بعض ما كانت تستورده من رومانيا وروسيا في الغالب . فالولايات المتحدة كانت تصدر الى ايطاليا نحو ٦١ في المائة مما تحتاج اليه ايطاليا بين سنة ١٩٣١ و١٩٣٤ فزاد ما تصدر الى ١٢ في المائة في سنة ١٩٣٥ وارتفع في الاشهر الثلاثة الاخيرة من تلك السنة (وهي شهور الحرب والعقوبات) الى ١٧٨ في

المائة . اما النحاس فقد كان جلّ اعتماد إيطاليا على ما تستطيع استيراده من الولايات المتحدة الاميركية اذا امتنعت دول العقوبات عن تصديره اليها

وقد كان وجود هذه الاسواق الحرة واستطاعة إيطاليا ان تبتاع منها ما يمنع عنها الباقون ، اكبر باعث على عدم كتابة هذه المواد في قائمة المواد الممنوعة . كان في الامكان ان تتبع دول العقوبات الحظر الاقتصادي برقابة فعّالة على جميع السفن القادمة الى إيطاليا عند مدخلي البحر المتوسط ، ولكن خطر الالتجاء الى الحرب اذا امتنعت بعض الدول عن الرضوخ لذلك ، علاوة على استفزاز إيطاليا نفسها ، حال دون امتحان هذا الاسلوب من تطبيق العقوبات . وكذلك ترى ان خطة الجامعة في فرض العقوبات الاقتصادية لم تتوافر لها الاحوال المؤاتية .

فبعض المواد اللازمة للحرب لم يحظر تصديرها الى إيطاليا كالنفط والفحم والنحاس وعلاوة على ذلك لم تعرقل اعمال الملاحة ولا السياحة ولا ارسال الاموال من المهاجرين الايطاليين . وقد كان موقف إيطاليا من العقوبات لا يحتمل التأويل اذ قالت اننا نتحمل العقوبات ما زالت لا تعرقل عملنا عرقلة عظيمة الشأن . فاذا فعلت فائتاً نحارب . فكان على الجامعة ان تختار ، اما ان تجازر إيطاليا تحديها بفرض الحظر على المواد التي لا ندحة عنها لايطاليا في مواصلة الحرب ، واما ان تعترف بان استقلال الحبشة غير جدير بحرب عالمية في سبيله . وليس في امكان احد ان يعلم الآن ، هل كانت الحرب العالمية نشبت لو ان الجامعة أقدمت . فالعقوبات لم تحبط بمعنى انها لم تفرض فرضاً تاماً حتى يمكن ان يقال انها جرّبت ولم تسفر عن الاثر المرتقب . وليس ثمة دليل على ان فرضها يفضي حتماً الى حرب في جميع الاحوال . بل يمكن ان يقال انه لو فرضت وكانت سياسة إيطاليا عملية لما كان اقدامها على محاربة دول الجامعة خير سبيل لها للفوز في حرب الحبشة

يضاف الى هذا ان الحكم على دولة بانها معتدية ثم التوسل اليها بالبقاء في الجامعة ، كان لا بد ان يفضي الى خذلان أدبي ولو نجح الضغط المادي . ولذلك يعتقد بعض الكتاب — ومنهم كاتب هذا المقال وهو الاستاذ بون المحاضر في مدرسة العلوم الاقتصادية بلندن وكان قبلاً استاذاً للاقتصاد السياسي في جامعة برلين وقد نشره في مجلة الشؤون الخارجية الربعية — ان بقاء إيطاليا عضواً في مجلس الجامعة متمتعاً بجميع مزايا العضوية حالة كانت تدوس دستور الجامعة ، كان مهزلة لم تر فيها إيطاليا الا باعاً من بواعث التشجيع

والنتيجة التي يخلص اليها الاستاذ بون ان العقوبات الاقتصادية لم تطبق تطبيقاً فاعلاً كما كان يجب او يمكن ان تطبق ، وانها مع ذلك كانت السلاح الوحيد في يد الجامعة ضد إيطاليا فرفعها قبل عقد السلام بين الجامعة والدولة التي انتهكت دستور الجامعة يدل على ان الذين بأيديهم الحل والربط ، اما انهم لم يحسنوا استعمال هذا السلاح وإما لم يجروا على حسن استعماله او كليهما

روسيا وخصومها

تسعة عشر عاماً تمر والحقيقة ضائعة

بقلم هينا ضائر

لم يستحکم المرء في موضوع استحکامه في امر النظام السوفياتي وحالة الشعوب الروسية في الوقت الحاضر . فان العلم الحديث ليکاد يحصى عدد الذرّيرات في الجرّة ، ويزن اكبر الاجرام ويعين بعدها ، ويصف ما في عالم الجوهر الفرد من الوحدات والفسحات ، فيريك في الدقة المادية مجرّة ، وفي الجوهر الفرد نظاماً شمسياً . مع ذلك قد عجز العلم والعلماء عن تعيين موقف روسيا ولم يمكن الاتفاق على حقيقة ما هو جارٍ فيها اليوم

امّة معاصرة ، تعد ما يزيد عن مائة وخمسين مليوناً ، يشغلون نحو سدس اليابسة ، وهي ألصق بلدان الدنيا بالعالم المتمدّن (لانها قسم من اوربا) ، مع ذلك ، قد تضاربت الاقوال في ماهي عليه من يسر او عسر ، وشدّة او رخاء ، وصعود او هبوط . فنقرأ المتناقضات عن روسيا ويعسر علينا ان ندرك الموقف الذي ليس فيه مرء

فقد كنت اقرأ في صحف الولايات المتحدة في اميركا المقالات الضافية عن سوء الحال في روسيا ، وأن أهاليها في حال فقر أسود ، والمجاعة ضاربة اطنابها في انحاءها . واذكر جيداً ان احدى المقالات أكدت ان روسيا لا يمكنها البقاء على هذي الحال الى ما بعد مارس سنة ١٩١٩ وانها مهددة بالقضاء والدمار . وليست الغرابة في ذلك تعيين سنة ١٩١٩ . ولكن الغرابة كل الغرابة ، انه بعد مرور ١٧ سنة وبعد ذهاب مئات من الكتاب والمحققين الى روسيا ، بل بعثات مدرسية جمعت عشرات من طلاب المدارس الانكليزية وغيرها ، عدا القناصل والصحافيين والتجار والسياح ومن اليهم وقد كتبوا ونشروا وتكلموا عما هو جارٍ تحت سماء روسيا — بعد كل ذلك لا تزال نسمع تضارب الاقوال والآراء في حوادثها اليوم كما كنا قبل ثمانية عشرة سنة

لست اشتراكياً بالمعنى الرسمي ، ولا شيوعياً . ولا اقدر ان اقول هل تحتل مبادئ الشيوعية النقد او لا ، وهل هي على هدى او على ضلال . كل ذلك خارج دائرة موضوعي . فلست حامياً عن الشيوعية ولا خصماً لها . بل انا ناشد الحقيقة ، محايد ، نزيه ، مخلص اريد ان اقرر الواقع كواقع ، لا كما يريد المتحيزون ان يلونوه . بناء على ذلك اروم ان اثبت في ما يلي بعض

ما عثرت عليه في كتاب ظهر حديثاً موضوعه نتائج الحرب العظمى السياسية بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٣٦، وللقارئ الحكم بنفسه لنفسه هل تستحق هذي الاقوال الاحلال محل القبول او البند قصيصاً. واليك بعض ما في ذلك الكتاب بالحرف او بالمعنى. قال : —

صرح فيكونت جراي في مجلس اللوردات الانكليزي في ٣ مارس سنة ١٩٢٧ ان حكومة السوفييات الروسية هي غير قومية. فليست هي روسية بالمعنى الذي فيه حكومة فرنسا فرنسية وحكومة المانيا المانية. ذلك ان تبنك الحكومتين والحكومة الانكليزية معهما، انما يرمي الى ترقية مصالح قومها، ولا تكثر لمصالح غيرها الا بمقياس تأثيرها في مصالح قومها الخاصة

انقسم العالم منذ سنة ١٩١٧ الى رأسماليين واشتراكيين. واخذ الانشعاب بينهما يتزايد كل عام. وبينما نرى الشقاق والحروب والازمات مخيمة في اجواء الامم الرأسمالية، حتى ان ملايين من عمالها هم بدون عمل، نجد في الوقت نفسه عالم الاشتراكيين في روسيا متمتعاً بالسلام والقوة والتجاح. فالتباين عظيم بين سواد ليل اولئك وبياض نهار هؤلاء

هذا الانقسام العالمي، الى رأسمالي واشتراكي، هو من احداث العصر. فقد نجحت الثورة الاشتراكية في روسيا، وخابت في غيرها من البلدان كالمانيا وايطاليا مثلاً، فبرزت بهذا التطور مسائل جمة في علاقات الفريقين، اعربت عن ميول كثيرين في البلدان الرأسمالية نحو الاشتراكية واعربت بالحري عن تحقيق النظام الاشتراكي، في امة كبيرة، ذات استقلال تام، وعلاقات كونية، وهو امر لم يسبق له نظير في الدنيا، الا في حالات وقتية استثنائية كما في وقت الثورة الفرنسية مثلاً ساء الرأسماليين نجاح النظام الاشتراكي في روسيا، فعمدوا الى صد تياره بشقي الوسائل فصمد السوفيياتيون لهم، وصدوا هجماتهم، ثم اخذوا يسعون لتأسيس علاقات سلمية ودية مع تلك الامم التي كانت تحاربهم. والسوفييات يرغبون في السلم، لان كل سنة سلم وراحة، يزيدهم قوة وتأصلاً. والروسية حصن الاشتراكيين في الدنيا. فمن مصلحة الانسانية ان تستريح من المشاكل العالمية وتفرغ لترقية شؤونها، ونشر مبادئها. فقد حل عندها قانون الجماعات بزعامه العمال، محل قانون الاقلية من الماليين التي كانت تسود الاكثرية فتستعبدوها وتذلها وتسحقها

وقد تسنى للعمال ذلك سنة ١٩١٧ في روسيا. فأحرزوا ذلك الفوز الحاسم بهمة العمال والفلاحين والجنود المحررين. وقبضوا على مقاليد الاحكام، والفوا قوة لم يسبق لها نظير في تاريخ الاجتماع الانساني. انضوى تحت لوائها جماعات الاتحاد السوفيياتي وهم يزيدون عن مائة وسبعين مليوناً (١٧٠.٠٠٠.٠٠٠) في شرقي اوربا. فهب الرأسماليون في المانيا وايطاليا واليابان والنجلا واميركا يهاجمونهم، وبذلوا الجهد في قمع الحركة الشيوعية في روسيا. فقاطعوها، وحاصروها، وحاربوها سنة ١٩١٨ بقيادة كولشاك ودنكين ويودينتش قواد القيصر المعروفين. وقد صرح

لويد جورج ان انكثرا اتفقت في هذا السبيل مائة مليون جنيه ولكنها ومن معها قد آبت بالخفية وأشار لينين الى ذلك سنة ١٩٢١ قال : —

لقد عجز البورجوازيون عن سحقنا ، مع ان قواتهم تبلغ مائة ضعف ما لنا ، وسبب عجزهم هو نشوب الثورة الاشتراكية في كل اصقاع الدنيا . فوضع ذلك حداً لاطماع الرأسماليين فينا على ان الحرب الاقتصادية ما زالت . وهي لا تقل عن الحرب المادية خطورة وتأثيراً . يضاف الى ذلك تراث الحكم القيصري العاشم ، وجهل الامة ، وفقرها المدقع ، وقلة المواد الخام والآلات ، واضطرارنا الى الاعتماد على الموارد الخارجية زد على ذلك وبيلات الحروب سبع سنين متواصلة ، منها اربع سنين في الحرب الخارجية ، وثلاث في الحرب الاهلية . وفوق السكل نطاق الحصر الذي ضربته علينا دول الغرب . فكان امام النظام الاشتراكي عمل شاق ، هو مجابهة كل ما ذكر من الصعاب ، وهو لا يزال في مهده . ولكنه تغلب على السكل وفاز بالبقاء . كل ما ذكر انما كان الخطوة الاولى في حياة الاشتراكية في روسيا . والخطوة الثانية هي التنظيم الاقتصادي الجديد الذي وضع اساسه سنة ١٩١٨ ، وحالت الحرب الاهلية دون تطبيقه الى سنة ١٩٢١ ، ولم يدرك الرأسماليون فضل ذلك النظام حتى تجلّس لهم في مشروع الاعوام الخمسة . فكان اول ما نزعته به حكومة السوفيت هو انها حصرت قواتها الاقتصادية في ايدي العمال . والمراد بتلك القوات البنوك والصناعة والتجارة الخارجية والمصائد ووسائل النقل وزكت للأفراد التجارة الصغيرة لتتضاءل امام تيار التجارة القومية العظيم . فتمكنت بذلك من صون جمعيات الزراعة والتجارة ، وحفظت مكانتها في الخافقين

ولما كان غرض الماليين قهر الاشتراكية باستخدام الذرائع المالية وجدت حكومة السوفيات نفسها مضطرة للقيام لصدد ذلك التيار الجارف . فأبت اعطاء امتيازات ، لاية شركة اجنبية في اصقاع روسيا . جاء في تقارير السر روبرت هورن الوزير الانكليزي سنة ١٩٢٤ : ان افضل الذرائع لسحق البلشفية هي اختراق بلادها بالانظمة الاقتصادية . وجاء في مذكرات سفير انكلترا في برلين بتاريخ مايو سنة ١٩٢٢ : روسيا في حال الدمار التام . ولا يمكن انشاء تجارة رابحة فيها الا بعد مرور سنين واشار مستر بلدون بشغل اسواق روسيا بالتجار الالمان علّ المانيا تتمكن بذلك من وفاء ما عليها من اقساط الحرب . وظلت الآمال معلقة بسقوط روسيا اقتصادياً ، وخضوعها لشوكة الرأسماليين ، الى سنة ١٩٢٤ . جاء في الاوبزرفر بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٤

لا يمكن استمرار النظام الحالي في روسيا زمناً طويلاً . ومهما يكن من امر الاسم السوفياتي فلا بد من تحويله رأسمالياً في خلال بضعة سنوات . على ان هذي الآمال قد خابت كما اثبتت ذلك مجلة ايكونومست ، قالت : بعد مضي تسع سنوات لا يزال النظام السوفياتي في روسيا غير ممسوس

لم يبدُ أي دليل على ضعف التجارة القومية في روسيا. وقد تضاءلت التجارة الفردية امامها. فكان عدد العمال في ورش الحكومة سنة ١٩٢٦ نحو ٢٧٠٠٠٠٠٠ عامل بازاء ٣٦٠٠٠٠ عامل في ورش الافراد. وكانت وسائل النقل جميعها — خطوط المواصلات من شركات بحرية وقطارات حديدية وطائرات — في يد الحكومة

بدأ مشروع الاعوام الخمسة سنة ١٩٢٨. وانتهى سنة ١٩٣٢ بغوز باهر. فاستفز فوز الشيوعية هذا ام الرأسماليين في كل الدنيا. لانهم رأوا ان روسيا قد بلغت ذروة الصناعة. قال ستالين سنة ١٩٣٣: ان منتجات روسيا بلغت ثلاثة اضعاف ما كانت عليه قبل الحرب، وضعفي ما كانت عليه سنة ١٩٢٨. مع ان منتجات انكلترا بلغت في الوقت الحاضر ٧٥٪ ما كانت عليه قبل الحرب (سنة ١٩١٣) و٨٠٪ ما كانت عليه سنة ١٩٢٨ ومثلها تقريباً ألمانيا والولايات المتحدة الامريكية. وقد أنشئت مصانع كبيرة في مكنسو جورسك في اورال ومحطة للكهربائية في دنيس ستروي. ومعامل للعبوات في ليننجراد وخاركوف. ومعامل للسيارات في غوري. ومعامل للكيمياء في مويرسك ابرسينكي. فزاد عدد المعامل عشرة اضعاف ما كانت عليه سنة ١٩١٣. وبلغت معامل الاشتراكيين وحدها ٩٩٪ من مجموع المعامل في روسيا. كذلك الانشاءات الزراعية. فقد انشئت ٥٠٠٠ مزرعة، و ٢٠٠٠٠٠٠ حقل. وزادت الاطيان الزراعية على ٢١ مليون هكتار. وارتفعت اطيان الاشتراكيين من ٣ — سنة ١٩٢٨ الى ٧٥ — سنة ١٩٣٢ وارتفع دخلها من ٤٤ الى ٩٣ وزادت الاجور ٦٧٪. وبلغت الاموال في شركات التأمين ثلاثة اضعاف ما كانت

وفي الوقت نفسه يزعم خصوم روسيا ان العمال مستخرون وان الحكومة عاجزة! اما عن التقدم في المعارف فحدث ولا حرج. فقد بلغ التلامذة في المدارس البدائية ٢١٠٠٠٠٠ من الجنسين وارتفعت منتجات الصحافة من ٣ الى ٣٦. ومراكز الاسعاف الطبية من ٨٥٨ سنة ١٩٢٨ الى ٥٤٣٠ سنة ١٩٣٣، وارتفع عدد اطبائها من ١٩٠٠٠ الى ٧٦٠٠٠ واليك جدول الاتاح في الممالك العظمى في سنة ١٩٢٨ وسنة ١٩٣٣

سنة ١٩٢٨	الدول	سنة ١٩٣٣
٧٠	فرنسا	٧٠
٢٤	اليابان	٤٧
١١٦	ألمانيا	١١٢
٩٣	الممالك الانكليزية	١٤٩
٨٤	الولايات المتحدة	٣٤٥
٧٤	روسيا	٣٤٥

فأين زعم من يزعم شح الموارد في روسيا ، وانتشار الفاقة والمجاعات وتخيم شبح الموت ؟ فأنت
رى أنها على ضد ما يزعمون

أمام هذا البيان الواضح تغيرت لهجة الرأسماليين . وزالت من عالم الوجود الآمال التي
عقدوها بقاء روسيا . وحلّت محلها دعاية أخرى ترمي الى اثاره ام الارض ، على « الخطر
الروسي » وليس هنالك من خطر ، ليس الا فتح العيون واثارة الازهان . فان روسيا غير
طامعة في احد ، وليس لها مطامع استعمارية ^(١) ، فهي مسالمة نزيهة انسانية . جاء في التيمس
الانكليزية بتاريخ سنة ١٩٣١ من مقالة افتتاحية بقلم رئيس تحريرها يقول : اذا اراد العالم
التخلص من الشيوعية فعليه بمقاطعة روسيا مقاطعة تامة . لانها متى تمت انشاءاتها الصناعية ،
ووراءها مائة وخمسون مليون نفس ، فينذاك يستعمر منتجاتها اسواق الدنيا : لينأمل القارىء ما هو
سبب تخوفهم منها . وقد أقر مستر بلدون سنة ١٩٣١ ان الصناعة الروسية « خطر على العالم الصناعي »
هذا هو كلام خصوم روسيا . فأين الهلاك والموت والزؤام الذي كان يهددها قبل
بضعة اعوام . فترى انه ليس عجز روسيا هو الذي أثقل كاهل الرأسماليين ، بل جدارها ومقدرتها
ومزاحمتها الرأسماليين مزاحمة شديدة هي التي تقض مضاجعهم ووفرة منتجاتها لاقتها هي
التي نفتت في عضدهم لذلك أجمعوا على ابادتها ليصفو لهم الجو في التحكم بأمر الارض فقد ملأوا
المشارك والمغارب صباحاً بأن الأمة التي توحد اقتصادياتها أمة عقيمة عاجزة لا تصلح للبقاء .
وواقع الحال انها أصلح للبقاء . والأفلام اذا يخشونها وهي لا تخشاهم وبحاربونها وهي لا تحاربهم ؟
هوذا الدول الصغرى حولها ، لم تطمع بأحد منها ، بل صانها وعقدت معها عهود عدم الاعتداء ^(٢)
وقالوا ان التسخير ، وعدم دفع الاجور وزيادة ساعات العمل اليومية ، هو السر في رخص
البضائع الروسية ، فالظاهر ان المالبين لم يريدوا ان يميزوا بين استعباد طبقة من الامة قليلة
العدد لطوائف العمال جمعاء ، وبين تدريب الامة عموماً ، دون ما طبقات ، لتعمل في ما هو
ملكها الخاص . فالعامل الروسي يعمل في بيته ورزقه ، يعمل ليزيد الثروة القومية التي هو مساهم
فيها ، لا ليقوّي عضد ارباب المطاعم والجشع الذين يستأثرون بالاموال والعقار . وهب ان
روسيا بنت مسعاها على استعباد العامل فما هي النتيجة ؟ . لقد برهنت تواريخ كل الاجيال على
ان التسخير شر الامور على شؤون الامم الاقتصادية . فليس الحافز للمالبين على القيام على روسيا رآقهم
بعالمها ، بل نقمتهم على الذين يحولون دواب تمكين مخالهم من خناتها . فأساس الدعاية
ضدها هو حسن ادارتها لا سوء ادارتها ، ونجاح مساعيها الاقتصادية لا حيويتها

(١) المقتطف : أليست الدعاية للثورة العالمية أشد خطراً من المطامع الاستعمارية أو منها على الأقل ؟

(٢) المقتطف : ان عهود عدم الاعتداء لا تنفي ان الثورة العالمية ركن خطة الدولي اننا

بناءً على ذلك هبّ أولئك السادة ، يحملون على الشيوعية حملة شعواء . يسيئون سمعتها ويسلقونها بالسنة حداد ، وهم يحرقون الأرم على الذين حالوا دون افتراسهم الحملان . وقد وقع أولئك الغطارسة بين شقي المقص . فاما ان يرجوا عن مزاعمهم ان الشيوعية في حال الافلاس . ولما ان يعدلوا عن التظلم من مزاعمها إياهم في أسواق الدنيا . على ان وراء التقيض ما هو أعمق من ذلك وهو دعر الرأسماليين من سقوطهم امام الشيوعية لان اساسها اصح علمياً ، وأثبت نفعاً . وبلا مأس كان النطاق الصحي مضروباً على الشيوعية خوفاً من افسادها الاخلاق ! واليوم ضرب حولها نطاق الحصر الصناعي يكتنفها . والخلاصة ان المبدأ الرأسمالي أخذ يطأطأ الرأس امام المبدأ الشيوعي . وهو يحاول دفعه بما اوتي من حيلة . بلا مأس كان المليون ينادون بجوع الامة الروسية و فقرها ودنوها من الفناء . واليوم الازمة المالية ضاربة في البلاد الرأسمالية في اوربا واميركا . اما الروسيون فلا خوف عليهم فليس فيهم جائع واحد . ولا عامل ليس له عمل ولا ارملة او مطلقة تبيح عرضها لتعيش

جاء في تقرير مدير بنك انكلترا السنوي سنة ١٩٣١ ما نصه : —

اذا لم يقم هناك من تدبير في عالم المالية فليس امام انكلترا الا الانحدار تدريجاً الى دركات الفقر والهلاك . وليس انكلترا وحدها بل اوربا بأسرها متحدرة في ذلك المنحدر . بسبب مزاحمة روسيا وزيادة منتجاتها يدل على ذلك ملايين العمال بدون عمل في فرنسا والمانيا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية . هنا سر المسألة ويان فلسفتها . هذي هي السنة الرابعة من السنين الخمس الثانية ، وهي تبشر بالحياة السعيدة والفوز التام ، فليس ثمة مجال لاتهام الشيوعية بالمجاعة والفناء والاضمحلال ﴿ حاشية ﴾ : يقول مقتبس هذي الاقوال ، اذا كانت الاقوال الآتية كاذبة ، وكانت دعوى خصوم البلشفية صادقة في انها على شفا جرف هار فلماذا يتحد الانمان واليابان ضدها . فان الاقوياء لا يتحدون على الضعيف بل اتحاد الجميع على فرد اعترافاً منهم بقوته . ثم لو صح قولهم سنة ١٩١٩ ان روسيا على شفا الهلاك فلماذا لم تهلك الى اليوم بعد ١٨ سنة ؟ ولو انها شريرة فلماذا لم تغز جيرانها الضعفاء بل عاهدتهم معاهدة المسالمة والحب ؟ ولماذا قبلتها كل الدول في عصبة الامم ؟ واذا كانت ضعيفة فلماذا يخشونها ؟ ^(١)

والمعلوم عندنا ان روسيا اليوم من اقوى دول العالم . والعلم فيها يبلغ الذروة العليا ، وكذا الادب والفلسفة ، وهذي المزاي لا تكون في امة تتصور جوعاً وقد اشرفت على الهلاك ، وهني قلت هذا الصبح ليل الخ خزان جبل الاولياء حنا خباز

(١) المقتطف : ثمة فرق بين نجاحها الاقتصادي والصناعي وهذا لا ريب فيه وبين دعايتها الثورية الدولية وهو ما يتصدون له . فاذا لم تغز جيرانها بالسيف فاتها تسعى الى غزوتهم بالسنة الدخاء . وبواعث قبولها في عصبة الامم سياسية ولها حديث طويل

قوى الدفاع الأوربية

اقسامها وقواتها وطرق تنظيمها

— ٣ —

الريخ

فاذا انتقلنا الى الكلام عن الجيش الألماني وجدنا قصته طويلة يمكن ان نبدأ بها في ١٥ مارس من سنة ١٩٣٥ لما صرح المسيو فلندان رئيس الوزارة الفرنسية في ذلك الحين في مجلسي النواب والشيوخ الفرنسي قائلا :

« ان الحكومة قررت ان يخدم المجندون سنتين بدلاً من سنة واحدة وأن يستمر ذلك أربع سنوات » وقد علل الوزير الفرنسي هذا القرار بموازنة رقمية بين قوة فرنسا وقوة ألمانيا العسكرية فقال « ان قوة فرنسا في سنتي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ تكون ٣٧٢ر٢٠٨ في حين ان قوة ألمانيا فيهما تكون ٤٨٠ و ٦٠٠ »

وكان المارشال بتان وهو أكبر الخبراء العسكريين في فرنسا اليوم أول من نبه الى هذا الامر في مقالة كتبها في « مجلة العالمين » قال فيها ان الوسيلة الوحيدة لدفع الخطر الذي يهدد فرنسا من ناحية التجنيد هي جعل مدة الخدمة العسكرية سنتين بدلاً من سنة واحدة

بعد صدور القرار الفرنسي كان الرد الطبيعي لحكومة الريخ ان قررت من ناحيتها إعادة الخدمة العسكرية الانزامية وزيادة قوات الريخ الحربية الى نصف مليون جندي . ومعنى هذا القرار رفض ألمانيا رفضاً رسمياً للبقية الباقية من المواد الحربية في معاهدة فرساي وهي التي نصت على ان لا يتجاوز عدد الجيش الألماني المائة الف . وكان الهر هتلر قبل اعلان الخدمة الانزامية قد اجتمع بسفراء فرنسا وبريطانيا وبولندا وأطلعهم على عزمه وتضمن القرار الخطير الذي أذيع على الأمة الألمانية يوم ١٦ مارس ١٩٣٥ بخصوص العودة الى نظام الخدمة الانزامية كلمة تمهيدية عن البطولة العظيمة التي أبداها الشعب الألماني خلال أربع سنوات ونصف سنة وهي المدة التي استغرقتها الحرب الكبرى وكيف ان ألمانيا ألقت سلاحها في نوفمبر من سنة ١٩١٨ ثقة منها بتأكيدات الرئيس ولسون وقد قابل الشعب الألماني قرار حكومته بأشد مظاهر الحماسة والابتهاج

وأطلق على القانون الجديد اسم « قانون تنظيم الدفاع » واشتمل على ثلاث مواد . فلما دة الأولى نصت على ان الخدمة في قوى الدفاع تكون على أساس الخدمة العسكرية العامة وجاء في

المادة الثانية ان الجيش في وقت السلم بما في ذلك قوى البوليس التي ستضم الى الجيش يتألف من ١٢ فيلقاً مكوناً من ٣٦ فرقة . وتقول المادة الثالثة ان وزير الحربية سيقدم فيما بعد الى مجلس الوزراء القوانين التكميلية التي تنظم الخدمة العسكرية العامة ويتكوّن الجيش الالماني بعد تقرير إطالة مدّة الخدمة العسكرية من ٥٥٠.٠٠٠ جندي وفي استطاعة المانيا زيادة هذا العدد في حالة الحرب الى ستة ملايين محارب بسهولة . ولولا إسراع المصانع الالمانية خلال العام الأخير لكان الجيش الالماني تعوزه الاسلحة الحديثة ولكن توجيه العناية التامة الى هذه الناحية مكنت المانيا من سدّ هذا النقص وسوف لا تنقضي مدة طويلة حتى ينتهي برنامج التسلح الالماني وزادت قوة الجيش الالماني العام فيلقين جديدين في ٦ أكتوبر ١٩٣٦ وهما الفيلق الحادي عشر في هانوفر والثاني عشر في كوبلنز . وعلى ذلك تحقق تكوين الاثني عشر فيلقاً التي نص عليها قانون تنظيم الدفاع السابق ذكره وينقسم كل فيلق من هذه الفيالق الى ثلاث فرق فيكون الجيش الالماني مكوناً من ٣٦ فرقة . وتتوزع الفيالق العشرة الاصلية على النحو الآتي :

كوننجزبرج — ستين — برلين — درسدن — ستوتجارت — مونستر في ويستفاليا — ميونيخ — برسلو — كاسيل — هامبورج

وقبل ان تفصل تكوين الجيش الالماني نقول ان الجمهورية الالمانية بعد ان سلخت منها عدة مقاطعات بعد الحرب ضمت الى الدمارك وبلجيكا وفرنسا وبولندة وبعض دويلات البلطيق وتشكوسلوفاكيا تقدر مساحتها بـ ٤٨٠.٠٠٠ كيلومتر مربع ويبلغ عدد سكانها نحو ٦٦.٠٠٠.٠٠٠ نسمة وتتصل حدودها بعدة دول اكثرها ليست دولاً صديقة وهذه الدول تشمل على فرنسا ولوكسمبرج وبلجيكا وهولندة والدمارك وبولندة ومدينة دنزيج الحرّة وليتوانيا (مبمل) وتشكوسلوفاكيا والنمسا وسويسرة

وتعتمد الدولة الالمانية على الجيش في تحقيق كل آمالها التي تعجز السياسة عنها ولذلك نرى أن كل مرافق الدولة متصلة اتصالاً وثيقاً بأعمال الجيش والطيران والبحرية والجيش الالماني الحديث ما زال شعاره Über alles اي «فوق الجميع» وهو عنوان المجد القديم ومحط آمال المستقبل قلنا ان الخدمة العسكرية في المانيا اجبارية لكل الماني والمانيّة من اصل اّرى ولغير الآرين قوانين اخرى خاصة بتجنيدهم وتبدأ الخدمة العسكرية من سن الثامنة عشرة الى الرابعة والخمسين لجميع الذين ادوا الخدمة في فرق العمل الاجبارية وهي بمثابة مراكز للاعداد العسكري للشباب الالماني حيث يتدربون على الأعمال والتمرينات الحربية في معسكرات يسع الواحد منها مائة وثمانين جندياً تقريباً وكل ثمانية معسكرات تؤلف مجموعة وكل ثمانية مجموعات تكون (Gau) وهناك في المانيا ما لا يقل عن اربعين من هذه التشكيلات التي يبلغ عدد افرادها اليوم

٤٥٠.٠٠٠ على الأقل . كما ان فرق الهجوم وفرق الوقاية تمد الجيش الالمانى باحتياطي عظيم كاحتياطي القوات المنظمة نفسها تماماً . وفرق الهجوم هذه مقسمة الى ثلاثة أقسام بقيادة المهرتل ومساعدة رئيس هيئة اركان حربيه

افراد الفرق العاملة وتتفاوت اعمارهم من ١٨ — ٢٥

الاحتياطي الاول وتتفاوت اعمار افرادهم من ٢٥ — ٤٥

اللاندرستورم لمن يزيد على الخامسة والأربعين

وتبلغ قوات الفرق المذكورة ٦٢٧ اورطة

اما فرق الوقاية فمؤلفة من ٢٠٠.٠٠٠ شاب موزعين على عشرة فرق اي ٨٥ اورطة

واذا انتقلنا الى قوات الطيران الالمانية وجدنا مرتبتها الثالثة بين الدول الاوربية وان كانت لم تبدأ في تكوينها الحربى الا بعد الانقلاب النازي منذ اربع سنوات ويكاد يكون من اسرار الدولة ان تبقى الكفاءة الجوية الحديثة في حكومة الريخ مكتومة وان كانت جمعيات الطيران التي تقوم بتعليم الشبان منتشرة في جميع انحاء البلاد ولا يقل عدد الطيارين الذين يمكن الانتفاع بهم وقت الحرب عن خمسين الف فضلاً عن مدارس الطيران في برنسويك وشلايس هيم ودارتموند وستتن وكوبنس — الخ التي تخرج عدداً وافراً من الطيارين كل عام ينتظم كثيرون منهم في الشركات الجوية في اوربا والقارات الأخرى

وفي ألمانيا جمعية للدفاع ضد الغازات الجوية يبلغ عدد أفرادها ستة ملايين عضو واسمها (Deutsche Luftschutzbund) ويبلغ عدد موظفيها ٢٨٠.٠٠٠ وعدد متطوعيها ١.٠٠.٠٠٠ وهناك ما لا يقل عن ٢٠.٢٠٠ مدرسة للدفاع الجوي فيها ١٠.٣٠٠ معلم وقد شيدت هذه الجمعية ٢١.٥٠٠ ملجأ للوقاية من الغازات . وقد توقعت الجريدة التي نقلنا عنها هذه النبذة ان يبلغ عدد الافراد الذين يتقنون التعليم الفني في هذه المدارس مليونين قريباً

ويبلغ عدد المطارات في انحاء البلاد الالمانية مائتين على الأقل فيما عدا القواعد البحرية المعدة لنزول الطائرات البحرية . اما عدد الطائرات التي تمتلكها الدولة فلا يقل عن ثلاثة آلاف طائرة مختلفة الاطرزة والاغراض موزعة بين الاقسام الستة الجوية في الدولة في كونيغزبرج وبرلين ودرسدن ومونستر وميونخ وكيل

إيطاليا

وهذه إيطاليا حيث بلغ التطور الحربى شأواً كبيراً صارت اليوم نموذجاً للأمم المسلحة (Nation in Arms) . فالسائح القادم الى إيطاليا اليوم بطرق الشمال تعروه الدهشة من الجو العسكري الذي يسود إيطاليا الآن . فالشبان الاشداء بين سن الثانية والعشرين والخامسة

والعشرين اما مجندون في الخدمة العاملة وإما انهم دعوا الى حمل السلاح والانضمام الى آياتهم والواقع ان هؤلاء الشباب تراهم بالملابس العسكرية العادية او القمصان السود او سراويل الميدان الرمادية او ملابس الكتان ذاهيين او عائدين الى معسكرات التمرين او الشكنات او ميدان المناورات

ونظراً الى الحاجة المتواصلة الى معدات القتال في جميع الاسلحة تقرر الحكومة الايطالية من وقت لآخر زيادة ساعات العمل في مصانع الاسلحة والذخيرة الى متوسط تسعين ساعة في الاسبوع. وقد صرح السنيور موسوليني في احدى جلسات مجلس الوزراء منذ شهرين بأن القوميسيرية العامة للمصانع الحربية تراقب ١٢٠٠ مصنع حربي وان تسلح الجيش الايطالي لا يزال سائراً بانتظام وسيبلغ تمامه في المدة المحددة له. اما فيما يخص بالطيران فقد صودق على مبلغ ١٥ مليوناً من الجنيهات خصصت لانشاء حظائر حربية ومدفعية جديدة في وادي نهر بو وعلى طول سواحل البحر الادرياتيكي وتيرانا وفي سردينية وصقلية

وقد كان أهم قانون صدر في عهد حكم الفاشست « قانون إعداد الامة العسكري » الذي اريد به جعل الشعب الايطالي عن بكرة أبيه شعباً عسكرياً. وأهم مواد هذا القانون :

١ — الرعوية الايطالية والجندية صفتان متلازمتان في ظل النظام الفاشستي

٢ — التدريب العسكري جزء من برنامج التعليم القومي ويبدأ بمجرد بلوغ الطفل سن الادراك ويستمر بحيث يكون الايطالي على استعداد دائم لحمل السلاح والدفاع عن وطنه

٣ — هذا التدريب العسكري ينقسم الى ثلاثة أقسام :

فالطور الاول التدريب العسكري التمهيدي والغرض منه إعداد الايطاليين روحياً وجسدياً وعسكرياً أثناء المدة السابقة لتجنيدهم في الجيش. والطور الثاني تلقين الايطاليين الفنون العسكرية واستكمال التدريب التمهيدي. والطور الثالث تدريب الايطاليين بعد قضاء مدة الخدمة العامة ليكون احتياطي الدولة على أتم استعداد عند اعلان الحرب. وهذا التدريب اجباري لمدة عشرة أعوام بعد التسريح من الجيش العامل وايطاليا يبلغ عدد سكانها اليوم ٤٣.٠٠٩.٠٠٠ نفس ومساحتها ٣١٠.٠٠٠ كيلو متر مربع واصبحت لها اليوم امبراطورية واسعة الأرجاء مدها بآلاف المجندين الاقوياء

والجيش الايطالي من قوات الدفاع الاوربية الاولى ويبلغ عدده اليوم ٥٢٨.٠٠٠ جندي على الأقل ويصل هذا العدد في وقت الحرب الى أربعة ملايين بكل سهولة ويشرف على أعمال الجيش الايطالي مجلس الجيش وهو هيئة استشارية لوزير الحربية في كل ما يخص بأعمال الدفاع وهذا المجلس مؤلف من وزير الحربية ورئيس هيئة اركان الحرب وجميع قواد

الجيش العاملين وقواد الحيوش وثلاثة من قواد الفيالق او الفرق ينتخبون كل سنة بقرار وزاري وتجدد مدة انتخابهم عند انتهائها

وهناك هيئات ولجان ومجالس يقوم بعضها بتنظيم اعداد الامة اعداداً عسكرياً وبعضها لتنظيم الانتفاع بمرافق الدولة الاقتصادية كاجنحة الدفاع المدنية التابعة لوزارة الزراعة والغابات . والجيش الايطالي مقسم الى ١٣ فيلقاً موزعة في تورين واسكندرية وميلان وفيرونه وتريست وبولونيا وفلورنسة ورومه وباري ونابولي وأودين وجيزرتي صقلية وسردينية

وأهم الاسلحة التي يشتمل عليها الجيش الايطالي هي المشاة (١١٤ آلياً) والخيالة (١٢ آلياً) والمدفعية (٦٥ آلياً) والمهندسين (١٧ آلياً) وسلاح الدبابات وأهم الخدمات الاخرى والمصالح العسكرية هي سلاح الكيمياء الحربي والقسم الطبي وادارة المهمات والثكنات ومصاحبة الادارة العسكرية والقسم البيطري وخدمة النقل الميكانيكية وقسم الطبوغرافيا والجغرافيا ومصاحبة الحاكم العسكرية والمصانع العسكرية للاسلحة والذخيرة وأهم مؤسساته في « تريي » ورومه وكابوا وغيرها

والقوات غير العسكرية التي يتكون منها قوات تمد الجيش عند الحاجة هي قوات البوليس وعددها تقريباً ١٥٠٠٠٠ و فرق الكارينزي الملكية وعددها ٥٠٠٠٠ و الميليشيا الوطنية وهي منضمة كوحدات الجيش تماماً

ومن المعاهد العسكرية في ايطاليا نذكر :

كيتان حريتان — أكاديمية للمشاة والخيالة — أكاديمية للمدفعية والمهندسين — مدرسة تدريب المشاة — مدرسة تدريب الخيالة — مدرسة تدريب المهندسين والمدفعية — سبع مدارس لضباط الاحتياط — ثلاث مدارس لضباط صف الاحتياط — اربع مدارس مركزية للاسلحة — كلية اركان الحرب — مدرسة المدفعية — مدرسة الطب العسكري وغير ذلك من المدارس الفنية كالاسلحكي والكيمياء والميكانيكا

وقوة ايطاليا الجوية لا يستهان بها والطيارون الايطاليون مشهورون بشجاعتهم وتدريبهم ويعتمد على السلاح الجوي لتحقيق اكثر العمليات الحربية وهو من اكثر القوات الجوية انتظاماً في العالم وضباط الطيران ينقسمون الى ثلاثة اقسام : ضباط الملاحة الجوية وضباط الخدمة وضباط الاخضاء وقد بلغ عدد الفريق الاول خلال العام ١٩٣٥ — ١٣٨٨ والفريق الثاني — ٤٠١ والفريق الثالث ١١١ وهناك ايضاً فيلق جوي للمهندسين عدد ضباطه مائتان ضابط

ولا يقل عدد الطائرات الايطالية عن ٢٥٠٠ طائرة قوتها مليون ونصف مليون حصان وعدد رجالها ٣٠٠٠٠ رجل تقريباً (كولونيل)

بَابُ الْإِخْبَارِ بِالْعِلْمِ الْعَلِيِّ

العلم في العام الماضي

مختارات من أجل آثار العلماء في سنة ١٩٣٦

العلم والاصطفاع

اشتد في العام الماضي اتجاه العلماء الى البحث في تأثير العلم من ناحيته الاجتماعية وكان هذا الاتجاه قد ظهر على أثر الازمة الاقتصادية التي اتت العالم في العهد الاخير ثم بلغ ذروته في اجتماع جمع تقدم العلوم البريطاني الذي عقد في مدينة بلاكبول بانكلترا في الاسبوع الثاني من شهر سبتمبر الماضي . وقد نقلنا للقراء في حينه ما يخصاً من خطبة الرئيس السر يوشيا ستامب وقد دارت من أولها الى آخرها على هذا الموضوع الخطير ومن اقواله فيها : « أن العالم قلما يعنى بنتائج كشفه واستنباطه مع ان ثمارهما من أقوى العوامل على احداث التحول الاجتماعي . واذا عني بها فعنايته تحصر في الغالب في تعديد الفوائد التي تقدمها مكششفاته ومخترعاته على الناس . ولا تعداها الى تبين ما تحدهه من الهزات الاجتماعية يسيرة كانت او قوية . فكان المنطقة التي تحصل فيها الهزات وكيفية اتقانها كانت منطقة حراماً على الباحثين . فالعالم كان

يحسبها خارجة عن نطاقه الخاص . والاقتصادي قلما اعترف بأن الواجب عليه يقضي بدراسة هذه الناحية من موضوعه . والحكومات كانت تقف بمعزل عما هو حادث من هذا القبيل الى ان تستفحل النتائج . فترية العالم كانت لا تشمل على تبصيره بنتائج عمله من الناحية الاجتماعية . وترية السياسي والاداري كان يعوزها تدريهما على فهم تقدم العلم وما يقتضيه من ملاءمة للكيان الاجتماعي له . فلما وقع الاصطدام أنكر كل من يهمة الامر ان الامر من شأنه »

هبة علمية كبيرة

ومن الحوادث العظيمة الشأن في تاريخ البحث العلمي الهبة السخية التي جاد بها لورد نفيلد صاحب معامل سيارات موريس على جامعة اكسفردي لتشجيع البحث في الطب السريري والهبة بلغت مليونين من الجنيهات او أقل قليلاً . وقد تلقت الجمعية الملكية في لندن هبات كبيرة كذلك لتشجيع البحث العلمي ومن مشروعاتها البحث بحثاً وافياً في علاقة الملاريا بالتغذية في الهند

بلورات الفيروسس

ومن المكتشفات الاساسية في علوم الاحياء ما اثبتته بعض الباحثين من أن عوامل المرض الخفية المعروفة باسم فيروس يمكن الحصول عليها في شكل بلورات . والفيروس الخاص الذي أفضى بهم الى هذا الاكتشاف هو الفيروس الذي يسبب في ورق التنغ (الدخان) داء التبغ . وعليه فقد يحسب الفيروس في مرتبة متوسطة بين المادة الحية والمادة الجامدة

مائة مليون مجرّة

وقد حسب الدكتور هبل احد علماء مرصد جبل ولسن باميركا ان في الكون مائة مليون مجرّة في نطاق قطره ٥٠٠ مليون سنة ضوئية . والسنة الضوئية هي المسافة التي يجتازها الضوء في سنة سائراً بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية . وينتظر ان يتسع هذا النطاق ويزيد عدد المجرات متى تم صنع التلسكوب الكبير الجديد ونصبه

الفيتامين الجربير

ومما أسفر عنه العام الماضي في ميدان الكيمياء الحيوية اكتشاف فيتامين جديد رسم بحرف P الفرنجي ودعي سترين وهو يؤثر في مقدرة جدران الاوعية الشعرية على منع الدم من تخللها وهو لذلك يؤثر في النزف ويفيد في منعه وكذلك في مرض تبقع الجلد الناشئ

ومما يتصل بالبحث العالمي وعلاقته بالمجتمع عناية العلماء بموضوع التغذية وتعيين لجنة له ونشر كتب فيه لاعلام مثل السرجون اور والدكتور ما كونيكل والاستاذ جوليان هكسلي

تطبيق العلم الطبيعي

ولعلّ أظهر مظهر لتطبيق العلم الطبيعي في السنة الماضية اتساع نطاق التلفزة حتى اصبح في طاقة من يملك جهازاً لا قطعاً ان يلتقط نماذع من محطة مركزية اذاعة منتظمة . والغالب في تاريخ المحترعات التي من هذا القبيل انها عندما تبلغ مرتبة الاستغلال التجاري يطرد فيها التقدم بسرعة عظيمة على نحو ما تم في الاذاعة اللاسلكية من سنة ١٩٢٢ الى الآن

زرع النباتات في الماء

ومن هذا القبيل تقدم الاسلوب الجديد في زرع النباتات في الماء . فقد تمكن الاستاذ جريك احد علماء كاليفورنيا من زرع نباتات في ماء لم يضاف اليه الا المركبات غير العضوية التي يتركب منها جسم النبات فما النبات وأوراق وأثمر . وقد كان النمو في هذه التجارب سريعاً والحصول كثيراً ولا سيما في ما يخص الطماطم . وقد ابتكر الالمان طريقة مماثلة لهذه الطريقة تمكنوا بواسطتها من بذر بذور علف الماشية والحصول على العلف نفسه منها في عشرة ايام . ولا ريب أن هذه الابتكارات قد تسفر عن انقلاب عظيم الشأن في الزراعة

ولو أن شمسنا تصرفت على هذا النحو لكفى انفجار واحد فيها ان يحرق الحياة على وجه الارض . وقد لوحظ أن النجم الجديد المعروف باسم « نوكلاستري » وبعده ٢٦٠٠ سنة ضوئية حصل فيه اربعة انفجارات من هذا القبيل

سديم أحمر

السدم لطخ سحابة من المادة الكونية داخل المجرة وخارجها . والسدم اللولبية او الحلزونية هي خارج المجرة وترى سدماً بعدها مع أن فيها قدرأ كبيراً من النجوم وقد تم في السنة الماضية اكتشاف أول سديم أحمر اللون في مرصد مكدونالد بجامعة تكساس الاميركية « طيب » ! وما قيمة اكتشاف سديم أحمر ؟

للعلماء نظرية في اشراق السدم وهي أنها تشرق بانعكاس الضوء الذي يشعه ما فيها من النجوم . والنجوم باعتبار حرارتها طائفتان عامتان طائفة حمراء وطائفة زرقاء . فالأولى باردة بالقياس الى حرارة النجوم والثانية شديدة الحرارة

فاذا كانت السدم تضيء بالنور المنعكس من النجوم وجب أن تكون هناك سدم زرق وسدم حر . وقد اكتشف العلماء سدماً زرقاً ولكنهم لم يعثروا قبل السنة الماضية على سدم حر فالعشور على سديم احمر يؤيد النظرية المتقدمة . ومن هنا قيمته العلمية

عن ضعف جدران الاوعية الشعرية في مناطق معينة من الجسم تحت الجلد وهناك اكتشاف آخر ذو شأن كبير وهو ان الحقن المتوالي بالانوار اي الهرمونات (مفرزات الغدد الصم) ينشئ اجساماً مضادة لها تقاوم فعلها

النجوم المنفجرة

ان الذين يرصدون السماء يرون احياناً وعلى حين فجأة نجماً مشرقاً حيث تعودوا أن يروا نجماً خفياً . وبذلك يزعم بعض العلماء أنه يمكننا أن نفسير النجم المتألق الذي ظهر فجأة في السماء ليلة ميلاد السيد المسيح وقد أطلق علماء الفلك على هذا الضرب من النجوم اسم النجوم الجديدة (نوفي) والواقع ان هذه النجوم ليست جديدة وانما هي نجوم قديمة انفجرت فاشتد اشراقها

وقد كانت سنة ١٩٣٦ من السنين التي امتازت بكثرة النجوم الجديدة فيها . فقد ظهر ما لا يقل عن خمسة نجوم جديدة من الطبقة الاولى احدها اكتشفه باحث في مرصد جبل ولسن في كوكبة العذراء وقيل أنه بعيد جداً عن النظام الشمسي حتى ليستغرق نوره سبعة ملايين سنة في الوصول الينا مع ان سرعته تبلغ ١٨٦ الف ميل في الثانية

وجميع هذه النجوم حدثت فيها انفجارات كبيرة فأطلقت مقادير عظيمة من الغاز بسرعه ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ كيلو متر في الثانية .

أبرد النجوم

تختلف درجة الحرارة على سطوح النجوم من ٣٠٠٠ درجة بميزان سنغراد الى ٣٥ ألفاً وأعلىها ٥٠ ألف درجة. ولكن الدكتور هنز لمدير مرصد ركنز بأمر كا اكتشف نجوماً لا تزيد حرارتها على ألف درجة بميزان سنغراد. وقد اكتشفها بالتصوير بأشعة الحرارة لا بأشعة الضوء لأن هذه النجوم لا تبلغ من الحرارة درجة تجعلها مضيئة

وعلى ذلك فلا يستبعد ان يكون على مقربة من النظام الشمسي نجوم من هذا القبيل لا يراها بالعين او بالمقرّب لأنها لا تشع الا أشعة حرارة وهي مما لا تراه العين ولكن بحس به بعض الألواح الفوتوغرافية

التغلب على الستربتوكوكسى

الستربتوكوكسى اسم يطلق على طائفة من الميكروبات تشاهد مجتمعة في سلاسل ومن العلل التي تحدثها هذه الميكروبات التهاب الحلق وبنث الحمى وحمى النفاس وغيرها. وقد اكتشف في السنة الماضية ان مادة كيميائية تصنع في احد مصانع الاصباغ بالمانيا تدعى بروتولين تمكن الجسم من مغالبة هذه الميكروبات والتغلب عليها. ويمكن ان يؤخذ البروتولين اقراصاً كما تؤخذ اقراص الاسبيرين

نعم ان اكتشاف هذه المادة واستعمالها لم يأت في السنة الماضية ولكن التسليم العام بنجاحها وفائدتها حدث في السنة الماضية

ومن قبيل البروتولين مادة أخرى تدعى

البروتولين. ويدعى مكتشفهما دومك والرأي العام ان اكتشافهما من اهم مآثر البحث العلمي الحديث في مقاومة الامراض المعدية

توليد الارانب في الالباب

في الاجتماع الذي عقدته الجمعيات الاميركية للبيولوجيا التجريبية في ربيع سنة ١٩٣٦ أذاع الدكتور بنكس احد اساتذة جامعة هارفرد انه لا حاجة به الى ذكور الارانب في توليد الارانب. ذلك ان الدكتور بنكس أخذ بيضة أرنب ووضعها في أنبوب ولقحها بمحلول مالح لا اكثر ولا اقل. فتمت البيضة وتحولت جنيناً كامل التركيب ثم زرع هذا الجنين في أرنب أنثى وبعد اسبوع قتلت هذه الارنب لدراسة الجنين المزروع فيها. وفي تجربة أخرى تمكن الدكتور بنكس من تلقيح البيضة بمجرد تعريضها للحرارة

نقل الاعضاء وزرعها

وتجارب الدكتور بنكس تعيد الى الذهن ماتم على أيدي نفر من العلماء في نقلهم أعضاء كاملة وزرعها في حيوانات أخرى وحفظها حيّة نامية. فالدكتوران ريب وكولنز من أساتذة جامعة بتسبرج نقلوا قلباً حياً من سمندل وزرعاه في آخر. والدكتور شوندا أحد أساتذة مدرسة لويولا الطيية بشيكاغو برنخذ جرد أبيض وزرعها لحماً وعظماً في جرد آخر. والدكتور وليس أحد أطباء مستشفى الفرد بلمبورن باستراليا نقل عظام القوائم الأمامية من جرد وزرعها في دماغ حيوان آخر. والدكتوران افروسي

ويبدل نزعاً عيوناً ومبايض وغيرها من عيون الحشرات وزرعها في حشرات أخرى غير التي نزعنا منها وقد جرى فريق آخر على خطة الدكتور كارل وهي نزع قلب فرخ ووضع في سائل خاص ومراقبة عمله الحيوي . فأخذ الدكتور أوسجود والدكتور سكوتش نخاع العظم ووضعاه في أنبوب من هذا القليل ورأياه في نموه حتى هاجمه التحلل

تحويل المادة

ان عنصر الراديوم يطلق ثلاثة أنواع من الاشعة هي اشعة الفا وبيتا وغاما وعندما يفقد اشعاعه يتحول الى رصاص . وهذا الفعل يستغرق الوفاً من السنين . ومن المراتب التي يمر بها الراديوم في هذا التحول مرتبة يعرف فيها براديوم E ولكن العالم ليثغود احداً ساذة جامعة كاليفورنيا تمكن من صنع راديوم E من عنصر البزموت . ذلك انه اطلق على عنصر البزموت قنابل ومقذوفات هي نوى الايدروجين الثقيل بسرعة ١٢ الف ميل في الثانية وبمعدل ١٠٠ الف قذيفة في الثانية فأصابت بعض هذه المقذوفات نوى ذرات البزموت فحولتها الى ذرات راديوم E . وعندما امتحان هذه الذرات وجد انها كـ راديوم E الطبيعي في جميع خصائصها وبالطريقة نفسها حول لورنس وكورك البلاتين الى ذهب . ولورنس حول الليثيوم الى بريليوم . وبغرام حول الصوديوم الى مغنسيوم

وفيات الاعلم

وقد فقد العلم في خلال السنة الماضية طائفة من اكبر اعلامه في مقدمتهم الاستاذ بافلوف

وهو الفسيولوجي الروسي الذي قضى ما يزيد على ثلاثين سنة يجرب التجارب في ما يعرف الآن بالافعال العكسية المحولة وبجته فيها أساس للمذهب سيكولوجي كبير الشأن يعرف باسم المذهب السلوكي . ومنهم الاستاذ لويد مورغن الانكليزي صاحب الفلسفة العلمية المعروفة باسم « فلسفة البزوغ » ومن اكبر انصارها هو يتهد الانكليزي الاميركي والكسندر الانكليزي والجنرال سمطس . ثم توفي لويس بليريو الفرنسي وهو اول من عبر بحر المانش بطائرة سنة ١٩٠٩ والدكتور كانتى وقد كان في مقدمة العاملين على استعمال الفلم السينمائي في البحث العلمي أما في ميدان الادب العالي فقد مني العالم بوفاة كبلنغ وهوسمن وتشستر تون الانكليز ومكسيم جوركي الروسي وبيراندلو الايطالي

جوائز نوبل

وقد منحت جائزة نوبل الطبية للسرهري ديل الانكليزي والاستاذ لو في السوي جزاء لها على ما قام به من المباحث الطريفة الدقيقة في فهم انتقال الرسائل العصبية في الاعصاب من ناحيتها الكيميائية . ومنحت جائزة نوبل الطبيعية للاستاذين هس واندرسن لما لا ولها من فضل المتقدم في دراسة الاشعة الكونية ولأن دراسة هذه الاشعة أفضت بالثاني الى اكتشاف دقيقة من دقائق المادة الكهربائية الاساسية ونفي الكهرباء الموجب «البوزيترون» . ومنحت جائزة نوبل الكيميائية للاستاذ دني الهولندي الالماني لما قام به من المباحث الاساسية في المحولات

الماء وعدوى الفيلاريا برشيد

اظهرت نتائج الفحص الكيماوي وجود مقادير كبيرة من تحت الترات والنشادر وخزانات المياه على الرغم من انها ليست ذات أثر يذكر في توالد البعوض فانها لو أهملت او تركت مكشوفة لتوالد فيها البعوض. وعلاوة على ذلك فان المياه المستعملة بها والتي تؤخذ من النهر مباشرة ملوثة من المجاري العامة التي تصب في النهر امام رشيد

وعلى ذلك يتبين بجملاء ان الآبار وخزانات المياه في رشيد هي مصدر الخطر وفي الوقت نفسه يمكن الاستغناء عنها. وعليه يوصي الدكتور عبد الخالق بك بالتخاذ اشد ما يلزم من الوسائل لرדם جميع الآبار والخزانات في رشيد ومد انابيب المياه المرشحة الى اكثر المنازل فاذا تم ذلك فليمنظر ان عدوى الفيلاريا تقطع تماماً ومدينة رشيد تتيج فرصة نادرة لمقاومة مرض فظيع باجراء صحي بسيط وهذا الاجراء الصحي نفسه له أثر عظيم جداً في تخفيض الاصابة بالامراض المعدية الاخرى ولا سيما حمى التيفود والدوسنتاريا

بحث الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك استاذ الطفيليات في كلية الطب ومدير معهد الامراض المتوطنة بحثاً علمياً طيباً دقيقاً في موضوع عدوى الفيلاريا برشيد خلص منه الى النتائج التالية :
بما ان عدوى الفيلاريا متوطنة في رشيد ولا أثر لها في القرى والبلدان المجاورة وبما ان آبار المياه المالحة كثيرة في رشيد ولا وجود لها في القرى المجاورة وبما ان بعوضة الكولكس بينز كثيرة جداً في هذه الآبار فالنتيجة المحتملة هي ان مصدر البعوضة الناقلة للفيلاريا في رشيد هو تلك الآبار ذات المياه المالحة التي في المنازل ومن حسن الحظ ان في رشيد الآن مورداً للمياه العذبة المرشحة مما يجعل هذه الآبار لا لزوم لها. والبلدية لها مصلحة ظاهرة في توريد المياه المرشحة الى اكبر عدد ممكن من السكان فضلاً عن أنه يؤدي الى تقدم كبير في حفظ الصحة من الامراض المعدية وفي نفس الوقت يجعل من الممكن تخفيض ثمن المياه المرشحة تخفيضاً يساعداً على الاقبال على استعمالها وقد تبين ان مياه الآبار ملوثة جداً حيث

اكتشاف عنصر هيرير

في الفضاء بين النجوم

كهاربها مفصولة عن نواها
يسند هذا الاكتشاف الى الدكتور ولتر ادمز مدير المرصد ومساعدته الدكتور ثيودور دنهام وقد فازا به اذ كانا يبحثان في الجانب الذي وراء اللون البنفسجي من طيف

جاء من مرصد جبل ولسن في كاليفورنيا أنه تم للعلماء فيه اكتشاف عنصر جديد في الفضاء الذي يكاد يكون فراغاً، وهذا العنصر الجديد هو عنصر التيتانيوم ولكنه في حالة مؤينة أي ان ذراته ليست كاملة كلها ولكن

نجمية كبيرة تعرف باسم (شي ٢ اوريونيس) والكليسيوم فيه . ويظهر من طيف النجمية ويقول علماء مرصد جامعة هارفرد انه اذا تأيد اكتشاف هذا العنصر في الفضاء الذي بين النجوم فانه يكون دليلاً إلى معرفة طبيعة هذا الفضاء أهم مما يستخلص من اكتشاف الصوديوم

أونامونو فيلسوف سلام

توفي الفيلسوف الاسباني اونامونو مدير جامعة سلامنكة وصاحب الكتب العديدة في الفلسفة والادب العالي . كان في بدء حياته فيلسوفاً ينزع الى الصوفية ولكن حالة بلاده السياسية حملته على النزول الى ميدان الاجتماع فأصبح الصوفي اجتماعياً وتحول الفيلسوف سياسياً فني وعزل من منصبه في سبيل الحملات العنيفة التي حملها على الظلم والاستبداد والمفاسد في عهد الملك الفونسو والديكتاتور بريمو ده ريفيرا في ابريل سنة ١٩٢٥ اصدر الكاتب الاسباني بلاسكو إيباز كتابه في الجمهورية الاسبانية المرتقبة فأحدث هزة في دوائر الأدب والسياسة وقد ختمه بالعبارة التالية : انني انظر الى المستقبل بلا وجل لانه سيقول عني : كان في وسعه ان يظل على الهامش ولكنه خاض المعركة على الرغم من اقتناعه بأنه لن يربح شيئاً بل يخسر كثيراً . انضم غير متردد الى ميخويل دي اونامونو وادوارد اورتيجا المجاهدين ببسالة في سبيل الكرامة الاسبانية قبل تحقيقها ومن دون تبصر في هل كان صحبه في الجهاد قليلين او كثيرين ان مجرد ذكر اونامونو في مستند خطير

كهذا يلخص تاريخ نشاطه في سياسة اسبانيا من سنة ١٩٢٤ او قبلها الى حين وفاته كان اونامونو اعواماً طويلة مديراً لجامعة سلامنكة الشهيرة يدرس فيها اللغة اليونانية القديمة وعلم المقابلة بين اصول اللتين اللاتينية والاسبانية ويصدر الى جانب ذلك الكتب والرسائل في شتى الموضوعات الا انه انبرى من عزلته العلمية يعارض ديكتاتورية بريمو ده ريفيرا وترغم حركة سياسية عنيفة ضد ذلك النظام فتعرض لغضب اولي الشأن فأخرج من وطنه الى المنفى فثار الرأي العام على تقيده ووضف حتى على حكومة ديكتاتورية فاخلى سبيله وسمح له بأن يعود الى اسبانيا ولكنه رفض ان يعود اليها فذهب الى فرنسا وظل فيها الى ان اعلنت الجمهورية سنة ١٩٣١ فعاد الى وطنه حيث استقبل بأعظم مظاهر الحفاوة وكان قبيل وفاته قد انضم الى فريق الجبرال فرانكو لما خشي من القوضى الشيوعية في البلاد ثم اعرض عنه لما رآه يدخل الى البلاد طوائف من الاجانب لتمكينه من النصر وقد ادركته الوفاة والحيرة تدمي فيه قلبه الهائم باسبانيا

مَكْتَبَةُ الْمُقْتَضَفَاتِ

وحى القلم

لمصطفى صادق الرافعي: جزءان : ٨٠٨ صفحة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٥ — سنة ١٩٣٦

الرافعي كاتب حبيب الى القلب ، تتنازعه اليه اسباب كثيرة من اخوة في الله ، ومن صداقة في الحب ، ومن مذهب متفق في الروح ، ومن نية معروفة في الفن ، ومن اعجاب قائم في البيان ومن هنا ومن ثم لا أدري من أين تبدأ ولا أين تنتهي . فأنا حين أريد القول في صداقته او في إيمانه او في حبه او في بيانه او في فنه أجدي كلهموم اذا ابتداء له هم تداعت اليه الهموم من كل جانب ، فأضع القلم وارفعه وأديره وأتولى به لأن المعاني تتلوى بي في سبيل مَضَلَّة ، فأراني أتحاشي القول خشية الغلو او خوف التقصير . وقد تكلفت شططاً وحملت نفسي على ما لا تطيق وأنا أكتب عن « وحى القلم » ، ثلاثاً اغلو في الرافعي فيقال : معجب غلا به اعجابه ، او افصر فيه فيقال : صديق شقيت به أصحابه

كانت سنة ١٣٤١ — سنة ١٩٢٣ — فقرأت للرافعي كتابه « المساكين » فغازتني نفسي الى مراسلته لأصل ما بيني وبينه ، فكتب الي كتاباً رقيقاً كنور الفجر ، ثم مضت الايام ولقيت رجلاً كهلاً قد اشتعل الشيب في رأسه ، خفيفاً قد اخذت منه الايام ، صامتاً قد اسكنه الفكر ، ثم قيل هذا الرافعي . فيوم ذاك عرفته ، فاذا هذا الكهل شباب مشعل يتوهج ، واذا هذا الخفيف قوة مستعصبة مستمرة لا تلين ، واذا هذا الصامت لسان عربي مبين . ثم هو بعد صديق أنت من صداقته في مثل الروضة تقي الى ظلمها ، وتستنشئ شذاها ، وتصاحبها وتصاحبك تنسح عن قلبك الحزن بالرضى والفرح ، ما لا تسمح صداقة الناس ممن ترى وتعرف

وهنا سر الرافعي كله ، سره في فكره ، وسره في علمه ، وسره في بيانه ، وسره في فنه . وذلك هو سر المؤمن إذا ارتفعت عن قلبه الحجب ، وسقطت عن عينه الغشاوة ، وارتفع به الايمان عن أشياء الأرض الى أسرار السماء ، فلا تجدد الدنيا منه ما يحدد أو يطفئ أو يلفته ، فهو بصيرة تفقد ، وقوة تعمل ، واخلاص يجلو ، وجمال يحب . هذا هو سر الاسلوب الذي انفرد به الرافعي

والرافعي كاتب قد استولى على الامد في مادة الكتابة ، فاللغة عنده مادة للتعبير لا مادة للحفظ والاستعمال ، فهو قد قرأها قراءة البصير ليرى الفروق الخفية بين اللفظ ومرادفه

وليعلم حق اللفظ من العبارة، وحق العبارة من الالفاظ، فيظن بعض من لا قدرة له أن الرافي يريد الاغراب على الناس في كلامه، واستجلاب الغريب من اللغة للتفاحص، وما به ذلك، وإنما هي المعاني... المعاني عند الرافي هي التي لها حق اختيار الالفاظ من لغته. وهو لا يأخذ ألفاظه من المعاجم وإنما يأخذها من سلفته التي صقلتها المعاجم. وقد أكثر الناس من نقد الرافي زمناً ووضعوا عليه من أوهامهم غشاً آذاهم ولم ينفعهم، وحجبتهم في ذلك هذه اللغة التي أحيا الرافي مواتها ببيانها. وما اللغة؟ أي الألفاظ قائمة بالمعاني التي وضعها لها المعاجم ووقفت عندها؟ إن هذه ليست بشيء، وما هي إلا أداة كالسيف. فالسيف على جودته لا يعمل إلا اضعف العمل، فإذا أخذته أنت وجعلت تتدرب به وتمرن ساعدك عليه، وعرفت كيف تحيد الضريبة وتصيب المقطع، كان له أقوى العمل، لأن السر في ساعد منتضيه وبصره وحيلته لا في حده وعارضيه

واللغة لا تقوم بغير فكرة، والرافي قد استولى على أصولها، بقوة الادراك وشموله وتراكمه، وبالقدرة على الابانة عنها باللفظ المتصل الماضي الذي لا ينقطع دونها، وبسمو الخيال وتراحبه واستطالته. فالرافي يدمن على الفكرة الواحدة لإدمان الفيلسوف الصابر الثابت بين ادارتها وتطبيقها وبسيطها وردها الى أصول مقررة في الحياة، ثم لا يزال يجمع بينها وبين قرائنها، ويحدد فرق ما بين القرينيين ما ظهر من ذلك وما استتر، ثم يصحح النظر في الاصل الذي يرد إليه أفكاره تصحيح الحكيم المقرر حتى لا يقع بينها التدابر والاختلاط والفساد. ولا يزال على ذلك يقيد ويطلق ويأخذ ويدع بقانون طبيعي في نفسه، فلا يترك الفكرة إلا وقد ولدت له صغارا من الأفكار فيها من الجمال والسحر والقوة الكامنة ما للطفل الصغير الوديع الجميل، وإذا الفكرة الأولى التي أدمن عليها أم فيها هيئة الأمومة العاملة المخلصة وحنانها وروعها ووقارها وهناك أسرار الفن في بيان الرافي فمنها ادراك الجمال السامي غير المتبدل، فهو يدرك الجمال في الجميل لأنه يعرف أسرار جماله، ويدرك الجمال في القبيح لأنه يعرف أسرار قبحه. فالجمال عنده في السر والجوهر وأصل البناء لا في العرض، وكذلك الخير والشر، والفضيلة والرذيلة وما الى ذلك، هي كلها عند الرافي موضوع للأسرار فهو لا يقف عليها وقفة المتشبهت بل يهزها من أصولها ليخرج أسرارها، فإذا فعل كتب صفة الشيء الحي بكلام حي فيه قوة المقاومة والقدرة على البقاء، وكل الاسباب التي تضمن له الحياة الفنية والبيانية ثم لا يقف الرافي عند ذلك بل لسكل هذا مكان آخر يصل إليه فيصهره ويذيبه ثم يرده في صورة فذة، ذلك هو الاحساس القوي المشبوب. فهو يأخذ الفكرة بلغتها وعقلها وسرها من احساسه هو لا من احساس الناس، حتى إذا آمن بها إيماناً لا مطعن فيه استعان بإيمانه القوي على

انشائها انشاءً مبتدعاً خاصاً موسوماً بسمة صاحبه ، تلك السمة التي تسمى « أسلوب الرافعي » كل ذلك بعض العمل البياني الذي يتدفق من لسان هذا الرجل . وان له خاصة عجيبة إذا نكلم في الاجتماع العربي الاسلامي في هذا العصر ما بين خلق وعلم وعمل ودين ، هي هذه الروعة المستعنة المنصبة على معانيها كنور الشمس . وسر هذه انه يحس ويفكر وينقد ويدين بقوة ثلاثة عشر قرناً من التاريخ الاسلامي ، ويحس باحساسها ، ويدرك أفكارها ، ويعرف أسرار فضائلها ورذائلها ، وأسباب قوتها وضعفها ، وقد أحاط بكثير من أصول القانون الطبيعي الذي يجمع ويفرق ويضبط وينشر ، ويزيد وينقص في هذه الامة الرابضة في قلب الشرق اما الرافعي المحب فهو رجل وحده سام عن الاسفاف ، مشرق كالنجم ، صاف كأنه مرآة مجلوة ، ثم فرح كأنه أمل يتحقق ، باك كأنه عضو يقطع ، متألم كأنه محارب باسل ينهزم ، ثم لانزال على ذلك — الرجل الجلد القوي الذي لا ينكسر ولا يتحطم ، ولا تتدننى به القوة الغالبة ، قوة اللذة الانسانية القرينة المشهية . لذلك يخلو حب الرافعي من الفجور الفني ، واما يصف الرافعي المحب فجور الرجل والمرأة ليسمو بالرجل الفاجر ويخرجه من سلطان لذته ، ويصف فجور المرأة ليهديها ويظهرها وينزهها وينصفها من ظلم الرجل الفاجر . وله على ذلك قدرة قل ان ينالها كاتب ممن نعرف

وأما الرافعي ربيب الشعب ، فهو الواصف البليغ الذي يستطيع ان يجمع آلام أمة مظلومة في ألفاظ تتألم ، ويؤلف آلام المساكين في كلمات تبكي ، ويحصر سخط المستعبدين من الفقراء في حروف تبكي وتتألم وتتسخط وتتشقى وتبغض وتسخر من هذا الاجتماع الذي استعبدتهم وقد ولدتهم امهاتهم احراراً . فهو في هذه « ترجمان القلوب المتحطمة »

واما الرافعي الساهر ، فهو الكلمة القصيرة التي تبلغ ما لا تبلغه الثورات المسلحة وأما الرافعي فهو الرافعي الذي لا تعرفه حتى تقرأه وتصر على ملازمته ، وتعطيه من نفسك لتأخذ من يأنه ومن فنه ومن بلاغته ومن فكره ومن حكمته . فهو كاتب حكيم قوي فلا يجدر بك ان تأخذ كلامه على النظرة الطائرة كما تقرأ مقالة في صحيفة يومية لتستفيد ، بل أقرأه لتحس وتتفقد اليه ونهز معه ثم تستفيد

اقرأ « وحي القلم » تجد الرجل الذي حدثناك به ، وتجد البيان الغض القوي المتدفق الذي يثير في نفسك التاريخ اللغوي المكتوب في دمك بالوراثه ، وفي قلبك بالحب ، وفي احساسك بالاهوال النفسية التي تمر بك . فان بيان الرافعي اذا تدبرته وتدبرته أيقظ فيك البيان لأنه بيان حر غير مقلد ، وأوحى اليك بالفكرة المستحكمة والعبارة المجودة لأنه بيان سام غير مقيد ، ثم يلمحك القدرة على التفكير والابانة لأنه « وحي القلم »

محمود محمد شاكر

فلسفة اللذة والالم

تأليف اسماعيل مظهر — مكتبة النهضة المصرية — صفحاته ٢٥٨ قطع المقتطف

الشقة طويلة بين أرسططس في القرن الرابع قبل الميلاد وبنام ومل وأتراهما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبافلو ووطنس في القرن العشرين. والفرق بعيد بين اللذة والمنفعة. ولكن الفيلسوف القوريني كان رأس سلسلة من المفكرين أحدثهم في هذا العصر وطنس السلوكي. واللذة هي أساس السعادة في نظره تحوّلت بتوالي القرون الى المنفعة في مذاهب المتأخرين هذا التطور التاريخي، من ناحية الاشخاص ومن ناحية الموضوع، هو محور هذا الكتاب النفيس

في سيل الكتب العربية المتدفق على ادارات الصحف والمجلات، يجد المنقب طائفة ممتازة من الكتب هي من خير ما أنتجت عقول الغربيين وهي على الغالب اما مترجمة «كسلسلة المعارف الحديثة» و«تراث الاسلام» واما مقتبسة من غير كاتب واحد «كقصّة الفلسفة الحديثة». فاذا وجد كتاباً يمكن ان يقال انه ألف، وان مؤلفه قصره على موضوع بعينه من موضوعات العلم او الفلسفة او الادب، تبسط فيه ولمّا تفرق من دقائقه، كان ذلك من بواعث غبطته لانه دليل على الحيوية والاستقلال الفكري

وقد عرف كاتب هذه السطور، كتاب اللذة والالم، عندما كان رسالة صغيرة لاتعدو عشرات الصفحات وتتبع تقدّم البحث فيه، وما كان لكل خطوة خطاها مؤلفه من أثر عميق في نفسه، فهو حين ربط بين قواعد فلسفة اللذة، فالمنفعة، وقواعد المذهب السلوكي في علم النفس الحديث، كان أسعد الناس طرّاً. فاذا هو قال انه قضى اربعة اعوام في تأليفه فصدّقه. واذا قال انه طوى ما كتب في درجه ثلاثة اعوام اخرى فصدّقه كذلك ولكن يتحفظ لانه في خلال هذه الاعوام كان يخرج صحائفه ويتقحها ويضيف اليه ويحذف منها ما يبدو له بعد تمحيص دقيق وتأمل عميق

وارسططس هذا فيلسوف يوناني (٤٣٥ — ٣٥٦ ق. م) منشيء المدرسة الفلسفية المعروفة بالمدرسة القورينية. زار اثينا في حدثه وأغرته شهرة سقراط بالبقاء فيها فتلمذ له ثم تجوّل في مدن اليونان وأخيراً استقرّ في قورينة على ساحل شمال افريقية المناوح لليونان. وقد كانت فلسفته واقعية عملية. فانه بناها على مبدأي سقراط في الفضيلة والسعادة وقدم الثاني على الاول وجعله مقياس الحياة وحكمها. فالخير في رأيه ما يفضي الى أعظم نصيب من اللذة. والغريب في هذا الرجل انه، مع تقدّسه اللذة كمبدأ فلسفي، امتنع عن الانغماس فيها. بين ما دعا اليه ارسططس في القرن الرابع قبل الميلاد وما دعا اليه هيوم وبنام ومل في القرون

الحديثة بون شاسع. فأرسطوس طلب السعادة للفرد وجعل اللذة أساسها. أما الفلاسفة الانكليز فقالوا ان السعادة الحقيقية هي سعادة الجماعة او سعادة اكثرها وجعلوا أساسها المنفعة. ولذلك قيل ان شعارهم هو « الخير الاعظم للعدد الاعظم ». وفي ذلك يتم الانتقال الفلسفي والاجتماعي من اللذة الخاصة الانانية، الى اللذة العامة فالمنفعة العامة او الخير الاعظم للعدد الاعظم فلما ظهرت نظرية التطور العضوي اتجه الرأي الى ان هدف التطور هو انشاء جسم اجتماعي حي نشيط صحيح، فالقياس لا يمكن ان يكون « الخير الاعظم » او اكبر قسط من المنفعة العامة بل يجب ان يكون « صحة الجسم الاجتماعي »

جميع هذه المسائل وعشرات غيرها مبسطة في هذا الكتاب أوفى بسط، في ملاسبتها التاريخية والعلمية والفلسفية. ومن راجع الفصل الذي نقلناه عن هذا الكتاب في مقتطف دسمبر الماضي، يعلم انه تحفة فلسفية ثمينة

موسى بن ميمون - حياته ومصنفاته

بحق للاسرائيليين في العالم أجمع وفي الشرق خصوصاً ان يفتخروا بالفيلسوف العلامة والطبيب الشهير موسى بن ميمون الذي نبغ في اوائل القرن الثاني عشر فانه كان من اعظم علمائهم وفلاسفتهم في تلك العصور واعترافاً بفزارة علمه ومقامه الادبي أقامت جمعية التاريخ الاسرائيلية في القاهرة حفلة شائقة تذكراً لمرور ٨٠٠ سنة على وفاته في العام المنصرم في دار الاوبرا الملكية اشترك فيها رجال العلم والادب من جميع الملل والتحل. وقد حذت حذوها جميع الاندية الاسرائيلية في جميع اقطار المسكونة لاحياء ذكرى هذا العالم الجليل لما كان له من المسكنة والاحترام والاجلال في قلوبهم وما زالت الطائفة الاسرائيلية في القاهرة الى يومنا هذا تقيم حفلة تذكارية كل عام في يوم وفاته في معبده الخاص في حي اليهود المعروف بكليس يهود المغرب ويزورون ضريحه في طبريا في مثل هذا الوقت من جميع نواحي العمورة فصار من حكم الضرورة على كل من يعنى بتاريخ الفلسفة الاسلامية والاداب العربية والعبرية ولا سيما على كل اسرائيلي ان يطلع على تاريخ حياته ونشأته وما عانى من النصاب والنوائب وعلى مؤلفاته في الفلسفة والعلم والدين والطب وقد كان بمصنفاته من علماء اليهود الذين نقلوا مذاهب العرب الفلسفية الى الغربيين بالعبرية ثم الى اللاتينية ومن الذين ساهموا بسط وافر في عالم العلم عموماً مثل سعديا الفيومي وابن جبيرول وابن عزرا وغيرهم من ابناء جلده في الاندلس وكان في مقدمة الائمة والاحبار الاسرائيليين الذين وضعوا الشروح النافذة على التوراة والتلمود في عقائد الديانة الاسرائيلية مثل « راشي وميلين ». فأصبحت

مصنفاته قاعدة وإساساً في التشريع الاسرائيلي ونبراساً بمعنى الكلمة يستنيرون بها « كالسراج »
 احد مؤلفاته وكان في آخر حياته رئيساً على الطائفة الاسرائيلية في مصر أفادها بإرشادات
 دينية هامة وإصلاحات لازمة في شؤونها

ولما كانت مكاتبنا العربية تكاد تكون خالية من المعلومات والبيانات الوافية التي تليق بمقام هذا
 الرجل الجليل وتأليفه وبحوثه الفلسفية كما يجب جاء الدكتور اسراييل ولفنسون ابو ذؤب
 استاذ اللغات السامية بدار العلوم وأتحفنا بكتابه « موسى بن ميمون — حياته ومصنفاته »
 بعد بحوث دقيقة وبحوث عظيمة وهو الكتاب الثالث من يراعتة من سلسلة كتب في تاريخ
 اليهود والعرب

تصفحت هذا الكتاب النفيس فوجدته منتهى الارب للبحث في موضوعات كهذه وكنت حاراً
 في خير الطرق لاستقاء المعلومات اللازمة لي في مباشرتي نشر تاريخ اليهود في مصر وسيرة حياة
 عظام رجالها ومصادر مراجعها فجاء كتابه لي « دلالة الحائرين » بمعنى الكلمة كاسم احد مؤلفات
 الميموني الشهير . وسد النقص الذي نحن في حاجة اليه

يقع الكتاب في اربعة ابواب في حياة موسى بن ميمون . في مؤلفاته الدينية . والفلسفية .
 والطبية . وقد أفاض في الباب الاول عن نشأته وأوطانه وسيرة حياته . وأثبت انه لم يرد
 عن عقيدته يوماً ما . وذكر في الباب الثاني كتبه الدينية في حسابان الميقات وشرح النسخ ورسالة
 تمهيدية لدرس الفلسفة والمنطق . ثم كتاب الفرائض بالعربية ثم « السراج وتثنية التوراة »
 المعروف باليد القوية يبحث في التشريع ثم اجابات موسى ووصية موسى وغيرها . ثم لخص في
 الباب الثالث بحوثاً فلسفية في كتابه الشهير « دلالة الحائرين » الذي كان له شأن هام
 وراج رواجاً عظيماً في تلك العصور وهو أشهر من نارٍ على علم ثم استطرد كلامه في الرابع في
 قيمته الطبية ومصنفاته في الطب بالعربية وتبلغ نحو العشرة منها « فصول موسى » في الطب . وقد
 قمت بترجمته الى الانكليزية تلبيةً لرغبة الجمعية الميمونية في نيويورك . ثم رسائل في السموم والبواسير
 وتدبير الصحة وغيرها

ومن طالع هذا الكتاب النفيس بلغته الفصيحة واسلوبه الرائع الآخذ وما ورد فيه من
 النصوص والادلة يتحقق من المجهود العظيم الذي بذله المؤلف في استقاء بحوثه وجمعها من
 مصنفات ومراجع متعددة في لغات مختلفة وقد ذكرها جميعاً بأسهاب مما يثبت الملمة التام بالفلسفة
 الاسلامية وسعة اطلاعه في الفرنسية والالمانية والانكليزية والعبرية وذكاء ونشاطاً وهمة توجب
 الإعجاب

الدكتور هلال فارحي

تراث الاسلام

لجنة الجامعيين لنشر العلم - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت مطبعة اكسفورد من نحو خمس سنوات كتاباً نفيساً الففاسة كلها في «تراث الاسلام» نولى الاشراف على طبعه العلامةان السر توماس ارنولد رحمه الله والاستاذ الفرد غيـوم، وعهد في كتابة فصوله الى طائفة من اكبر المتوفرين على الدراسات الاسلامية في نواحيها المختلفة فكتب جب في الادب ونيكولسن في التصوف وغيـوم في الفلسفة والفقه وما كس ماير هوف في العلم والطب وكاراده فو في الفلك والرياضة وارنولد في الفن الاسلامي وأثره في التصوير في اوربا وكرامر في الجغرافية والتجارة وغيرهم في غيرها

وقد اقتنينا هذا الكتاب منذ صدر باللغة الانكليزية، وعوّلنا عليه في غير بحث واحد، وكان من بواعث حيرتنا احجام كتابنا و مترجمينا عن نقله الى العربية لا لان ما فيه جديد، ولكن لانه يدل على ما لآثر الحضارة الاسلامية من المكانة في نفوس الذين توغلوا في دراستها في الغرب ولانه يجمع في فصول منظمة زبدة ما عرف عن تلك المآثر

من أول صفحة فيه الى آخر صفحة، اسماء اعلام في الطبقة الاولى بين اقطاب الفكر والفن في العالم. واذا اقتصرت على العلوم دون غيرها، وهي ارث مشاع للامم، طالعك اسماء باهرة مثل الخوارزمي والبتاني والبيروني والسكندي والرازي وابن الهيثم والزهرابي وابن البيطار والغافقي. ان كوكبة كهذه الكوكبة من الرجال، مما تباهي به كل أمة في كل عصر. اما في الفن والادب والفلسفة والفقه والتجارة والجغرافية، فآثار الحضارة الاسلامية ماثلة امامنا في الحشـب والرخام والنحاس والمساجد والقصور والشعر والمصطلحات الشائعة واعلام الأماكن المشهورة

لذلك تلقينا نبأ العزم على نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية فرحين مستبشرين. وكان لا بد في الاقدام عليه من صدور فتية عاهرة بالثقة والعزم لان ترجمة هذه الفصول من ادق ما يعرض له ناقل من اللغات الاعجمية الى العربية ولا سيما حيث يعرض المؤلفون لشرح المعاني الدقيقة في الادب والفلسفة. لذلك كانت لجنة الجامعيين لنشر العلم من خيرة الجماعات التي تتولى هذا العمل

وقد صدر حتى الآن جزآن من الترجمة العربية، يحتوي اولهما على المقدمة واربعة فصول تتناول اسبانيا والبرتغال. الحروب الصليبية. الادب. الفلسفة والالهيات. ويحتوي ثانيهما على ثلاثة فصول في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة. وقد تولى نقله الدكتور زكي محمد حسن امين دار الآثار العربية. والجزآن مطبوعان طبعاً مقفلاً في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

بحوث دستورية

١ — الأنظمة الدستورية والادارية والقضائية المقارنة : تأليف الدكتور عبد السلام

ذهني بك والدكتور وايت ابراهيم — مطبعة الاعتماد

٢ — نظرات تاريخية دستورية : تأليف حسن صادق : مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر

الدكتور عبد السلام ذهني بك المستشار والدكتور وايت ابراهيم الأستاذ بكلية الحقوق ، أشهر من أن يعرفاً . فهما في كل ما يتعلق بالشؤون القانونية من المراجع التي يعتمد عليها في مصر . وقد صححت نيتهما على اصدار مجموعة من الرسائل في الأنظمة الدستورية والادارية والقضائية المقارنة . وهذه رسالتها الأولى وعنوانها « التطورات الدستورية العالمية » .

ان نظرة واحدة نلقها على خريطة اوربا كما كانت قبل الحرب وكما هي الآن تبين لنا مدى التحوّل الدستوري في ارجائها . فامبراطورية النمسا والمجر ، قامت على انقاضها جمهورية جديدة هي تشكوسلوفاكيا . اما النمسا فجمهورية اسماً ولكنها شبيهة بالدكتاتورية فعلاً . واما المجر فلا تزال مملكة بلا ملك ، ودستورية لا يحترم دستورها كل الاحترام

والامبراطورية الالمانية انشئت جمهورية تعرف بجمهورية فيمار ثم تحولت الى دولة يغلب عليها مبدأ الزعامة وهي دكتاتورية يمكن ان توضع وابطاليا في الفريق المعروف بدكتاتوريات اليمين ، حالة ان روسيا توضع في فريق دكتاتوريات اليسار

اما بولونيا التي انشئت بضم ما فرّق منها على المانيا وروسيا والنمسا قبلاً فقد انشئت جمهورية ، بسط عليها قبلاً المارشال بلسودسكي يد الدكتاتور ، وقد خلفه الآن الى حد ما المارشال سمجلي رديز

من النادر ان تجد في اوربا بلاداً لم يمسه هذا التحول في اساليب الحكم ونظمه . فاسبانيا الملكية تحولت جمهورية سنة ١٩٣١ وتداولتها ايدي احزاب اليسار المعتدلة ثم احزاب الوسط واليمين فأحزاب الجبهة الشعبية الى ان نشبت الحرب الاهلية . واليونان تقلبت من ملكية الى جمهورية الى دكتاتورية الى ملكية مراراً لا يمكن التثبت منها الا بالرجوع الى المؤلفات الخاصة بذلك . والامبراطورية البريطانية اصبحت بقانون وستمنستر جامعة امم ، مقام المملكة المتحدة فيها في ظل التاج لا يختلف عن مقام كندا او استراليا او جنوب افريقية

هذا من حيث نظام الحكم ، اما من حيث قواعد الحكم الدستوري كتمثيل النساء ، والتمثيل النسبي ، والانتخاب المباشر وغير المباشر والاستفتاء وحق حل البرلمان وصلة السلطات المختلفة بعضها ببعض وغيرها من الاصول الدستورية ، فقد مسها التحول قليلاً او كثيراً بعد الحرب وقد عني المؤلفان الفاضلان بتفصيل هذه الشؤون تفصيلاً مقابلاً فأسديا بذلك مأثرة جديدة الى ماثرها السابقة في تربيتنا السياسية

أما كتاب « نظرات تاريخية دستورية » فيشتمل على بحث في دساتير المانيا والنمسا وتشكوسلوفاكيا . والبحث في دستور المانيا يستغرق نحو نصف الكتاب . ففي أوله ملخص جيد للدستور الالماني الذي ظل نافذاً الى ثورة ١٩١٨ ويليه بحث في الحوادث التي سبقت دستور جمهورية فيمار الجديد ثم بحث في خصائص هذا الدستور وقواعده . وحبذا الحال لو أضاف المؤلف فصلاً ولو موجزاً عن خصائص نظام الحكم القائم في المانيا الآن حتى يستتب للقارئ فهم التحول من جمهورية فيمار الى الرايخ الثالث

وما يقال عن المانيا يقال عن النمسا ، فبحث المؤلف وافر في قواعد دستور جمهورية النمسا ولكن منذ وضع هذا الدستور على الرف وأصبح دلفوس بمثابة الحاكم بأمره ، ونكسل بالاشتراكين — مع ان « من يتصفح الدستور النمساوي يشعر خلاله بالآثر الاشتراكي لان الاشتراكين في النمسا كما في غيرها من البلدان كانوا يميلون الى اضعاف السلطة التنفيذية ووضع السلطان في يد مجلس نائبي يمثل ارادة الشعب تمام التمثيل » — واقام الدولة على اساس نقابي اوفاشستي ثم بعد مصرعه هذا خلفه الدكتور شوشنيغ حذوه

اما دستور تشكوسلوفاكيا فيختلف عن دستور جمهورية المانيا وجمهورية النمسا ، في انه لا يزال نافذاً وقد احاطته رئاسة ماساريك بسياج من التقاليد العالية ، وتشكوسلوفاكيا لا تزال جمهورية حقيقية على الرغم من قيامها عند ملتقى التيارات الاوربية المتناقضة . وامل الاحرار ان تبقى رافعة علم الديمقراطية في اوربا الوسطى والشرقية

وليس ثمة ريب في ان الحياة الدستورية النيابية تقتضي من جميع المشتغلين بالشؤون العامة عندنا الاطلاع على خصائص النظم الدستورية والنيابية في البلدان المختلفة وفي هذين الكتابين مرشد لمن ينبغي الاطلاع وتعميد لمن يريد التوسع والنوفر

فهرس الجزء الثاني من المجلد التسعين

السماء والارض تلتقيان في المطياف	١٢٩
من أقاصيص پوشكين : حلمي ميري	١٣٧
قسم الطفيليات : حديث الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك	١٤٦
دار الكتب : حديث الدكتور منصور فهمي بك	١٤٩
دار العلوم : حديث صادق جوهر بك	١٥٢
معهد التربية : حديث امين سامي حسونه	١٥٨
البحر المتوسط في التاريخ	١٦١
الكمارب الموجية او البوزيترونات	١٦٦
مذاهب الفلسفة الرئيسية : لفليمون خوري	١٦٩
الغدد والحياة	١٧٦
نشر الخريطة : قصة الريادة	١٨٣
امفيون : مسرحية للاديب الكبير پول فاليري : نقلها خليل هنداي	١٨٥
الحضارة الحثية نواحيها العقلية والاجتماعية : بقلم قيصر صادر	١٩٦
مفردات النبات بين اللغة والاستعمال : لمحمود مصطفى الدمياطي	٢٠٣
المارستان النوري الكبير بدمشق : للدكتور سامي حداد	٢٠٦
حيوانات مشهورة وصحة اسمائها : للفريق الدكتور امين المعلوف	٢١٤
حديقة المقتطف * اوجين اونيل . لفؤاد عيتاني . منعطفات الجدول : إلهي . تحت جناح الظلام : نقلهما جورجي نيقولاوس	٢١٩
سير الزمان * حبوط العقوبات . روسيا وخصومها : بقلم حنا خباز . قوى الدفاع	٢٢٧
الاورية	

باب الاخبار العلمية * العلم في الامام الماضي . العلم والاجتماع . هبة علمية كبيرة . تطبيق العلم الطبيعي . زرع النبات في الماء . بلورات الفيروس . مائة مليون مجرة . الفيتامين الجديد . النجوم المنفجرة . سديم أهر . أبعد النجوم . التغلب على السربتوكوكس . توليد الارانب في الانابيب . نقل الاعضاء وزرعها . تحويل المادة . وفيات الاعلام . جوائز نوبل . الماء وعدوى الفيلاريا برشيد . اكتشاف عنصر جديد . أونامو نو فياسوف سلامنكه	٢٤٤
مكتبة المقتطف * وحي القلم . لمحمود محمد شاكر . فلسفة اللذة والالم . موسى بن ميمون — حياته ومصنفاته . للدكتور هلال فارحي . تراث الاسلام . بحوث دستورية : كتابان .	٢٥١